# سوء توقيت

ياسمين البيومي

جميع حقوق الطبع و النشر محفوظه

الطبعه الأولي مارس ٢٠١٩

الكتاب : سوء توقيت

الكاتب : ياسمين البيومي

تدقيق لغوي : احمد محمد عبد الستار

تصميم الغلاف : عماد رشدي

رقم ايداع: 7561

ترقيم دولي: 978-977-6688-19-3

دار سنون للنشر والتوزيع

الزقازيق - الشرقية - مصر

٠١٠١١٤٦٤٠٣٧

sonon.pub@gmail,com

# سوء توقيت

ياسمين البيومي

القاهرة ١٩٩٨

# [ كريم الدويري ]

عاد كريم من مبنى مجمع الشركات الجديد بصحاري السادس من أكتوبر لفيلتي بصحاري التجمع الخامس في أقل من خمسة وأربعون دقيقة وكان ذاك من أعاجيب هذا الزمان، أن تفصل بين محافظتين نصف ساعة أو أكثر بدقائق ولكن الطريق الدائري الجديد أبطل الأعاجيب واقتص المسافات وعزله بمحيط آخر لم يألفه إلا أن الإيلاف والتآلف ليس من شيمه. لا يعلم فيما ولع أبيه بإعمار الصحاري سُكنة وعمل، رغم أنه يستطيع أن يكون بمركز الكون لو أراد. لكن للحق له رؤية مميزة لبواطن الأمور تربك من عاب عليه أي فعل غريب فهذه الصحاري لا تبدي قسوة بل تبدي رحابة واحتواء لكل مارٍ، فراغ أجوف عن كل ضجر، ساكنة عند كل صخب، باردة إن أنزلت الشموس سخطها الصيفي، دافئة شتائًا رغم أنف الزمهارير، أشجارها ظلالها دانية، تحرسها أرواح الموتى من شتى الأطياف بعدما اختاروا أو اختير عنهم الصحارى كمثوى أخير، أتراك؛ يهود؛ مسيحيين مثل أمه ومسلمين مثل أبيه باشروا التعمير وأنزولوا على طبيعة المكان الهادئة مزيدًا من السكينة. هدوء متعالي وأحيانًا متناقص ترى به ما انتزعت منه عنوة، من سفوح أعالي جبال لبنان مقر الأبدال هذا ما سقطت رأسه به ولادة، وتحت سمائه المقدسة تربى ليكون بدل أبيه من الأخيار الجدد فلكل زمن أخياره مهما اختلفت المسميات والصفات والخلفيات. من جبل لبنان فاض التنور وخرج أبيه من الظلام للنور تاركًا إرث أسود يصعب التخلي

عنه أو تجاهله ألا إن أبيه لا يصعب عليه شيء وكما محى الماضي خط الحاضر وبنى المستقبل، بدايةً من جبل بئر الظهر إلى تلال القاهرة الجديدة التجمع الخامس قبل الأول والثاني والثالث حتى، نشأ الخامس على عجالة وبادر أبيه بتعمير أولى القصور وللعجب تبعه العديد، هاربين من زخم القاهرة وسمائها القاتمة لسماء برتقالية تمنح ثمارها بسخاء، فرارًا إلى شمس لا تغيّبها تعاقب الفصول خريفًا أو شتاء.

في الصحاري لا تعني الجيرة شيء، حيث نقل التجمع الخامس روح الكومباوند الموحدة قبل إنشاء العديد من المجمعات السكنية ذات الطابع والروح الفندقية الفاخرة في مصر للمرة الأولى. رغم أن الخامس لم تحده أسوار مثل المجمعات السكنية المعتادة إنما بنيت أسوار مهيضة حول كل باب مغلق لم يبارد موصده بتطفل أو سؤال عابر. كل من اختار الصحاري رغب بالعزلة أو الهرب من العيون المتفحصة إلا هم، فكل ما أرادوه هو التفحص.

قبل أن يصف سيارته بحث عن طفلته المفضلة. غائبة عنه لأيام خلى منها النسيم المريح وأغطش الليل على قلبه المبتلى بكل هوى حتى تسيد فؤاده هواها فهي الرياح الباردة، العبق المُسكر وللمفاجأة هي وسيلة الحياة الأكثر فعالية للقصاص منه. معه لأجلها هدية قيمة، قطعة الشيكولاتة السادة لأنها تحمل حساسية من أغلب أنواع المكسرات، في جيب سترته ليومين، وكانت تلك هي الفترة التى لم يراها بها وذلك أمرًا خطير فكلاهما عاشقين ولعين ببعضهما البعض والفراق غير مرجح بقصة عشقهما. هى أول فتاة بعمرها الزهري رأته وسيمًا وتمنت أن يبدلها عيونه السوداء وشعره الداكن رغم إنها آية من آيات الجمال. تضحك بمجرد أن تراه حتى قبل أن يحملها ويدغدغها. كانت هى البادية بهذا المزاح لما رأته يبكي أمه للمرة الأولى والأخيرة، وحينئذ نظرت إليه

بحنان أم رحوم لم تبلغ السادسة من عمرها، وربتت على كتفه بينما تقول له ببراءة:

- مامي بتاعتك فى الجنه يا كريم. . عند ربنا. . ما تزعلش.

أرخى ناظريه عن العيون الزرقاء بينما يكفكف دموعه خجلًا من طفلة تسوق لجنات تعلم عن حساباتها أكثر مما يعلم ولم يشغله يومًا أن يعلم، فقد انشغل فؤاده بأمه التي لفت باللباس الأبيض الأخير مهيأة لرحلة لا عودة منها. كانت جنة الطفلة حديقة وارفة بها الكثير من الفواكة وبها أيضًا محال للحلوى لا تطالب بنقود لتأكل منها ما تريد، الجنة لطفلته هى الحلوى، ونقلتها له بمرح تقبله حتى جفت دموعه على أمه التى صارعت للسنين المرض الخبيث ثم انتقلت لجَنة الحلوى. اقتربت منه أم الطفلة العليمة بالجنة وأصررت عليه أن يطلب منها أي شيء بأى وقت شريطة أن لا يكون زوجها بالمنزل وأن تكون وسيلة الاتصال هى المحمول للسرية وسوف تلبى النداء بأي وقت. وعدت الأم وأوفت بوعدها فمن عادات آل جلال الوفاء بالوعود والعهود، فقد كانت تسأل على أحواله وعلى أحوال أخته بانتظام بغير وجود أبيه أو زوجها لسنين عدة حتى نشأت الألفة بين طفلته المفضلة الشقراء ذات العيون الزرقاء الواسعة مثل بحور حالمة تعكس بهجة السماء الصافية وشعرًا ذهبيًا تتبدل معاييره الذهبية للنحاسية بكل سنة تزيد على عمرها. اعتاد أن يراها بالحديقة تلعب وحيدة وتراقبها أمها عن كثب رغم أن المنطقة خالية من بشر، لم تكن هناك غير فيلتين فيلته وفيلتها، الثانية تحت الإنشاء منذ رآها منذ أربع سنوات وحتى الآن ولا يبدو أن لها انتهاء بالقريب. جاءت لقائاتهما يوميًا بالحديقة في غياب أبيها، يراه دومًا يلعب معها عند عودته بملابسه العسكرية الحكلية ولا يخشى يد الصغيرة المذوبة بها الشيكولاتة على الدوام، يعلمها ركوب الدراجة مرارًا بلا استناد ولكن

تخزله وتسقط فينهرها وينعتها ببطيئة الفهم وحينها تبكى مباشرة لأنها تمتلك حساسية مرهفة شديدة يستلزمها حرصًا دائم لا يحبذه رجال إلا أبيها، فهو يحملها على كتفه، ويربت على ظهرها في حنان، لاعنًا الدراجات وإصرار أمها عليه أن يعلمها ألعاب الصبيان وفتاته أرق من نسيم الحرائر الفييتنامية.
يصعد بها أبيها للبيت راجيًا الغفران من عيونها الباكية إنما تانك العينين تستعيد رباطة جأشها سريعًا وتطالب بتعويض جزافي لا يتوانى عنه الأب.
وجدها أخيرًا تحاول قيادة دراجتها الحمراء ذات الأشرطة الحريرية فتتعثر مجددًا وتسقط إنما تعاود النهوض بعصبية وتمسك بالدراجة لترفعها بالهواء ثم تلقيها أرضًا كشكل من أشكال العقاب الجائر، تلعن الدراجة بدورها وتنعتها ببطيئة الفهم ولمزيدًا من التأديب تركلها مرارًا حتى تستغيث تروسها وقبل أن تنهي عمل الدراجة لأجلًا غير مسمى نادى على اسمها مصدر السرور فلبت النداء من فورها وفتحت باب فيلتهم الأسود من الحديد الثقيل بمفردها فطالما كانت فتاة قوية جسورة تحملت خذلانه لها لسنوات سابقة وقادمة بلا تململ.
جرت نحوه حملها بالهواء وسألها عن أحوالها وأين كانت بتلك الأيام الماضية فجاوبته:
- بابى وحش حابسني.
- ليه؟
- عشان رخم.
أضحكه بشدة مرح كلماتها العفوية إنما نهاها عن قول هذه الكلمات خاصة عن أباها لكن لم يبدو على عيناها تقبل للنصح الأخوي لأنها ببساطة ليست أخته فهي خطيبته رغم أنفه بعدما خطبتها أمه بنفسها من أمها وقبلت فدوى الهانم الإتربي خطبة ابن البلطجي والراقصة من باب مواساة مريضة طريحة

الفراش فالصغيرة نقية، بريئة بلا شائبة ويستلزمها نقي تقي ليس له وجود بالواقع الحالي إنما الأيام أثبتت أن الصغيرة بارعة بإعادة تدوير القمامة من البشر.

علم من الصغيرة إنها لم تجد أوراق كي ترسم عليها ابنيتها الشامخة لتكون مهندسة مثله ففتحت حقيبة أباها للعمل وأخرجت بعضًا من أوراقه ورسمت عليها فغضب أبيها وثار عليها وعلى أمها بلا أسباب وحينها تعجب كريم، كيف تكون مهندسة بمثل موهبتها ولا تجد الورق والألوان ثم طلب منها إن ما احتاجت لأدوات رسم أن تطلبها من خطيبها مباشرة فقالت بسعادة:

- بجد يا ريكي؟

- بجد يا نوننا هجيبلك بكره اسكتيش كبير وألوان.

- وأقلام رصاص كتير زي اللى عندك.

أومأ بالموافقة بكل طواعية لسحر الخطيبة حتى قبل أن تمنحه قبلة الحياة على وجنته اليسرى. أنزلها ثم أخرج من جيبه قطعة الحلوى الكبيرة فانتزعتها منه ولم تشكره كعادتها، فتحتها على عجالة حتى فاجأتها يدًا أخرى أخذت قالب الشيكولاتة منها وألقته أرضًا. خاطبه صاحب اليد الخاشمة:

-إنت عايز من بنتى ايه يلا؟

نظر كريم لأبا الصغيرة وقال:

-ولا حاجه كنت بسلم عليها.

هدده قائلًا:

-لو شفتك ادام فيلتى تاني أو بتكلم بنتي أنا هضربك بالنار فاهم يا ابن الرقاصة!؟

حدجه كريم بنظرة جوفاء مثل قلبه الذى لا يرحم ذكره أمه المتوفاة ثم ابتسم وقال متهكمًا عيناه علي عينين خطيبته:

---

-كرمال عيون الحبايب راح فِل حمايا، كرمال عيونها اسمع واطنش، كرمال عيونها انت والهانم إلكو عمر، ما فيني أغضَّب خطيبتي كمان الصغيرة محتاجة ترباية بدل ما تصير هربانة مثل أمها!

ثم ضحكة عريضة قفزت عن صدره بعدما بدى الانزعاج حقًا على العميد الصغير زوج الهاربة من عصمة زوجها الأول إليه. يد حارسه تجذبه من ذراعه لترك ما تبقى من فسحة العميد الخربة لفسحته الرحبة أمام قصره فتزحزح كما أراد الحارس بعدما تحولت حمرة الغضب على وجه العميد لزرقة الفضيحة.

حارسه يحتد ويسأله فيم الاحتكاك بالعدو اللدود إنما وفر الإجابة لنفسه ووقف يرقب عيون أبا الصغيرة المزدرية تتحول عنه للصغيرة سائلًا عن ما جرى فأجابته:

-كان بيسلم عليَّ.

حدجها بغضب وقال:

- أنا مش قوتلك ما تكلميش حد غريب؟

- ماما قالت كريم أخويا.

صُفع الوجه الصغير المروع من هول ما لاقته من أبيها ثم أعلن أن ليس لها إخوان بخلاف أخويها الذكور؛ حسام وآسر، لم ترى كلاهما إلا مرات تحسب على كف اليد الواحدة ويدعوهما أخوين! فتركته وصعدت تبكي إلى الفيلا لتشكوه إلى أمها على الأرجح. نال كريم وحارسه كفايتهما من مشاهد الحنان الأبوي ودلفا للفيلا، لا يعلم كريم كيف تكمن القسوة والحنو بنفس القلب، قلب استطاع حامله صفع صغيرة لم تتجاوز السابعة من عمرها لا تحب بدنياه غير شيئين ربنا وبابي وكريم ومامي وميرا وحسام والشيكولاتة والطائرات بمختلف أنواعها، هؤلاء هم الشيءين المحببين لدى الصغيرة البارعة بكل شيء إلا العد.

ترى متى تأتيه لتشكوا قسوة أبيها وخذلان أمها لأنها لا تدافع عنها؟ بعد الغداء أم العشاء بالعشاء على الأرجح لأن بكل مرة يضربها أبيها يرجو غفرانها عبر تنزه لمكان من اختيارها.

لولا الراقصة الذي يستذل بذكراها لجعل فيلته مقبرته فأمه استودعته الأمان لفدوى وابنتها جزاء معروف لم يستطع حتى إنكاره بينه وبين نفسه وإن استطاع حارسه لم يتوقف يومًا عن تذكيره فقد كان حارسه حارسًا كذلك على وصايا أمه الأخيرة. يخلع عنه سترته ويطلب منه الهدوء ولو من أجل الصغيرة التي ليس لها أي ذنب لينزل بها انتقامه من والديها فأمه لم تطالب بقصاص وعليه أن يبتعد عن درب ساكني الفيلا المقابلة ولو من أجل وصية أمك يا ولدي.

-ما ني ولدك يا حقير يا خاين.

تتيبس ملامح حارسه إثر كلماته للحظات حتى ارتخاء واجب فالسيد في حاجة لمأزره الصيفي استعدادا لتناول غدائه في الهدوء المعتاد بين الأسرة المأساوية.

أب تجاوز منتصف العقد الخامس يعيش قصة حب مضت وهو الوحيد الذي يراها قائمة، وأخت لم ترى الحب من قبل، سمعت عنه فقط بصخب أصم أذنيها عن كل نداء له حتى قبعت بفيلا أبيها كأصغر أرملة سوداء قد يكون شهدها العالم. انتهى ثِقل وقت الغداء لما سمعوا صراخ نسائي إنما لا يستغيث ورغم ذلك قام العاشق بالخامسة والخمسون بعدما ميّز صراخ معشوقته وهرع للبلكون للاستطلاع الأمر البين لكريم وحارسه فقط إنما غادر الحارس بعدما أغضبته كلمات سيده حتى سهى أنه مخدوم لا يحق له التنفس إلا بأمرٍ من سيده وليس تركه لمواجهة أبدلت حسابته المستقبلية تمامًا وجعلته آسفًا يمتثل لوصايا من وراءها الثرى قبل أن تحصل على ثأرها من والدين خطيبته زرقاء العيون.

---

فدوى، أم الصغيرة تنزل درجات سلم فيلا زوجها ممزقة الثياب وجهها مضرجًا بالدماء، متعثرة بخطواتها الوئيدة التي تعيدها للخلف قبل أن تدفعها للأمام، صراخ الصغيرة يدعوها للعودة ونظرات زوجها تأمرها بالخروج قبل نيل المزيد ثم حمل صغيرته وعاد للداخل. أكملت فدوى خطاها حتى خرجت من فيلا الهنا ثم سقطت على رصيفها تلقط أنفاسها الهادرة وتجمع ما تمزق عن جسدها من فستانها. لم يتحمل معشوقها الأول وترك فيلته وسارع إليها متجاهل تهديدات معشوقها الثاني بالقتل، مد لها يد العون كما مدها آلاف المرات وقوبل بالرفض لكن هذه المرة مختلفة فقد تقبلتها فدوى هانم وقامت معه لفيلته.

إذًا على كريم التهيأ للمعركة القادمة، لذلك ذهب لخزانة الأسلحة وأخرج سبرينج فيلد وزخره بينما العاشق وابنته ساعدا فدوى على نيل بعض الراحة بعد عناء مورس عليها لسنوات ولم تتململ يومًا أو تطلب نجدة. أجلسها أبيه وهدّأ من روعها أما أخته جفّت عنها دموعها ومسحت عنها بعض الدماء التي نزحت عن شفاها بمنشفة مبللة جلبها الخادم على عجالة. يتساءل العاشق الأول عن سبب العراك رغم أنه جليًا؛ لم يمر لقاء كريم بحماه وخطيبته مرور الكرام وكان هذا النتاج.

يصيح بحماس غير مسبوق:

-ولا يهمك أنا هخرب بيته.

تنبهت فدوى على الفور وتناست آلامها وخاطبت أباه:

- أرجوك يا منير دى مشكلتي لوحدي وأنا مش عايزة مساعدة من حد بذات إنت.

- هى دى جزاتي يا فدوى، إنتِي حرة، انتِي اللي عملتِي فى نفسك كده لما فضلتيه عليَّ.

قليل الحيلة أبيه أمام معشوقته الوحيدة وليس حذق كعادته، يطالبها بالعودة لحظيرته التي خرجت منها هاربة ولم تخرج من حظيرتها الحالية بعد ولن تخرج إلا بصغيرتها. وجب على أبيه أن يتركها تتلاطمها لجات الهجر وحينها سوف ترسوا على شاطئه الآمن بمفردها قبل الغرق. ما الذي أخّره لعشرون دقيقة كاملة حتى طرق باب فيلتهم بهذا العنف، سارع مدير المنزل لفتح الباب إلا أن أبيه استوقفه ليستقبل غريمه بنفسه فهذا اللقاء انتظره أبيه منذ تسع سنوات ولم يتملك منه الملل يومًا. استقبال حار يليق بالعميد الصغير، يدعوه للدخول بكل ترحاب وبابتسامة نصر لم يظفر به بعد. دلف عميد طيار لفيلتهم لأول مرة يحمل سلاحه الميري بين طيات ملابسه العسكرية، ساذج رغم المراكز العظيمة التي يتقلدها، جاء يرتكب جريمة بسلاحه الحكومي حتى لا يجد تملص من العقوبة أمام أي محكمة أم الفقر من جعله لا يستطيع شراء سلاح خاص به غير مرخص. سارع بالخطى إلى زوجته التي لم تبالي بوجوده وسحبت يدها من يده التي تحملها على النهوض والخروج من وكر البلطجي الآن، فقامت لتصيح به:

- عايز إيه مني تاني؟

- إمشي ادامي من سكات.

لم تردخ فدوى لجذوة حب استعر بقلبها لسنوات قضتهم مع أبيه حتى انتقلت بمحض إرادتها المنفردة حتى بلا طلاق من أبيه لرجل آخر يهددها بالقتل إن لم تخرج معه الآن.

- كل اللي بينا انتهى خلاص ماعتدش غير هنا هاخدها بالمحكمة بعد ما أثبت جنانك.

وجد العميد الجنون إهانة على ما يبدو فقد صفع زوجته أمام معشوقها الذي

هرول إليها ووضع يده على ما لا يملك وأبعدها عن مالكها الحالي الذي توهجت عيونه بالجنون بحق وأنزل يد معشوق فدوى الأول عن كتفها العاري رغم أنه من عراه لما مزق عنها ملابسها وطردها من بيته شر طردة. الحائز على جائزة أسوء أب بلا منازع ينظر له مشيرًا لانهاء نزاع قد يؤدي لمقتل ابنه البكر وذراعه الأيمن والأيسر، فتقدم كما أمر أبيه ولكن لم يشهر سلاحه للآن وقال لحامل سلاحه الميري بهدوء:

- انت مش طلقتها اتفضل من غير مطرود.

- انت اللى جيبته لنفسك هتحصل أمك فى جنهم.

استل جلال سلاحه وسدد على كريم كما توقع تمامًا هو وأبيه، لم يتفاجأ أحد منهما ومن تفاجأت فدوى وخرجت من خلف أبيه لزوجها تهدئه وتعده بخروجها معه الآن قبل أن يُذهب مستقبله هباءًا، العجيب هدأ الثائر وأنزل سلاحه إنما الأعجب هذا الشعور الذي يدعوه البعض بالحب فقد خرجا العاشقين من وكر البلطجي قبل جريمة كانت متوقعة منذ لحظات إلا أن البلطجي يأبى هذه النتيجة الهادئة وقال بحدة لفدوى:

- هتروحي على فين، طلقك خلاص، وجبتِ البت اللي انتي عايزاها، تبقى القصه خلصت على كده أحسنلكوا أنتو الاتنين.

عاد العميد مجددًا وأزاح زوجته عن طريقه بعد مائة توسل للعودة من حيث أتوا لم يسمع أيًا منهم وسدد على أبيه وقال بحدة:

- كنت لازم أقتلك أول ما رجعت عشانها بس إحنا فيها حسابكوا هيخلص دلوقتي.

- وإيه اللي منعك، إضرب!

ترددت سبابة العميد عن الزناد ارتخت وجمدت عشرات المرات فأردف أبيه

بحكمته:
- البلطجي شجاع والحرامي جبان، يسرق ويجري يستخبى بسرقته، يله مستني إيه اضرب على صاحب الأمانة اللي سرقتها ورجعت ولسه ليك عين تيجي لحد عندي وتاخد اللي ليَّ. ؟
بدى على وجه فدوى الذهول من أشعار البلطجي التي نالت من زوجها ثم تحولت لزوجها وقالت:
ماتسمعلوش يا جلال ياللا نمشي من هنا.
لم يستمع العميد للحب هذه المرة فقد تغلبت الكراهية، الزوجة تحاول بكل ما تمتلكه من قوى إنزال المسدس عن يد زوجها المتخاذلة عن وجه أبيه الشجاع كما ينعت نفسه ويشير لولده ليشهر سلاحه بوجه العميد بدوره إنما لا داعي لذلك، فرغم أن معرفة كريم بالعميد لا تتعدى بضع الكلمات الحادة من ناحية الثاني إلا أنه يعرفه تمام المعرفة، يد العميد ضعيفة مثل قلبه ترفض القصاص لسنوات من العذاب تذوقها على مهل من أبيه حتى فاض الكيل لما قال أبيه:
- عمرها ما كانت ليك، عمرها ما حبتك، كنت القشايه اللي اتعلقت بيها لحد ما غرزت معاك بالبت.
ثم نظرة اليقين من جلال لزوجته بعدما كشف أبيه غطاء الحب وظهر القعر المتعفن لأمال بلا سقف، تزوجت الصغير الذي أمن لها حلم الأمومة وتخلت عن العجوز الذي نضبت سوائله المزهرة، ولما تحقق الحلم وأزهرت لها الحياة بالهنا آنت العودة للرخاء والنفوذ وإن كان بقبضة عجوز خرف مثل أبيه إنما هذا الخرف ميزة لصالح سليلة القصور حتى يتثنى لها تحقيق كل ما تمنته بعدما هدمت قصور على رأسها وأعاد بنائها الخرف من أجل عيونها البنية، قصور لن تطئها إلا لو استظلتها مع ابنتها الوحيدة والخرف أيضا هو القادر على

ذلك لما يقوم بدفن العميد الصغير حيًا بإشارة من أصبعها.
استشف الحقيقة العميد كما رأتها زوجته بعيناه وجمعت كل قواها وأنزلت المسدس عن وجه أبيه لتقي العميد من حفر قبره بيده ولو كان الثمن قبرًا آخر ترقد هي به. دوت أول رصاصة بجنبات قصرهم واستقرت بجانب الزوجة الأيمن وكما سمع عنها قوية دائمًا وأبدًا وإن انتهى أبدها. سقطت بين معشوقيها تحاوطها بركة كبيرة من الدماء ولا تطلب النجاة إنما تبتسم لملاك لن يصطحبها لجنات العلا وسوف يظل على الأرض يعذبه كلما واتته الفرصة أم لم تواتيه.
كانت عيون الجميع منجذبة للقتيلة حتى الزرقاء منها، تقف عند أعتاب الفيلا تنظر لأمها بذعر بعدما رأت كل ما حدث، أمها تشير لها بآخر ما تبقى لها من قوى مودعة بابتسامتها العذبة لتعيد لذاكرة الصغيرة محادثة جرت بينها وبين والدها. سردت المحادثة لخطيبها بتخوف لما رأته أمام خزانة الأسلحة يخرج منها مسدسه تهيئًا للخروج من البيت كما يتوجب عليه من طقوس يمارسها يوميًا مثل ارتداء ملابسه، عند الخروج من القصر يقبع مسدسه تحت ذراعه الأيسر تحسبًا ليس أكثر فحراسته من حوله على دوام. قصة الصغيرة شقية مثل كل ما تحمل من صفات، دخلت غرفة نوم أبيها بغير وجوده وأخرجت من حقيبته مسدسه الميري وسددت على المرآة مهددة إياها بالقتل إن لم تترك حبيبها الذي سرقته منها كما رأت بآخر فيلم رأياه سويا كان يدعي death becomes her كان فيلم كوميدي ولكن من الجلي لم يكن يناسب طفولتها. دخل أبيها عليها الغرفة وقاطع تعذيبها للمرآة وسحب منها المسدس على الفور ثم سرد لها قصة مفزعة لا تتناسب أيضا مع طفولتها، فحواها أن كل من يلمس هذا المسدس هالك، يموت ويحفر له حفرة كبيرة يلقى بها ويسدل عليه الأتربة ولا يعود للعيش مع عائلته أو أصدقائه، لن يأكل الحلوى التي أفسدت أسنانها وأصبحت بلا أسنان

ولن يركب دراجته الحمراء ذات الأشرطة الامعة؛ لذلك أيقنت الصغيرة أن أمها سوف تلاقي نفس المصير ولن تراها مرة أخرى. الصغيرة جثت على دماء أمها تحثها على النهوض رافضة لها هذا المصير، بينما أخته تحاول رفعها عن الدماء ولكن الصغيرة تدفع يد أخته عنها بذراع وبالآخرى تضرب صدر أمها لتصحوا من غفوتها. حملها هو عن دماء أمها التي لطخت فستانها الودري ووجهها الباكي الذي تمسح عنه الدموع براحتيها الدامية، تتسرسب من بين يديه إنما يعيدها لأحضانه بغية إغشاء عيناها عن الإثم القائم. صراخ حاد أصم الآذان عن الأنفاس الأخيرة المتبقية لشهيدة حبها انتهى بحالة تشبة الفواق انتابت الصغيرة فأوقفت صراخها ثم فقدت الوعى على كتفه. نزعها أبيها منه وخرج من الفيلا وترك جريمة لن يستطيع التملص منها بينما العاشق تحرك سريعًا وسبر جرح معشوقته حتى تبين عمقه فلم يجده قاتل حتى الآن.

نقلت فدوى للمشفى على وجه السرعة وأجريت لها على الفور عملية استئصال للطحال، فقد مزقته الرصاصة إنما طمأنه الأطباء على حالتها المستقرة للآن وقد تكون متيقظة بالغد لاسترداد ابنتها الوحيدة. لم يكذب حدسه باليوم التالي أفاقت وكانت أول أسئلتها ماذا جرى فأعاد عليها أبيه الأحداث باقتضاب فجاءت ثاني أهم الأسئلة.

-وهنا جرالها حاجه؟

حدثت كارثة قد لا تتحملها الأم المكلومة؛ ذا السابعة أصابها داء السكري إثر آخر ماسآة عايشتها ولكن أجابها كريم مطمئنًا:

- الله اعلم بعد ما أبوها أخدها محدش شافها بس أكيد خير لو كان حصل حاجه وحشه كنا عرفنا

- أنا عايزة أمشى من هنا يا منير.

---

نظر أبيه لها بحنان لم يراه كريم طيلة الفترة القصيرة التي عايشها مع أبيه وقال:
- انتِ لسه تعبانة.
- عايزة اشوف بنتى أنا مش مطمنة.
- هتروحى فين بعد ما تخرجي؟
- هاخد بنتى وهتطلق وأرجع شقة ماما.
- جلال طلقك خلاص بعت ورقة الطلاق على المستشفى.
- كتر خيره وفر عليَّ كتير، أنا عايزة أخرج.

# [ فدوي الإتربي]

أكمل جميله أو صنيعه أو معروفه كما ردد منير حينها وكذلك دفع عنها فاتورة المشفى ثم اكتمل الصنيع بأن أوصلها إلى شقة أمها بمصر الجديدة، وقبل أن يغادر لم ينسى التأكيد على أنه رهن إشارة من إصبعها ولكنها تفضل قطع إصبعها أولًا.

ما إن دخلت شقتها حتى تهالكت على كنبة الصالون العتيق تلملم آلامها العديدة إثر جرحيها النازفين، الأول بجانبها الأيمن والآخر بالأيسر ولكن للأعلى قليلًا، في القلب. نقلت ثِقل جسدها الممزق بالرصاص والهجر من طرف الكنبة الأيمن للأيسر حتى طاولة صغيرة أعلاها الهاتف الأرضي الذي تتمنى من الله أن يكون لا يزال محافظًا على حرارته علها تنال منه برودة شافية لما ينقل لها دقات قلبها النابض خارج جسدها.

التقطت السماعة وجدت بها حياة فاتصلت بزوجها أو طليقها الثاني الذي لما سمع صوتها جاوبها ببرود. .

- انتِ عايشة؟؟ عايزة ايه؟؟

- احمد ربنا إني عايشة وإلا كان زمانك فى السجن.

- وانتِ فاكرة إني ممكن اتسجن فى واحدة زيِك ، القضايا اللي من النوع ده اسمه قضايا شرف يا عديمة الشرف يمكن كنت اخد وسام.

لم تبالي برد اتهام أو إلقائه على المذنب الحقيقي وقالت مباشرة. .

- أنا عايزة بنتي يا جلال، هنا من حقي.

- نجوم السما أقربلك. . بنتي عمرك ما هتشوفيها تاني ولو شفتك تاني ولو حتى

بمحض الصدفة هضربك بالنار والمرة دى هتصيب.
ثم انهالت السماعة عليها بجانب الأيام والأسابيع الثقيلة. اندمل جرح الجسد ولا زال جرح القلب نازف بلا توقف. جاءتها إرساليتين الأولى كانت باليوم التالي لوجودها بشقة والدتها، لم تكن إلا مظروف وصندوق تعلمه جيدًا. الأول يحتوي على عشرة الآف جنيه منهم خمسة الآف مؤخر صداقها والباقي نفقة المتعة التي لم ينالها إلا منها، والثاني كان علبة مجوهراتها، ترى كيف سهى عن ملابسها ألم يرسلهم أيضا أم لا زال يطالعهم لدقائق عدة ليختار منهم ما يناسب المساء.
الإرسالية الثانية كانت بعض من بقالة لم تطلبها، فطليقها الأول يعلم جيدًا إنها لن تقبل ماله وأيضًا رآها تخرج شبه عارية من منزل طليقها الثاني وتحتاج كل العون. قبلت الإرسالتين فالأولى حقوقها الشرعية والثانية بعضًا من حقوقها التى تركتها كرهًا أو حبًا. ولكن ماذا عن سر الحياة، قلبها النابض بغير جسدها، الحلم الذي أبى التحقق مع زوجها الأول وتحقق مع زوجها الثاني والثاني قرر القطيعة بينها وبين ابنتها.
كم من مرة حاولت الاتصال بها أو رؤيتها وباءت محاولاتها بالفشل، يقابلها الأب الصارم الذي لا يحب أن ترتبط ابنته بأم مستهترة مثلها ولكنها رأتها رغم أنفه. جلال لا يستطيع الطهو ولو استطاع ما يعده لن يلاقي استحسان الصغيرة فكان يصطحبها يوميًا للمحال الذي كانوا يتناولوا به الغداء في عطلة كل أسبوع. الصغيرة حزينة لم تذهب للعب مع أقرانها، رأسها مائلة للطاولة تعبث بالماصات العديدة التى أسقطتها عن الكوب الذي حواها. شعرها الأشقر المموج منسدل حتى خصرها وجلال يفضل جمعه بضفائر ولكنه لا يستطيع تمشيط شعر الصغيرة الكثيف. ترتدي كل ما يعترض عليه والدها ولا يسمح

بارتدائه إلا بالمنزل خوفًا من أعين المتربصين بطفلة لم تتجاوز السابعة يراها أبيها أجمل فتاة بالعالم أجمع لمجرد إنها تشبه أمه، ترتدي تنورتها الوردية القصيرة وتيشيرت أبيض بمنتصفه فتاة تشببها إنما منسدلة الشعر تدعى باربي، ترى كيف سمح لها بكل هذا التبهرج كما يردد بضيق أفقه. لا بد إن ذلك تعويضًا عن ما أفقدها أو غضب الصغيرة جاء رافضًا كل نصح من أبيها.

هاتف أبيها الموضوع أعلى الطاولة أعلن عن رسالة فرفعت ناظريها إليه وهجمت بيدها الصغيرة عليه لكن لاحقتها يد أبيها وسلتته من يدها، نظر للهاتف ثم ناوله لها بينما يقول بتهكم. .

-الرساله لسيادتِك

قالت بالألمانية بتملل. .

- أحتاج لهاتف خاص بي.

- النبي عربي. . الرساله مكتوب فيها إيه؟

قرأت الرسالة الألمانية ثم قالت لأبيها. .

- المدرسه عايزه فلوس حفلة الهالوين.

- الإيه ياختي؟

أجابته بتملل. .

- Never mind جلال. . . هاروح التويليت.

قامت عن كرسيها فقام معها والدها، لا تعرف إلى أين قد يتوجه فنظرت له متحيرة. .

- رايح فين؟

- هجي معاكِ.

- أنا مش هدخل تويليت الولاد هدخل تويليت البنات.

- هستناكِ ادامه.

- اوفه بقه مش رايحه.

ثم جلست مجددًا يهتز كيانها بالعصبية وحينها فقط سمح لها بالذهاب بمفردها، عيونه لم تفارق خطوة من خطاها المبتعدة حتى اختفت عن مَرآه. هذا هو جلال يخشى على ابنته حتى الهوس فإن تصادف وسعلت على أقل تقدير ظنه المرض الفتاك وأودعها المنزل ولا يسمح بتنزه في عطلات مهما تضرعت له لأنه يفضل السكينة حتى تتعافى تمامًا ولكن الصغيرة لا تتنازل عن عطلتها فيضطر أسفًا اصطحابها وحيدة للتنزه ولما تطلب الدخول للحمام يصطحبها لحمام الرجال بعد أن يخرج منه كل رجل، ويدخل برفقة الصغيرة ولا يسمح بدخول آخر حتى انتهائها ثم يخرج بالصغيرة بين شكواها منه بالألمانية، اللغة التى لا يفهمها حيث والدها لا يتقن إلى الآنجليزية والروسية بحكم عمله. كانت تلك الخطة، أرسلت للصغيرة رسالة نصية باللغة الألمانية التي تعلمتها أمها لأجلها لتستذكر معها دروسها فحواها إنها تنتظرها في حمام النساء لتراها وعليها أن لا تخبر أبيها بذلك، حتى إنها أوجدت للصغيرة الحجة كيلا ينشغل خاطرها بتأليف الكذبات رغم أن الكذبات أكثر ما تبرع به الصغيرة. لحظات ودخلت الصغيرة إلى حمام السيدات تبحث عن أمها حتى وجدتها فارجة ذراعيها لاحتضانها. انكمشت بين ضلوع أمها للحظات عديدة مررت بأقل من ثانية حتى تذكرت أن أبيها على الأرجح الآن يعد الثواني حتى تعود له ابنته. ذهب دفئ اللقاء لما أبعدت صغيرتها عن أحضانها بعض الشيء لتسألها. .

- عامله إيه يا حبيبتي؟

- إنت مشيتي ليه؟؟ انت زعلانه مني عشان قولت لبابي؟؟

- لا يا حبيبيتي مش زعلانه. . أنا بس عندي شغل كتير هخلصه واجيلك على

طول.
بكت الصغيرة بينما تقول. .
- هناوه بتقول إنك مش راجعه تاني.
أرسل في طلب الحية الرقطاء لتجالس الصغيرة لذلك الحية من تجيب على هاتف المنزل دائمًا وتسب وتلعن القاهرة والقاهرين الذي يشاكسوها بالهاتف.
جفتت فدوى دموع الصغيرة ثم قالت:
- فاكره لما كنت بزعل أنا وبابا وبعدين باخدك ونروح نقعد في شقة نانننا؟
أومأت الصغيرة بالموافقة فاستطردت. .
- أنا زعلانه من بابا. . وانت مش بتحبي تسيبي بابا لوحده. . شويه كده لما أخلص شغلي هجي أخدك ونروح نعقد في شقة نانننا.
- طب ما تيجي تقعدي معانا وخلاص ما كل مره بنروح عند نانننا بابي بيرجعنا تاني. . تعالي يا مامي هتنبسطي اوي حسام وآسر قعدوا معانا. . وبنلعب كوره في البيت عادي وبابا مش بيقول حاجه. . حسام عارف حكايات كتير وبيديني الحقنه ومش بتشكني.
ما هذا الكم من المعلومات، متى أرسل جلال لجلب أبنائه الذكور ليكونوا مع ابنته بلا أدنى رقابة، هو بعمله وأمه تتزين كعادتها. أي حَقن تحتاجه الصغيرة والذي يحقنها به أخيها الأكبر. وقبل أن تفهم شيء مستوفى من الصغيرة سمعت صوت جلال ينادي ابنته فهرولت الصغيرة ملبية ألا إنها أمسكت بها وقالت. .
- - إوعي تقولي لبابا إنك شفتيني. . أنا هجيلك هنا كل يوم
بكت الصغيرة فجأة بدون أي أسباب وقالت متعثرة بحروفها:
- انا. . مش. . مش. . هججججي هنننننا تاني انهاررررده آخر يوم.
سألتها لمَ فأجابت الصغيرة. .

-مش عارفه بابي قال كده.

ناداها جلال مجددًا ولكن بأعلى صوته وقد بدى الفزع على الصغيرة وزاد نشيجها، تحيرت نظرات الصغيرة بين الأب والأم حتى حسمت عنها كافة المقارانات في النهاية لما ضمتها الأم إليها مرة أخرى ثم ودعتها للقاء آخر لا تعلم عن ميقاته أي شيء. انتظرت للقليل من الوقت حتى عاد جلال بالصغيرة للطاولة ثم خرجت تهرول باحثة عن ميقات يجمعها بابنتها من جديد والقلق ينهش قلبها المحطم بأي حال. تزايد الخطر من حول الصغيرة شابين في سن المراهقة بمنزل وحيدين مع ابنتها، لم تكن أختهما يومًا لم تراهما بحياتها غير مرات تحسب على كف اليد الواحدة. يبغضا الصغيرة بلا أسباب كانا الأصغر بينهما يصيح بها أمام أبيه بلا خوف من عواقب ويبعدها عن أى جمع يكون به إنما الآن يلعب معها الكرة داخل المنزل في وجود حديقة كبيرة للفيلا أما الأكبر تجنبها تمامًا والآن يسرد لها الحكايا ويعطيها الحقن، اللعنة أي حقن. عادت لمنزلها يتخبطها المس الشيطاني يذكرها بكل جريمة قرأت عنها في الصحف إلا أن وافتها ذكرى أو تراه خاطر، ليكن إنما لم يكذبها يومًا و إن حاول قتلها لاحقًا؛ لهنا صديقًا ورفيق يستمع لها كما لم يستمع رجل لامرأة خاصة لو ابنته لهنا أبًا. داهمتها ذكرى أخرى أعادتها للعديد من السنوات أجمل السنوات السنة الثانية لها بالجامعة. اعتادت بكل خميس التنزه برفقة زميلاتها أو الذهاب للسينما، تترك أمها بالبلكون تدخن سيجارتها الوحيدة مع شاي الخامسة ومن ثم الاستعداد للذهاب لعيادتها للأطفال. ودعتها وخرجت ليومها لكن كان اليوم مختلف.

لم يكن جلال الزائر الأول للواء حمدي جارهم لأنه كان دائمًا يأتيه زوار متشابهين بالقامة المتوسطة الممشوقة والبشرة الخمرية التي لفحتها الشمس الحارقة لفحًا

وأحيانًا بالقسمات، يرتدوا نفس البدلات التى تخص طلبة الكلية الجوية ألا إن جلال الوحيد الذي كان ينظر لها بخجل ولا يبارد كما بارد العديد للتعرف عليها وردتهم، كان جلال إذ ما رآها يكتسب وجهه بعض الحمرة وتتكبد إذناه ثم يتحول ناظريه عنها لموضع إصبعه الذي يضرب الجرس بلا هوادة ولا يخشى غضب لوائه.

أغلقت باب شقتها ثم قالت. .

- أكيد مش موجود.

ارتفعت أهدابه إليها بخجل وقال. .

- بينا ميعاد.

لم تتمالك نفسها من رجل يخجل بمنتصف الثمانيات وضحكت بسخرية وقالت, -رن لبكره.

توالت زيارات جلال لجارهم والتي تكون دائمًا في يوم الخميس، بالساعة الرابعة عصرًا بالضبط يضرب الجرس ولا يستقبله اللواء فتخرج تحييه وتذهب لصديقاتها ككل خميس حتى بيوم اقتربت منه وقالت متساءلة:

- لما انت عارف انه يوم الخميس بيرجع متأخر بتيجى بدرى ليه؟

- عشان اشوفك.

وأخيرًا ذهب الخجل وكذلك لم تبالي. تبًا كم كان الخجل مثابر فقد بات يأتى كل خميس مبكرًا عن موعده يضرب الجرس بلا هوادة آملا برؤيتها ألا إنها امتنعت وأرادت أن ترى كل حيلة بجعبته إنما حيله كانت مزعجة مثله فقد طرق الباب بقوة هذه المرة حتى تحقق له ما أراد وخرجت إليه.

- وبعدين معاك انت ما بتهزهقش؟!

- افندم؟

- ممكن أشتكيك للضابط بتاعك.
- اللواء حمدى عبد الحكم يبقى عمي. . أنا الملازم جلال عبد المقصود.
عقدت ساعديها على صدرها وقالت. .
-وإخرت الإزعاج بتاعك ده يا جمال.
أجابها مصححًا. .
- جلال. . معرفتش اسمك؟
- ومش هتعرفه.
وأخيرًا توقف عن الإزعاج. بالخميس الذي تلاه نزلت كعادتها لم تجده فاستقلت المصعد منه للمدخل منه لأحدًا اصطدم بها بقوة أفقدتها توازنها فسقطت وسط بركة من الماء المتسخ صنعها البواب بعدما قام بتنظيف سلالم البناية حتى المدخل. كان مبتكر هذا الضابط الصغير فروحه المثابرة تأبى هزيمة ، تكتمت على ضحكاتها قدر الإمكان خاصة لما تجمع حولها العديد من المارة لمساعدتها على النهوض وحينها أبعدهم الضابط الصغير قائلًا بحدة زاجرة. .
- خلاص حصل خير كل واحد يروح لحاله.
وانقض جمع المساعدين ونظراتهم تشي بالحيرة. حصل الضابط الصغير على انفراده فبارد وناولها يمناه ليعينها على النهوض فلم تجد مفر. لامست راحته الخشنة المتخشبة إنما هو شد على يدها بقوة مفرطة وكأنه يجذب شباكه عن بحرٍ عصي الطرح، انتصبت واقفة تسحب أناملها عن يد الصياد العنيد الرافض كل الرفض فض التحامهما الأول إنما بعد نظرة مستنكرة ترك يدها أسفًا متأسفًا عن ما بدر. تركت الأسف والتأسف ونظرت لسروالها الجينز فاكتشفت أنه لم يعد أزرقًا وبات رماديًا موحلًا فتحولت لمسبب
- دي آخر طريقه في المعاكسه.

- أنا مش  بعاكس حضرتك.

لم تتخلى عنه ابتسامتها وهي تخرج منديلًا ورقي من جيب سروالها الجينز لتمسح عنه الأوحال بينما تقول. .

- أنا هقول لعمك عشان يديك جزا يا حضرة الضابط هو انت ظابط ايه؟

- طيار.

- تظ.

وعادت إلى شقتها يملأها التعجب من الريفي في زخم القاهرة الصاخب ولم يتبدل بعد إنما هى بدلت الجينز بفستان حريري ونزلت ليومها من جديد. وجدته بانتظارها وقد تكبدت أذناه مرة ثانية يبدو أن الفستان ناله استحسانه أكثر من الجينز إلا إنها لم تعيره الانتباه وتحركت بعيدًا عن بؤرته حتى نهاية الشارع لتستوقف تاكسي حتى قاطعها قائلًا:

-لو سمحتي!

نظرت له فأكمل. .

- معاكي ساعه. .  الساعه كام؟

ضحكت مرة أخرى بشدة حتى أحتقن وجهها بالحمرة تبعتها ابتسامة من الخجِل فقالت:

- ده انت غلبان اوى. .  بقولك ايه ما تجيب من الآخر.

- انت رايحه فين؟

- انت داخلك إيه؟

- ممكن أوصلك إحنا جيران على فكرة والجيران لبعضيها؟

أومأت بالرفض محافظة على وجهها البشوش أمام هذا الوجه البريء خاصة بعدما بدأ صاحبه بالتحدث عن ماضيه وحاضره بلا أية مقدمات.  أنه جلال

عبد المقصود مطر أنهى دراسته في الكلية الجوية هذه السنة وفي انتظار أوامر بالبعثة للخارج والمزيد والمزيد من الثرثرة زادت من تعجبها تجاه من يعرف نفسه على قارعة الطريق بهذه الحماسة غير المبررة، قاطعته. .

- أنا رجليَّ وجعتني.

- ممكن نقعد سوا نكمل كلامنا؟

- بس بشرط. . تيجي لعمك فى ميعادك وماتوقعنيش فى الشارع تاني.

تم الاتفاق وأبرم لما استوقف تاكسي وطلب منه اصطحابهما للنيل رغم وجود العديد من المحال بالكوربة خاصة ومصر الجديدة عامة. لم ينطق بكلمة طيلة المسافة الطويلة فجل ما فعله كان تجنب النظر إليها بالكاد إلى أن وصلا لوجهتهما، دعاها لفندق مكلف على النيل بينما يردد أنه سمع أن ذاك الفندق ذات إطلالة مميزة تستحق هدر وقتها الثمين مع مهرج مثله، لم تتعجب ممن ينعت نفسه بتلك الصفة أو من يهدر حقيقةً ثروة في لقاء أول لا يعول عليه مستقبلًا فعائلة اللواء مطر ثرية وهو ابن أخيه، كذلك ردد بأنه على دراية بأن مصر الجديدة بها الكثير من الأماكن الجيدة ولكن على الأغلب زارتها جميعًا كما أن جمال النيل لا يبدله جمالًا آخر. أومأت بالموافقة لما بدت جملته الأخيرة تسائل أكثر منه إثبات ثم تبعته لطاولة مميزة من داخل الفندق العائم ترى النيل وتموجاته الهادئة وتسمع تخبطه وتساؤلاته المتعثرة بخجل ليس من شيم سيد الفيضانات. .

- تحبي تشربي إيه حضرتك ولا تتغدي حضرتك أنا متغدتش؟

قاطعت ثرثرته. .

- لمون.

طلب الليمون من النادل ثم إجتر كلماته التي سمعتها منذ دقائق قليلة، ملازم

ثاني جلال عبد المقصود والكثير من عباد الله، الابن الخامس والأخير بين زمرة من الذكور، كان أمله بالحياة الالتحاق بكلية الجوية حتى تحقق وتعالي سقف الآمال ليكون من أوائل كليته ووفقه الله ليصبح من الثلاث الذين تقرر بعثهم لأمريكا بعد سنة من الآن. الطيار الصغير وعيناه الخجلة لم تفارق ليمونه ألا ببعض الأحيان لما يطالع اللوحات التشكيلية التي كست جدران الفندف كمن يراها لأول مرة وأحيانًا أخرى يجاهد ليقرأ علامات الدهشة على وجهها حتى تكلل جهاده ورنى بعينه إليها ثم قال. .

- وإنت مش هتحكي نفسك؟

- وبعد ماحكي عن نفسي؟

لم تستطع رد هذه العيون السوداء التي تركت الخجل وتسمرت على عيناها في رجاء يحسها على الإجابة فأجابت باقتضاب. إنها فدوى حسين تحسين الإتربي هى أيضا من أسرة عريقة لكن من زمن بائد، أبيها وأمها تزوجا ليحافظا على السلالة الإتربية إنما أبيها لم يتحمل المعيشة بمصر بعد نكسة الخامس من يونيو للعام ١٩٦٧وأصبح له حلمًا تشاركه الجميع وهو الهجرة، الهرب من أذيال الخيبة بعدما تجسدت هزيمة الوطن هزيمة فكر وروح أكثر منه أرضًا وحدود جغرافية فقد كلاهما كما يقول محفوظ، روح زهقت وفكر أسر من قبل من سموا أنفسهم أحرار. أحرار كما لقبوا أنفسهم وكانت لهم الحرية لتقاسم ثروة عائلتها إلى أن توصلوا لقصرهم بالمنيل واستولوا عليه بدوره، بداية زعموا أنه سوف يصبح متحفًا للأسرة العريقة ألا إنه أصبح سكنًا لأسرة أحد الأحرار. سافر أبيها لأمريكا مثل أغلب أعضاء عائلتها ولكن رفضت الأم الفكرة برمتها وفضلت الوطن الذي أصبح لا يطاق. غاب لسنين عدة حتى حدث الطلاق بهدوء شديد، هدوء جعلها تشعر أن أبيها لم يكن له وجود يومًا، ومن حينها انغلقت أمها

على نفسها كأي سيدة مطلقة مصرية وعاشت من أجلها فقط ومن أجل عملها الذي يوفر لهما معيشة كريمة. لما انتهت من حكايتها تذكر ليمونه وارتشف منه رشفة وحيدة إنما بدى عليه خيبة الأمل ثم قال مغايرًا ما بدى عليه. .

- ممكن أشوفك تاني؟

- ولو قولت لاء؟

أجاب بحماس روح أكتوبر التي انتهت منذ منتصف السبعينات:

-هجى لعمى من الساعه عشره الصبح. . وأطلبى من البواب انه ما يرشش ميه يوم الخميس عشان هدومك ما تتبهدلش.

ضحكت من قاع قلبها لأول مرة منذ سنوات فبادلها الضحك ببلاهة ثم استطرد:

-بتحبى المتنبي؟

تكاد تجزم بإنها سمعت هذا الاسم من قبل إنما لا تعلم من هو تحديدًا فأومأت بطفولية بالرفض فاستطرد مجددًا:

-المتنبى قال:

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه. . . . . ولكن من يبصر جفونك يعشق.

تعجبته من سذاجته أو طيبته لا تعلم أيضًا، فقد باح بما يقبع بسريرته في أول لقاء جمعهما رغم الخجل. أكثر ما حيرها سؤال جاب عقلها منذ التقته لماذا حبيب أو صديق لماذا هو تحديدًا أم لماذا الحب الذي ندين له بإنصياع أحمق للأهوال. لم يكن لها يومًا حبيب أو قريب وكل علاقة ربطتها برجل كانت الزمالة بالكلية أو النادي، خاصة بعد إرشادات أمها الصارمة فالرجال لا نفع منهم كما ترى أمها أيضًا ولكن جلال كسر أولى القواعد وليس آخرها. صوته المشحون بالحنان كسر كل حاجز وتخطى كل لافتة رفعتها ضد الرجال، كان

من طائفة أخرى من الرجال، رجل لا ينظر لسيقانها أو توقف نضاله عند طلب موعد غرام، نضال الطيار كان يكمن بكلمات فجرت بها الحياة التي أوقفتها بالقوة الجبرية حتى لا تتألم كما تألمت أمها ثم زميلاتها بالكلية الغارقات بالحب لآذانهن وتناسون الدراسة أو تعثرن بها، كلمات أجبرتها على غلق عيونها وأذآنها لمواكبة زخم الأفكار والمشاعر التي تتصارع داخله لأجلها. هل تحب العصافير، أجابته بالطبع تحبها ولكنها لم تفكر يومًا باقتناء واحدًا فعلم بمفرده لِمَ. فهو يراها فرس حرون أنانية وأحيانًا سادية تهوى إيلام ضعيف كما تؤلم من أضعفه حبها ثم صمتها واعتبار ما قاله مزحة، وحينها يتقبل السادية الأنثوية براحبة عاشق لا يتململ من سادية العشق. تكررت اللقاءات بغير أسباب معلومة على الأقل من ناحيتها إنما ناحيته المضيئة رجحت الصداقة البريئة والجيرة العزيزة التي تلح عليه بإيناس وحدتها. كان جلال رقيق شغف محب لكافة الأدآب فبكل مرة تتعالي عليه لتناطح اعتزازه بلغته العربية أمام لغتها الفرنسية تناقشه بكتاب قرأته لأحد كتابها المفضلين الفرنسيين فيفاجأها بأنه قرأ أكثر من نصف أعماله المترجمة ويبدأ بالنقد والتحليل وهى تكتفى بالتحديق به في تعجب أنزل لشفاه النحيلة ابتسامة يقين لما يدور بذهنها من تساؤلات؛ أي ضابط ذاك، أين يجد الوقت لقراءة كل هذا الكم من الأدب العربى والفرنسي حتى أنه يقرأ الشعر، فقد كانت أبياته سفير قلبه لقلبها لكلمات عجز عن قولها فأمسى متنبى سالف الأزمان ثالثهما. توقفت تدريجيًا عن التنزه مع زميلاتها ودخول السينما كل خميس، وباتت نهاية الأسبوع لفارس الحب الذي ضل الطريق عن العصور المنقرضة لعالم الواقع البارد ومدينة الثرثرة بلا فهم أو استمالة لفكر قد يوحد أمة ذهبت عنهم الوحدة منذ نصر أكتوبر المجيد. ربطتهما الأحاديث عن كل شيء وأى شيء إلا عن علاقتهما وبآخر كل لقاء بيتًا من الشعر ثم ينظر لها كأنه

يعلم أن لديها الكثير من أجله ولكنها تخذله وتودعه على أمل اللقاء بالخميس القادم. دون قصد سقطت بفجوة الحب أو مشت تجاها بخطوات ثابتة غير عابئة بمستقبل قد لا يأتي أبدًا فقد أصبحت تهفوا إلى كل الخميس لتستمع له ولآماله وطموحاته التى تحققت ولم يتبقى غير أمل واحد يأبى التحقق ولكنه رجح أن الأمل الأكبر يستلزم مشاقًا أكثر وهو أهلٌ بكل مشاق.

يلقى عليها الشعر الذي أضحى أحمال تثقل كاهلها، باحثًا عن إجابة، راجيًا رد ولكنه فى خلال شهور من الآن لن يكون بمصر ولن تراه إلا بعد أربعة سنوات وقد يكون قابل أخرى تنسيه أشعاره والأمل الكبير المتشبث بتحقيقه.

- عذبي ما شئت قلبي عذبي.... فعذاب الحب أسمى مطلبي.

فوجدت نفسها تقول له بلا مقدمات

ملكت قلبي وأنت فيه..... كيف حويت الذي حواكا.

أشرق وجهه لما تحقق من قراءتها لكتابه الثقيل أم أشرق لما استطاع الوصول سالمًا لميناء قلبها الخاوي، وحينها أمسك بيديها وقبلهما لتحظى بأول إرتجافة عشق ولمعة الأمل بالعيون. أهداها كتابًا قديم قيم جمع كل ما كتب المتنبي من أشعار ومعلقات يعود تاريخ طباعته للقرن التاسع عشر لا يقدر بثمن لينقلها لعصور الحب المنقرضة على مركبه الهادئ لتشارك أعظم ربان قابلته في حياتها الآمال. بادلته ما يصبوا إليه فرأت بعيونه رياح الفرح العاتية التي قد تقلعها من جذورها ليعاد حرثها بجذوره. لأنها أحبته خرجت الحياة من إطار الأبيض والأسود لألوان الفراشات، أغلقت الأفكار المتشائمة بالنغم الذي أودعه قلبها فتبعها لاهثًا أينما حطت. يفاجأها بيومهما المعتاد متعللًا بالشوق الذي غلبه ولا يذكر الغيرة التي سحبته من عمله وأجبرته على عدم العروج على بيته أولًا لتبديل ملابسه العسكرية ليقف أمام مدرجها حتى تنتهي من محاضراتها.

تعلن أعقاب سجائره المحترقة من حول قدميه وجوده الذي مر عليه عشرون دقيقة على الأقل، يقبل عليها عند خروجها من المدرج واضعًا حد فاصلًا بينها وبين زملائها فتيات وفتيان ثم يذكرها بتأخرهما على شيئًا هام لم يذكره أمس، تسأل عن الهام فيسأل عن السرعة. يحمل عنها كتبها ومعطفها الأبيض ويسوقها خارج كليتها ومن خلفهما تحترق الفتيات والفتيان غيظًا من حبيبة الضابط من كانت بالسابق رافضة حب إدعوه بل وكذبته حتى الضابط. توقف عن السفر لبلدته وظل ببيت عمه يتحجج بكثرة العمل أما هى تركت صديقيها الأقرب إنما السخفين علم النبات والحيوان لصوته هبة النقاء والصفاء التي هبت على حياتها، دائمًا يتخلله صوته لهفة حارة تستشعرها عبر الأثير تنقلها إليه على متن الأحلام الوردية لعناق أبدي تطوق له وقد تتخلى عن قوقعة سجنتها بها أمها وتهرب لفارسها. مقيدة هذه السماعة الشقية إلى يمناه لا تستطيع إنزالها رغم إنها تطلب منه إنهاء الحديث عن هذا الحد، فلديهم بالغد يومًا طويل سوف يقضياه سويًا فامتثل وهى من لم تمتثل وعاقبت قلبها المتخلي بطعنة بهذه السماعة حتى أتى الصباح وللعجب كانت حية لم تقتلها الطعنة. جاء متأخرًا كعادته وتسلل من حولها كل بغيض برد قرص أناملها وغبي يلتف من حولها ويتفحص قوامها حتى جاء جلال وقال بحدة. .

- شوف طريقك الله يسهلك.

سارع المتطفل بالخطى بعيدًا عن عيون جلال الغاضبة ثم نظر لها الثاني بنفس الغضب وقال:

- أنا مش قوتلك ما تلبيسيش التايير ده تاني في الشتا أحسن تبردي!؟

نظرت لتاييرها من الصوف الذي غزلته أمها بيدها ثم تحولت له قائلة. .

- ده صوف ماما اللي.

قاطعها بعصبية:
-عرفنا إن أمك طبيبه وغازلة صوف من الدرجه الأولى ممكن ما يتلبسش تاني؟
تمتت داكور ثم قالت. .
-إيه اللي أخرك؟
لم يجيب كان باديًا عليه الانشغال بأمور أعقد من يومهما فقد استوقف تاكسي واصطحبها لبقعتهما على النيل بلا كلمات ، هذه المرة جلستهم داخل الفندق رغم أن الجو مال للاعتدال وعادت الشمس للسماء إنما لم يغفر لها جرمها وأنزل عليها عقوبة المشروب البغيض الذي تكرهه؛ الليمون بالقرفة. .
- ما بحبوش يا جلال.
- مناخيرك حمرا هتاخدي برد. . يمكن اللمون يلحقك.
وجهها بالكامل تكسوه الحمرة من القلق المرتسم على قسماته دون أسباب وكذلك يرفض البوح بأية تفاصيل حول ما أغضبه بخلاف مخالفة أوامره بعدم ارتداء تاير من الصوف بالشتاء. جاء الليمون بالقرفة ولم تمد يدها تجاهه إنما اضطرت لإبتلاعه كاملًا بعد نظرة آمرة من عيناه.
- أنا عارف إن طعمه وحش بس مفيد. . واحد صاحبي ما بيشربش غيره. .
وشه طقه في الدمويه على طول.
قالت بتململ. .
- عشان منير أبيضاني اصلا يا جلال.
- وإنت إيش عارفك إن بتكلم على منير؟
- مانت مالكش اصحاب غير منير وعطيه وعطيه أسمر.
- مركزه إنت اوي. . ما تركزي في مذاكرتك أحسن.
- ما ذاكرت ونجحت وإنت ولا هنا. . فين هدية النجاح؟

- نجاح إيه. . انت طالعه بمادة. . هو ده نجاح !!
بدى على وجهها خيبة الأمل وقالت بحزن. .
- يعني مفيش هديه؟
- لا في. . نتغدي وبعدين نخرج تنقي اللي انت عايزاه.
ورغم الهدية القادمة والغداء المميز واللقيمات التي سددها لفمها والتظاهر بأن - مفيش حاجه- ما زال يبدو عليه التوتر حتى أنه أوقف شوكة الأرز المتخذة طريقها لفمه قائلًا. .
- أنا خلاص مسافر.
سقطت عن أناملها الشوكة وعبس الوجه البشوش الذي قلما حزن بوجوده فاستطرد بينما يربت علي يدها المرتجفة مطمئنًا. .
- إيه رأيك نجوز ونسافر سوا. . انتِ والدك فين فى امريكا؟؟
- ودراستى وماما؟
- إدرسى بره أو أجللي. . كل واحده بتجوز بتسيب بيت أهلها ولا هتعيشِ معاها العمر كله. . أنا هسافر الاجازه دى دمياط وهفاتح بابا فى الموضوع. .
أجى اقابل والدتك إمتى؟
لم تقوى على المعارضة فلديه كافة الإجابات لأى سؤال قد يطرأ على خاطرها، لم تستطع التطرق قط لمجال المجادلات مع الحبيب فقد كان يتغلب عليها بكل حجة وكل دليل، كان واسع المعرفة بشتى نواحي الحياة، يأتى بالحجج والبراهين من كل صوب ولا تستطع إلى الآنصياع إلى قوى الحب. لم يكن لرجل بنفسها كل هذه القوى فقد كانت دائما المجادلة الثائرة ولا تقبل برأيًا بخلاف رأيها الصحيح والآن أضحت لا ترى صحيحًا إلا صحيحه. العيون السوداء مسددة لعيونها تطلب إجابة وافية، أليس صحيح ما يقوله أم ترى حبيبته شيئًا آخر قد يكون

غفل عنه، أومأت بالموافقة متظاهرة بالسعادة القصوى فإلى أى شيء تطمح الحبيبة بغير حبيبها، أليس ذلك المعتاد بكل قصص العشق.

عادت إلى منزلها. . قبلت أمها. . دلفت لغرفتها ودون فواصل أخرى جثم على قلبها ثقل لا تعرف كنهه، لم تسعد مثل أي فتاة طلب منها حبيبها الزواج فقد كان الحلم يشوبه شيء. كيف تترك أمها بعد كل ما عانته من أجلها، عيناها لم ترى بهذا العالم إلا عيون أمها الساهرة والتى والتها كل الاهتمام والرعاية والحب، نست كل هاجس يطارد النساء من حب وائتناس بكنف رجل وكانت ابنتها هاجسها الوحيد. تركها والدها حتى قبل أن تلتصق له ذكرى بعقلها حتى كادت أن تنسى طلعته لولا بعض الصور التى أرتها إياها أمها لئلا تشوه علاقة ابنة بأبيها المتخلي عن عائلته بالكامل. ذهب أبيها مع مهاجرين ما بعد النكسة فهو لم يتحمل سرقة وطن لمرتين ببادئ الأمر ثورة يوليو ثم نكسة يونية وتبعاتها من إخفاقات. علاقتها بأبيها معالمها بضع جنيهات يرسلها مع مكالمة سنوية ليريح ضميره إن وجد. والآن سؤال النفس، بعد كل ما تكبدته والدتها من أجلها تتركها وهى فى أشد الحاجة اليها فقد شخصت أحوالها الصحية المتدهورة يومًا بعد يوم بالمرض الخبيث، وإن لم يهزها خبث ما ابتلت. أمست تخضع لجلسات علاج طويلة مؤلمة إنما برغم من ذلك لا زالت مبقية على عملها من أجل ابنتها الوحيدة الحبيبة الآن المتخلية بعد حين. أرهقها الفكر المبعثر بين ماضي يدعوها لتلبية نداء الإنسانية تجاه أمٍ، أم أرهقها أكثر الشعور بالذنب والشعور بالوقوع بالحب ولا بد من تباحث أجلته مرارًا، فحبيبها ينتظر منها مكالمة لتحديد ميعاد المقابلة الأهم بحياتهما. خرجت على والدتها بحماس بركان مستعر، وجلست بجانبها مبتسمة لتزف البشارة ولكن خمد البركان بل تجمعت عليه الثلوج وحمد ثورانه، من يصدق بإنها قامت بتأليف مئات من الجمل والأجوبة

المتوقعة لكل سؤال وكلًا ذهب فقالت ببساطة. .
- جلال عايز يقابلك.
تحولت الأم بناظريها عن التلفاز إلى ابنتها وقالت بامتعاض. .
- أخيرًا بعد سنة لف في الشوارع. . آخر حاجه كنت أتوقعها إن يعجبك فلاح لمجرد أنه لابس بدلة ظابط.
كلماتها المكررة لا تجده مناسب لابنتها لمجرد أنه نشأ ببلدة ريفية، ريفي سوف يقمعها ويجعلها خادمة ومربية أولاده، ريفي ولكن أحبته ومن قواها التي انبعثت من قواه قالت. .
- أنا مش فاهمه ايه اللى مش عاجبك فى جلال؟!
-انت اللى مش هتعجبيه. . هغيرك اكتر ما غيرلك. . ده إذا إجوزك أصلا!
بإصرار كل حمق كلل بداية ونهاية كل قصة لعاشقين أجابت أمها. .
- هنجوز يا مامى وهنسافر سوا أمريكا.
-ودراستك. . اه افتكرت انتى حبيبة الظابط مش لازم دراسه كفايه تتعلمى تكوى البدل بتاعته ده غير انك ما شاء الله عليكي السنه دى نجحتي بمادة من بعد التقديرات مش لازم تعليم أكيد ده ناتج من تشجيعه المستمر ليكِي.
انتهت المجادلة قبل أن تبدأ فقامت فدوى وقالت. .
- هقوله يجي بكره.
عادت إلى غرفتها تزفت لحبيبها الخبر، بالغد يأتي لخطبتها وتتحقق الآمال ألا إن دخول أمها عليها أخرسها فانتهت المكالمة مع أحدًا تدعوه حبيبها أمام أمها بلا حياء ناتج أيضا عن حماقة العشق، تنظر لها بآسى ولا تستنكر وتمط الأغلاط كعادتها. أمسكت ذراع أمها وجذبتها لتجلس بجانبها وقالت بعيونها السعادة:
- انتي زعلانه عشان هسيبك. . مش هيحصل انتِ هتسافرى معانا عيله جلال

كبيره اوى وأغْنيه جدا. . إتفقت معاه انه ياخد لنا شقه كبيره فتره البعثه وهما اربع سنين و نرجع. . اهو كمان تكملى علاجك هناك.

وأهًا من هذه النظرة وهذا الحلم الذى رأته الأم بعيون ابنتها فقد عشقت، لا تدرى بأي هوة قد ترمي بها نفسها، رجل يقمعها ويضعها داخل قالب لتخرج بالمعايير والمواصفات التى يريدها متجاهل أي طموح أو هوى غير هواه. لا ترى أمها سلاح أقوى من سلاح العلم الذى أمّن لها ولابنتها الحياة الكريمة، حبيبها هو السلاح ولكنه سلاح ذو حدين يحميها أحيانًا ويطعنها أحيايين لتردخ لتكون جاريته وجليسة أطفاله ولكن للابنة رأيًا آخر لم تتنازل عنه فالحب هو السلاح والرباح ومن بعده الخسران المبين. انتظرت أمها لقاء الحبيب الذى جاء متأنقًا بغير بدلته العسكرية وبدون عائلته أو حتى عمه جارهم الذى تربطه بهم علاقة ود قديمة، لم يتعثر بالحديث كما يحدث بالأفلام العربية القديمة فقد كان فصيح اللسان يطلب ما له بقوة حتى قبل أن يكون له، رقبتها أمها بينما تنظر له بتوق ابنة لأبيها وليس مجرد حبيبها فقد كانت مبتسمة أغلب الوقت ببلاهة الحب الاعمى تغزوها أحلام المستقبل الوردي والوعود البراقة. العريس المنتظر يملى شروطه علي أمها حتى قبل أن تبدى موافقة على الخطبة، حدد موعد الزواج ومكانه ببلدتهم حتى ميعاد السفر والحبيبة لا يسعها غير الابتسام الأبله. انتظرت أمها حتى انتهى أخيرًا وقالت. .

- وفيها إيه لو تتخطبوا دلوقتي ولما تخلص دراستها وانت ترجع من بعثتك يتم الجواز.

- وإيه الداعي؟

- أنا عايزه بنتى تكمل تعليمها وده مش هيحصل لو اتجوزت وهى لسه بتتعلم. . دراسة الطب محتاجه تفرغ.

---

نظر لها حبيبها منتظر منها الدعم فخاطبت أمها محذرة. .
-انا مش اتفقت معاكي إمبارح يا مامي؟
تجاهلت الأم ما لم تتفق عليه مع ابنتها وقالت للضابط:
- أهلك هيجوا إمتى عشان تتموا الخطوبه؟
- أول ما حضرتك توافقي.
- شرطي الوحيد ان مفيش جواز إلا بعد ما فدوى تكمل تعليمها غير كده أنتو احرار.
- يعني مش موافقه.
- انت اللي مش موافق. . خليك بالمستوى اللى بتحاول تظهر بيه ادام الناس. . وما تحاولش تأثر عليها بحبها ليك وتسيب مستقبلها عشانك
قام جلال بهدوء ليكون بمستوى سرايات العهد البائد وابتسم ولكن بمرارة وأذن منهما للذهاب، خرج من منزل الطبيبة ولم يعود مجددًا على الأرجح فنظرت فدوى لأمها بغضب عارم وقبل أن تصرخ لائمة حدتها مع الحبيب قاطعتها أمها:
- لو بيحبك بجد زى ما بيقول. . هيرجع ومش هتخسري نفسك.
ولكنها خسرت. . غضب جلال بشدة من ردة أمها الزاجرة وانتهت المكالمات والمقابلات حتى المصادفات على سلم البناية وسافر جلال لبلدته لأيام عديدة ولم يأتي منه خبر يهدد أو يهدهد القلب الملوع. عاد ولم يكلمها ولما حاولت الاتصال به لم يجيبها وأجابها عمه وكان الرد دائمًا جلال ليس متواجد الآن ثم بعد أكثر من شهر مكالمة منه يدعوها للقاء. لبت وانتظرت أسفل مظلة الترام، مكان تجمعهما المعتاد، لم يتأخر هذه المرة كان يقف بانتظارها تحت المظلة، ابتسمت بسعادة كل لقاء لما رأته ألا إنه لم يبادلها الابتسام وقال كلمتين فقط. .
- أنا أسف.

لم تفهم فيما الأسف ونظرت له متحيرة فاستطرد بآسى يصعب على جلال التظاهر به حتى لو بدافع المرح. .

-احنا مش هنقدر نكمل مع بعض.

نظرت له غير مصدقة لتلك المزحة الثقيلة وقالت. .

-انت راجع بعد شهر تهزر.

وبثبات تام ووضوح معتم وقسوة مهولة قال. .

-فدوى أنا اتضحلى اننا مش مناسبين لبعض أتمنالك إنك تلاقي اللي يقدرك.

وغاردها بكل بساطة فاستوقفته، فهي لم تكن لتنهي أبدًا القصة الشائكة على هذه الدراما القديمة، لا بد لها أن تعرف ماذا جنت أو ما الذي جنته أمها وأغضبه إلى هذا الحد:

-وعرفت إننا مش مناسبين لبعض من كلمتين ماما قالتهم؟!

قال بصوت يملأه مزيدًا من الأسى وقهر يصعب على رجل. .

-انا خطبت يا فدوى وهتجوز فى خلال شهر. . أنا أسف

أنه آسف، أنه الكابوس الذى راودها منذ انقطعت اتصالاته، تركها وذهب لأخرى يملي عليها شروطه بلا مجادلات ليست بصالحه الأناني. صدقت أمها المسكينة، لن يعود لن يتزوجها كان الضابط يملأ وقت فراغه بحلم الحب حتى وجد ما يناسبه وليس ما يهواه. . لملمت عيناها نظراته الآسية والآسفة بكل اذراء وقالت:

-انا مش فاهمه ازاى واحد زيك قدر يضحك عليَّ.

وانتهت دراما الثمانينات على الفيلم الرومانسي، لا للحب. تزوج الحبيب خلال شهر بالفعل وسكن بحى جديد يدعى رابعة العدوية ولم يسكن بقصر دمياط كما أراد لهما بالسابق، يبدو أن إرادة العروس نافذة على إرادتها وإرادة الضابط

الجسور. جاءت الأخبار التعسة من عمه رأسًا لأمها ليقطع كل صلة وكأنها لم تقطع بعد. اعتكفت بغرفتها طيلة صيف الأجازة الطويل تدخن بالخفاء أو العلن فلم يعد يهم. ترى العروس تستمع لأحاديثه الضجرة أم هي المخولة الوحيدة بهذه المهمة الشاقة، أحاديث وأقاويل وأحيانًا إثباتات دامغة لا يبحث أحد عن إثباتها ولكنها ادعت الإنصات أم لم تدعي فلا زالت تذكر أن الكورنة قلب مصر الجديدة الأنيق ودرة تاجها، جاء اسمها مشتقًا من الكلمة الفرنسية la courbe أي الخط المقوس أو المنحني حيث كان الترام يأخذ انحنائة في هذا المكان في رحلة عودته قادمًا من شارع فؤاد الأول الذي أصبح وسط البلد حاليًا فكان ينادي الكمساري البلجيكي الجنسية بكلمة الكورب ومن هنا جاء الاسم وجاء الحب لما سكن الكورنة وجاور درة تاجها وأميرتها بلا منازع على عرش قلبه؛ الأميرة فدوى. هو قال وهي صدقت.

قاطعت أمها ذكريات الأمس والسيجارة الثالثة التى اشعلتها منذ ثوان فأطفأتها متململة متحسرة خسارة خمسة جرامات من النيكوتين.

- براحتك إعمل اللي إنت عايزاه أنا من إمتى غصبتك على حاجه؟

تركت أضواء محال الكورنة المدهشة من نافذتها وتحولت لأمها مبتسمة تدعي المرح وإن كانت نفسها مثقلة بالأوجاع. .

- ده من باب الاحترام يعني.

كذلك ضحكت أمها وتقدمت منها أكثر لتربت مواسية على كتفها فإلتفت لأمها بالكامل واستطردت:

- عامله إيه وحشتيني؟

- إنت كمان وحشتيني. . بكره تنسي. . أول قصه دايمًا بتكون الأصعب.

- أول وآخر.

أو ما ظنته حينها. . طرقات على الباب أخرجتها من أولى الذكريات المريرة

لذكرى متجددة تأبى الزوال فتحت الباب قليلًا مجرد فرجة تظهر وجه الطارق الذي لا يتملكه الملل أبدًا وانتظرت جديد العروض ألا إن صاحب العرض المشوق ينظر لذراعها الممسك بطرف الباب الآخر لتمنعه من الولوج لحياتها من جديد ثم قال. .

-مش هتقوليلي إتفضل؟!

أجابته ببرود. .

- أنا لوحدى يا منير وست مطلقه وانت عارف كلام الناس.

- طيب. . عامله إيه دلوقتي؟

- كويسه. . عايز ايه يا منير؟

- عايز أساعدك.

- امشى يا منير أنا مش ناقصاك كفايه علىَّ اللي أنا فيه.

- أنا الوحيد إلى اقدر اساعدك واجيبلك بنتك لحد عندك.

ضحكت بإستهزاء واضح بينما تقول:

- ايه هتختطفها ولا هتقتل جلال ما هو مش غريب عليك طول عمرك مجرم.

- أنا عشانك اعمل اى حاجه بس ارجعيلي تاني.

قالت بإصرار:

- أنا مستحيل أرجعلك تاني وإنت عارف كده كويس، ممكن يكون جلال ضربني بالنار لكن عمره ما كدب عليَّ ولا خاني ، لو عايز تساعدني إبعد عني وسيبني فى همي ، وإعرف إنك السبب فى إنى مش هشوف بنتي تاني ، لما ضحكت علىَّ وتاجرت بموت مراتك على عشان تعرف تخرب بيتي لأنك عارف إني هبله وهسمع كلامك وهيصعب علىَّ عيالك اللي قولتلي إنهم محتاجين رعايه.

- يعنى مفيش فايده مصره تبعدي عني.

صاحت به. . إبعد انت عني وكفايه اللي إنت عملته لحد كده.

---

وأغلقت الباب بوجهه كما أغلقت كل باب للسعادة في طريقه. ما زالت على شغفها الضال بالضابط وإن أطلق عليها الرصاص. رآها قبل جلال وأبدى إعجابه بالقوام المتحير ولم تجاوبه مالكته إلا بنظرة تهكمية، أما الأحمق المحملق بها كمثل المراهقين نال منها ابتسامة فعاد للحملقة ونسى أنه يصعد درجات بناية عمه فكاد أن يهوى أرضًا لولا أنه أمسك به وقال ساخرًا:

- اسم الله عليك يا روح أمك، قوم يا عريس.

تضاحك صديقهم عطويه على الضابط الصغير بينما يقول:

- انت لسه ماكلمتهاش يا جلال، أفتحلك معاها كلام؟

نفض جلال الأتربة عن سرواله إثر سقطته على السُلم وقال بتهكم:

-لما تكلم مراتك أبقى إتشطر.

ثم إستبقهما حرجًا ليطرق باب عمه من تخبطه أمام القوام المياس. لما وصلا إليه قال إليهما مردفًا:

- محدش يقول لعمي على حاجه من اللي بتحصل.

حدجه منير بتعجب وقال:

-لما تبقى تحصل، جتك خيبه ما ضحكتلك خلاص مستني إيه؟

لم يجيب الضابط الصغير فقد أثر الصمت والكتمان على ما ترب في الخفاء. اجتمعوا اجتماعهم الأسبوعي للترفيه عن اللواء المتقاعد الذي يعيش وحيدًا بعد وفاة زوجته وسفر جميع أولاده للخارج. اللواء أوجد للصغير عروس مناسبة ويحاول إقناعه بخطبتها بالقريب بينما جلال يؤجل فكرة الزواج برمتها لحين

عودته من بعثته بلا أسباب إنما الأسباب معروفة يريد الصغيرة التى حتى لا يعرف اسمها الغريب ولكنه كان يعرفه -فدوى- يسمعه من أمها لما تصيح بها لطلب شيئًا ما ولا تلبي على ما يبدو فتنادي اسمها مرارا مقترن -بزفته- أيامٌ قلائل وانقطع جلال عن طلب الاجتماع الثلاثي واعتذر عن سهراتهم وانشغل بعمله كما تدعى حينها، شهور من الانشغال إلى أن اقترب موعد سفره للخارج ولم يقبل حتى بدعوة لوداعه مدعيًا الانشغال مجددًا. جاء يوم البوح بما تجيش السرائر لما طلب من صديقاه دعوة لشرب الخمر وهو لا يشرب الخمور ولا يرتاد كباريهات بوجهًا عام فدعاه منير لمحال يقدم الخمور وما شابه فوجداه بانتظارهما، الفتيات من حوله يتسابقن على صحبته وهو يعتذر عن كل صحبة بابتسامة رقيقة وناظرين مطرقين للأسفل حرجًا من فيض المفاتن المكشوف من حوله. متقلقل النظرات يسأل فيم تأخرهما بعصبية وإن كان هو المبكر عن موعد برمه، جلسا إلى طاولته فطلب جلال منه تحديدًا نوعًا من الخمور ليشربه مشترط أن يكون خفيفًا ولا ينعكس رائحته بفمه فطلب له البيرة ثم قال متقلقًا:

- خير يا جلال من إمتى بتشرب؟

قصة حب أوشكت على الانتهاء أو انتهت ويريد تأييدًا لإنهائها من أصدقائه فأجابه عطوية:

- وعايزنا رأينا في إيه، أمها رفضتك وأهلك رفضنها يبقى خلاص، أخطب البنت التانيه وأجوزها وراضي أهلك.

أجابه جلال بإنشته غير المفهومة أغلب الأحيان بأنه حائر لا يستطيع اتخاذ قرار التفريق أو الاقتران بغيرها، يشعر بمشقة سيزيف بكل يوم يمر عليه بدونها أو بدون رؤياها من الآن فماذا بعد الفراق. تبادل عطويه مع منير نظرات القلق

ثم قال الثاني:
- إنت بتقول إيه يا جلال، مين زيزيت، رقاصه؟
تأفف جلال قائلًا:
-مش فايقلك دلوقتي وقت تاني ابقى احكيلك سيزيف مين، قولى أعمل ايه؟
تطوع عطويه كعادته وإن لا يملك بينة:
- انت عملت خلاص وعملت الصح ابوك عنده حق، البت دى شكلها مدلع كده ومالهاش كبير انساها ركز فى مستقبلك.
- حاسس إنى ظلمتها.
أجابه منير بعلمه الواسع بطبائع النساء:
-انت طيب اوي يا جلال، عشان كده ربنا خلصك منها، أنا كنت بشوف امها الرجاله داخله خارجه من عندها والله أعلم هي ايه.
تهكم عليه جلال:
-وانت عرفت منين يا جوز الرقاصه ما أنا قاعد جنبهم طول وقت التكليف ما شفتش لا رجاله ولا حريم داخلين خارجين.
صاح به منير مأنبًا:
-ما تبطل يا جلال اسلوبك ده أنا غلطان يعني اني فتحتلك قلبي.
خجل جلال من كلماته الحادة وقال:
-أعذرني يا منير، أعصابي اليومين دول مش متحمله.
نعم هو زوج الراقصة أجمل وأرق ما رأى من نساء بحياته العامرة بالملذات. كان لا بد أن يتزوجها بعدما حملت أحشائها ابنه البكر؛ كريم ومنذ تلك البشارة وعدته بترك الرقص للأبد وتسليمه جميع أمورها المادية ليخرجا سويًا من دائرة الليل للإشراق. أنشأ شركته الأولى للاستيراد والتصدير ثم المقاولات وتوالت

النجاحات ليصبح أغنى من الصغير وعائلته أغنى العائلات بدمياط مسقط رأسه. لم يتذوق جلال مرارة الفقر يومًا ولكن هو وله الفخر جرب كل ما يجرب بالحياة حتى الموت واستطاع أن يبعث من جديد ليكون منير الدويري رجل الأعمال الكبير الأخطابوطي المدى ذو الأذرع الممتدة بكل تجارة داخل البلاد وخارجها.

انتهت قصة الحب بالزواج أحد الطرفين ثم سفره للخارج بدون زوجته رغم موافقتها على مرافقته إلا إنه أوجد كافة الحجج ليسافر وحيدًا. لم تنقطع زيارات منير للواء حمدي لإيناس وحدته علها تأتي الفرصة التى تأخرت لأكثر من سنة لأن فدوى تهدر كافة الفرص. أمسى عليها بادلته المساء الخيِّر وهرعت للمصعد، سبقها للمصعد بمرة أخرى وسألها عن حالة الجو اليوم فأجابته بأنه بارد في صيف ساخن للغاية ثم أوقفت المصعد قبل وجهتها واستقلت الدرج.

كانت فدوى الأولى والأخيرة من النساء اللاتى لم يجد طريق مختصر لهن فقد كان بالسابق مجرد كلمة أو نظرة منه قادرة على استقطاب أيهن ثم زادت مزاياه ولم يعد الوسيم اللبق فحسب وبات الأكثر ثرائًا ولم يفلح مع سليلة الإتربي أيًا من الصفات وفلح الأحمق القصير.

أيام بغيضة وغريبة أيضا مررت على البلاد ففي يوم الثلاثاء الخامس والعشرون من فبراير لسنة ١٩٨٦ انفجرت انتفاضة جنود الأمن المركزي في منطقة الأهرامات وتطورت على نحو واسع تفاجأ به كل فئات وجموع الشعب.

انطلقت الانتفاضة من معسكريين من معسكرات الأمن المركزي ثم تطورت الأحداث مجددًا وبدأ الالآف من الجنود بتنظيم مظاهرات إحتجاجية بعد أن ترددت أنباء تفيد بأنه تقرر مد فترة التجنيد الإجباري لأفراد الأمن المركزي من ثلاث سنوات لأربع سنوات، وأن تخفيضًا صغيرًا سوف يلحق بمرتبات الجنود

لسداد ديون مصر وكانت تلك حجة الرئيس الجديد الذي لم يقضي غير خمس سنوات بقصر الرئاسة ومن سنته الأولى أغلق سياسة الانفتاح باحثًا عن مصدر آخر للنهب فلم يجد غير المجندين الفقراء، وحينها تفاقمت الأزمة وانضمت ستة معسكرات أخرى للانتفاضة، ووقع ما لم يتوقعه أحد وثار الجنود البسطاء المهانون وخرجوا للشوارع لنقل مطالبهم البسيطة حاملين بنادقهم ورشاشاتهم في مظاهرات مسلحة من معسكرهم بمنطقة الأهرامات إلى الفنادق المجاورة وصبوا غضبهم العارم عليها ودمروا كل ما قابلوه بطريقهم من محال وأقسام شرطة بمنطقه الهرم. ساعات واستطاع الجنود احتلال منطقة الهرم بأكملها ومداخل طريق إسكندرية الصحراوي وطريق الفيوم وترعة المنصورية فقد سهت الحكومة أن قوات الأمن المركزي التي جمعت من القرى النائية وتم تدريبهم بطريقة تجمع بين غسيل الأدمغة والإذلال جيش موازي يتكون من مائتان وخمسون ألف جندي وإن أرادوا اقتحام القاهرة والجيزة بأكملهما لكتب لهم النجاح فمن أبرع من المهان بزلزلة الحصون المنيعة كما قدر لهم أن يعيشوا جنود طيعين في أيادي مرءوسيهم إلا هذه المرة فقد فاض الكيل خاصة لما رد الرئيس ردًا عسكري مثل خلفيته وأعلن الثالثة من صباح الأربعاء السادس والعشرون من فبراير حالة الطوارئ وتم فرض حظر التجوال في تلك المنطقة، وتوالت الأحداث ففي نحو السادسة صباحًا من صباح اليوم التالي استطاعت قوات الجيش السيطرة على منطقة الأهرام ولكن اشتعلت الانتفاضة أكثر وأكثر لتشمل كل معسكرات الأمن المركزي بمصر وتعالت أصوات اشتباكات الرصاص مع قوات الجيش التي كلفت بسحب جنود الأمن المركزي في جميع المعسكرات. وقعت أيضًا أحداث عنف في معسكر الهايكستب القريب من مطار القاهرة وفي الثامنة صباحًا تجمهر جنود الأمن المركزي بمعسكر لهم يقع

في شارع جسر السويس وبدأت الإشتباكات مع قوات الجيش بالمناطق الآهلة بالسكان والأغرب بدأ الوضع يتخذ منحنى آخر حيث إنحازت كتلة من عمال التراحيل والشحاذين والطلاب والعاطلين عن العمل لمشاركة الجنود ثورتهم وبدأوا في تحطيم الكباريهات والفنادق والمحال الفاخرة حتى تروع الآمنين وزرع الخوف بقلوب الجميع ما عدا قلبها هي، كانت تذهب لكليتها بسيارتها الـ١٢٨ البيضاء وسط الشغب والمظاهرات بلا خوف وأحيانًا تنزل برفقة والدتها بمنتصف الليل ولا يعلم متى عودتهم حتى نقل له أخبارهما اللواء حمدي. الأم تعاني من المرض الخبيث وبمرحلة متأخرة ونزول السيدات ليلًا يكون لجلسات العلاج التى أصبحت تتم ليلًا خوفا من بطش البلطجية نهارًا حيث اللواء استطاع استخرج ترخيص لفدوى لتتخطى حظر التجوال الذي فرض حينها، أيضا اللواء يدفع بعضًا من ثمن الجلسات العلاجية بالخفاء خاصة لما علم من الصائغ الكامن أسفل البناية أن السيدات بعن كل ما يمتلكن من مجوهرات ويحاولا أيضا بيع العيادة ولا يجدا شاري بهذه الأوقات العصيبة.

صرخات أتت من الشقة المجاورة لشقة اللواء فسارعا للنجدة ولكن قد فات الأوان، ماتت الطبيبة الأم وتركت الطبيبة الابنة وحيدة غارقة بالديون. ترى كم من الوقت تبقى للطبيبة ريثما تصبح أحد أوضح معالم ناديه الليلي الذي لم يستطع التفريط به حتى الآن؛ به العديد من الذكريات قد تكون بغيضة للجميع ولكن له كان الطريق الذي رسم له بدقة حتى يصل لغايته.

فرض مساعدته على الطبيبة الصغيرة من مراسم الدفن الائقة لأمها لمفاوضة صاحب العقار الكامنة بها عيادة أمها القديمة حتى يتثنى لها الحصول على تعويض مناسب للوريثة الوحيدة ثم لقاء طلبه اللواء حمدي منها يجمع ثلاثتهم ليدخل منير شقة الطبيبة لأول مرة. أرشدتهم لصالون أوبيسيون أثري فجلسا

ولم تجلس إليهما بل واختفت، دقائق وعادت بالقهوة ساهمة صامتة غير عابئة بالسؤال عن سبب الزيارة، صمتًا قاتل مهدر لدقائقه الثمينة التي قضاها بتأمل حصن الأميرة المزعزع أمانه. للشقة طابع الأميرات أو البشوات السابقين، مزهريات نادرة سجاد باكستاني وهندي، بورتيه كبير للإتربي باشا وزوجته أعلى مدفأة رائعة محفورة بالكامل بماء الذهب. فدوى زانها الأسود كما يبرزها أيًا مما ترتديه، الشعر البني القصير عقصته للخلف ضد حريته، والطاقة المتفجرة ذهبت عن وجهها الخمري الحزين حتى جلستها طالها الحزن. دائمًا جلستها تكون ساقها اليمنى أعلى اليسري لتتفاخر بالسيقان البديعة إنما الآن لملمت ساقيها إلصاقا إلى الجانب. بدأ اللواء بمديح رجل الأعمال الامع الأعزب حاليًا المناسب لفتاة تليق به وهذه الفتاة أمامهم الآن ويطلبا رأيها. لم يبدو على العيون العسلية إلى البنية التفاجؤ وأجابت بالإيجاب باقتضاب مستغرب بعض الشيء.

وضع فنجان قهوته بصحنه وقال:

-نحدد ميعاد كتب الكتاب وننزل نشتري الشبكه.

وهنا استوقفه اللواء حمدي ليلعب دور أبا العروس وقال:

-لما نسمع شروط العروسه الأول.

لم يستمع لشروط العروس فقد أملاها، فيلا تعون باسمها في القاهرة، شبكة من اختيارها، ومؤخر الصداق الذي تحدده بلا جدليات مستقبلية لن تكون بصالحه إن أبدى ضيق. وكما تمنى تحدد موعد الزفاف في دار الإفتاء المصرية كما أرادت والدتها لها بحضور خالتها وزوجها واللواء حمدي وعطويه كشاهد غير راغب بالزيجة بالكامل؛ بغض عطوية الفكرة برمتها، فهو لم يجد مبرر للاقتران بامرأة كانت لآخر. أوضح له منير إنها لم تكن لآخر فأوضح عطوية

أيضًا أن التنزه بالحدائق والمحال والجيرة الملاصقة تجعل فدوى امرأة مشكوك بأمرها ولكن ماذا يعرف عطوية عن النساء غير كونه قابلة لهن فالجميلة نقية بريئة كالحليب لم يطمسها رجل بوصمة لا براء منها. تم الزواج بهدوء تام لا يليق بفتاة بمقتبل العمر تريد من الحياة كل ما تحمله من مباهج فبارد هو بهدية تليق بالجميلة الحزينة. أرسل لها فستان بديع وحلي مترفة لترتدي كلاهما أثناء مراسم عقد القران ولكن لم ترتدي أيًا منهما وظهرت بفستان عاجي قديم، وككل زوج قدم لها خاتم العرس إلا إنها نحته لوقتٍ آخر لأنها كانت ترتدي خاتم عرس أمها من أبيها. لم يسأل أو يبالي وترك لها المجال حتى يفصح عن مجاله وذلك ما قد يسحبها له طوعًا، اصطحب عروسه لشقة والدتها كما أرادت، كذلك لم يكن له سكن خاص بالقاهرة يليق بها فدعاها لتختار أيًا من الفنادق حتى سفرهم لشهر العسل ألا إنها رفضت بلا مقدمات؛ تريد العودة بعد زفافها لشقتها. عاد بها متعثرة متخبطة من الآن تجاهد لصنع ابتسامة، تغيب الابتسامة المزيفة ويحل محلها الرهبة بل الجزع من اقتحام حصن نسائي طرد منه الرجال منذ زمن حتى هو.

أغلق الزوج الباب وتقدم من عروسه ليضمها إلى صدره وانتظر منها مبادلته لهفته ولكن لم يحدث ولم يبحث عن مدخل لائق أو غيره فقط قبلها قبلة واحدة على وجنتها اليمنى وقال:

-مش هتندمى على قرارك ابدًا.

وخرج من الشقة بين ذهولها. ماذا توقعت، بلطجي كما تساقطت منها بضع الكلمات عن ماضيه المستتر، يطالب بها زوجة بعد معرفة لم تتجاوز الأسبوعين.

حبيبها الأول لم يبخل عليها بسرد تاريخه كبلطجي سابق بكباريهات الهرم، بلطجي كان بالماضي البعيد طالب كلية التجارة القروي الفاشل من رواد

الكباريهات حتى أصبحت ملاذه فقد رأوا به نسوة الكباريه أكثر من شاب قوي بمقتبل العمر وتبع ما رأوه. بدايةً أصبح حاميهن مقابل حساب طاولته ورفقة بنهاية الليل ثم زاد الصخب وزادت الأعباء ولم تبخل السيدات كذلك وبعد الرفقة مبلغ من المال يعينه على معيشة أفضل. ذاع صيته من بداية الشارع لنهايته، وبعد عراك كل ليلة وممارسة بعض الرياضة الثقيلة بانتظام أضحى بلطجي كباريه الوردة الحمراء لمالكته ناتالي أخضر ليمتد الصيت الاذع. لم يعد حامي كباريه الوردة الحمراء فحسب بل فرض سيطرته على جميع المحال واكتفى من العمل بيده وأصبح له تابعون يقوموا عنه بالعمل وهو جامع اللذة بأنواعها وموزعها بمصاريفها. بالطريق أرسل له إرسالية من الروسيات النحيفات إلا واحدة منهن تحمل ملامح وقوام الشوام لكن باسبورها يتدعي إنها روسية، شعر أسود مسترسل ذو جذور شقراء عيون فذقية لامعة قوام شرقي بض ذو منحيات لا يمنحها جليد روسي ألا أن لسانها يتقن أربع لغات التركية والروسية والإنجليزية وبعضًا من الفرنسية. طلبت من مدام ناتالي أن تكون راقصة وليس ركلام ولم تجد صاحبة الملهى الليلي ضررًا ومن اليوم الأول كانت الروسية المحيرة مسار الجدل والتسابق على رفقتها، لا تقبل الفتات ترخي شباكها دائمًا على الأغنى وتلقى رواج، كانت أكثر الفتيات التزامًا بالعمل ولا تحتاج لنكزة التأديب المعتادة منه لحسها على إحسان عملها وبيوم ليس برواج طلبت خدماته، لم يتعجب فقد كانت عيناها عليه طيلة الوقت باستحسان واضح للعيان. عند انتهائها من برنامجها الترفيهي بثلاث صالات للرقص اصطحبته لشقتها في عابدين وانتهت الرفقة بغرفتها المكتظة بملابسها وحليها المزيف. تمطع بألم على سريرها غير المريح بالمرة ثم طلب منها بالإنجليزية بعض الشراب، فخرجت من الغرفة لجلبه على ابتسامتها اللامعة. اعتدل بجلسته لم يجدها مريحة أيضا وكأن

سريرها ذا مرتبة خرسانية من الاسمنت المسلح المتقلقل. هبط عن السرير وضرب بيده على المرتبة ليسوي الأقطان المحشوة إلا أن السرير أصدر أزيز معدني غير مرجح سماعه فالسرير كان خشبي الصنع. دق الشك قلبه ولم يعتاد أن يترك طارق شاك أو مستجير إلا ولبى ندائه، وحينها قام بقلب المرتبة وجدها مخاطة من أسافيلها طوليًا، تخللت أصابعه الخياطة المتعرجة فوجد العجب، رزمات من الإسترليني، سبائك وجنيهات من الذهب الخالص، جواهر أضائت عتمة الليل بل بزغت فجرًا مبكرًا كان هو أول من بشر به لينال معجزته من السماء عندما عادت الروسية المدعية بيدها اليمني زجاجة الكونياك وباليسرى كأسين، تحدق به وبكنزها بدهشة، أنزل الكنوز عن يده وسارع إليها متسائلًا إنما ببعض الخشونة فقد أمسكها من شعرها بقوة وقال بحدة:

-سرقتي مين يا بنت الكلب وهتلطينا معاكي؟

خشونته أسقطت عن يديها الشراب والكأسين أرضًا، ورغم الخشونة والحدة والصياح لم تخبوا بل صاحت به:

-ماني سرجاقه، دول مصاريَّ.

حدجها بتعجب وقال:

-إنت شاميه يا بت؟

-إيه، إترك شعراتي.

جذبها بقوة أكثر من شعراتها وصاح بها:

-مش قبل أعرف جايبه البلاوي دي منين؟

أبعدت يده عن شعرها وصاحت به بلا تخوف:

-قوتلك مصاريَّ، شقا عمري كِله، أنا بشتغل من وانا بنت إتناش.

هدأت حدته فرواجها ليس له إلا مصدر واحد؛ الخبرة التي اكتسبتها من عملها

على مر تلك السنوات الطوال بالبغاء. توجه للسرير مرة أخرى ليكمل سهرته مع ذي الرواج ولملم كنزها بينما يقول:

-لما إنتِ معاكِ الفلوس دي كلها ممرمطه نفسِك ليه؟

وبسرعة البرق توجهت إليه وجثت على ركبتيها وأمسكت بيده المحملة بأموالها وقبلتها بينما تقول بتوسل:

-مشان الله ما تاخدهم مني.

قد يكون بلطجي ولكن لصًا لسارق وخاصة من النساء لا ولذلك نفض الإهانة ويدها الممسكة بيده بتوسل وقال:

- حد قالك إني حرامي؟!

ألقى كنزها أرضًا وارتدي ملابسه للرحيل، وحينها قامت عن الأرض وقالت بحزن:

-راح تتركني وتفل.

لم يجيبها وأكمل ارتداء ملابسه فاقتربت منه وأردفت:

- بدي إياك تساعدني.

- عايزه إيه؟

- بدي أفتح نايت كلاب لحالي وتكون إنت البيج بوس.

استرعي الحدث انتباهه وقال:

-معاكي كام؟

ابتسمت وقالت بغناج:

-نتروق سوا وبعدين عد على كيفك.

ومن هنا نقطة التحول من بلطجي لمدير محال أضحى بشهور الأشهر والأرقى بين كل المحال. توقفت صاحبة المحال عن البغاء رغم المبالغ الطائلة والنفوذ

القوي الذي عرض عليها مقابل رفقتها، أعلنته راعيها الوحيد حتى بيوم زادت أطماعها وأرادت شرعية لم تلتفت لها يومًا إلا لنيل ما صعب عليها. مارست عليه ألعوب النساء المكرر؛ تحبه وانتظرت مبادرة إنما لم يقدم على شيء، هي صاحبة المحال وهو مديره ولديه ما يكفيه من أعباء، كذلك زواجهما قد يثير غيرة جمهورها المحب وحينها ينتهي العمل قبل أن يبدأ. لم تستسلم فقد تضخم الألعوب ليصير مؤامرة محبكة لا مفر منها خاصة لما صارحته بإنها حبلى منه وتريد الزواج والتوقف عن الرقص أيضًا. لما سمع آخر طلباتها كل ما أراده هو طرق الحائط برأسها الغبي مستجير ولكن تحامل على نفسه وترك حياة الليل للنهار بمسقط رأسه بدمياط في بيته الطيني الفقير، لتفكير متأني، لنظرة لما كان وما قد يكون إن كانت عودته للطين ومنازله ومنزلته نهاية. زاره الأصدقاء عطوية الذي كان حينها طبيب مقيم بمشفى المنصورة العام وجمال عبد المقصود الأخ الثالث لجلال وجلال صغيرًا فقد كان عمره حينها ستة عشر عام. سألوا جميعا عن سبب الزيارة فأجابهم بما يأرقه موجزًا وقبل أية تفاصيل قد يطرحها صديقًا حقيقي لقى ترحيبًا من أشباه الأصدقاء، جميعهم أيدوا قراره بالهرب من الشامية إلا الصغير فقد قال:

-ما تجوزها بدل اللي في بطنها منك، يعني هي كانت في الحرام طرية ونشفت في الحلال.

أخرسه أخاه قائلًا:

-أسكت يا جلال إنت صغير مش فاهم حاجه.

ثم نظر له واستطرد:

-كنت منتظر إيه أكيد كانت هتعمل عليك الفيلم ده في يوم من الأيام عشان تجوزها ولو رفضت هتخرب بيتك وترجع تشحت، قوتلك من الأول مالكش غير

دراستك وإنت اللي إتلهيت في النجاسه.
نظر لعطويه ينتظر تأنيبه فقال:
-سيبك منها وجمال يخلي عم عبد المقصود يشوفلك شغلانه.
أجاب الجمع متهكمًا:
-هيشغلني إيه، شيال؟!
أجابه جمال بتهكم كذلك:
-أحسن ما تبقى قرني الست.
جمال كان زميل دراسته تخرج في كلية التجارة بأعلى المراتب الشرفية ودرس الاقتصاد والآن أصبح مدرس جامعي، ويرجح لصديقه العمل بمغلق الأخشاب الخاص بأبيه بعدما أصبح شريك الحاج عبد المقصود بالعديد من التجارات. لم يبدي منير رحابة للفكرة ودعمه جلال لما فآجئه قائلًا بتأثر بالغ:
- أجوزها يا منير حرام عليك، ولو مش عايز تبقى بلطجي تاني بيع الكباريه وإفتح اي مشروع تاني وأكيد ربنا هيكرمك بالحلال
صاح جمال بأخيه الأصغر:
-حلال إيه اللي هيجي من عرق الرقصات !!
ومن حينها أمسى جلال من أقرب الأقربون فمنير لم ينسى يومًا أن جلال كان مفتاح السر لطلاسم الغيب المحجوب. لاقت استحسانه فكرة الصغير وباليوم التالي عاد منير للقاهرة يزف للشامية نيته للزواج منها ففاجأته مجددًا وجثت على ركبتها وقبلت يده شكرًا وعرفانَ. عرض عليها ترك حياة الليل نهائيًا فوافقت بترحاب وأزهرت الحياة بحلالها أو حرامها، وجاء الابن الأول، بضع سنوات وحملت مرة أخرى ولكن كانت عسرة الحظ، فقد نزفت الكثير من الدماء أثناء ولادتها المتعثرة واستلزمها نقل دماء على وجه السرعة إنما السرعة

ببلادنا أو حتى التأني لا يثمر إلا عن أخطاء جسيمة. نقل للمسكينة دماء ملوثة بفيرس سي وهي أسفل أكبر صرح طبي خاص في القاهرة وأصابها المرض المزمن وحينئذ انسحبت طواعيًا لمسقط رأسها لتربية الأولاد. اشترى لها منزل متهدم أعاد بنائه ليكون قصرها بالجبل، زعمت أنه كان مسكنها القديم وهدم عليها وعلى عائلتها بوقت حرب لبنان الأولى. أخفاها جيدًا برفقة ماضيه وأصبح منير الدويري ابن المزارع، العصامي أحد أعمدة زمن الانفتاح الاقتصادي. علم من أعلام الاجتهاد والاعتماد على النفس، مسح الماضي السحيق بمستقبل مضيء ولم يعد ينقصه غيرها، الطبيبة الشابة سليلة القصور لتكتمل الصورة المبهجة.

اليوم التالي لزواجه ولم يكن بشقة عروسه أو برفقتها بأي مكان فقد كان بفرع شركته بالقاهرة ينهي آخر الأعمال العالقة لرحلة انسجام طويلة مع العروس.

دق هاتف مكتبه الخاص فأجابت السكرتيرة التى كانت بجانبه تعرض عليه العديد من المستندات لفحصها وقالت، فدوى؟

أشار لها أن تناوله الهاتف والاختفاء عن ناظريه ليجيب المكالمة الأولى من زوجته، كان في انتظار الاشتياق أو دعوة للغداء على أقل تقدير ولكن دعته لنجدتها. سارع إليها تارك كل شيء من ورائه واستمع لآخر رحال العاشق. طرق حاد على باب شقتها استجابت له غير عابئة بمن خلفه فقد ظنته زوجها لم يقوى على البعاد إنما تفاجأت بجلال فابتسمت غير مبالية وقالت:

-حضرتك عايز مين؟

-انت ضعيتي نفسك بجوازك من منير يا فدوى!

همت لإغلاق الباب لكن أمسك به قبل رده بوجهه وأردف:

- قالك أنه مجوز وعنده ولاد؟

صححت له:

-كان مجوز.
-كداب ما يقدرش يسيبها هى صاحبة المال إتأكدي قبل ما تتوحلِي معاه.
-الوحل ده انت اللى تعرفه وعايش فيه يا فلاح.
ثم صفقت الباب بوجهه وطلبت زوجها للاستنكار وليس الإنقاذ، لم تطلب تأديب من نسى إلى أين حط المقام العلي، بل وتسأله الترفق بساذج هيأت له الشياطين أن تكون حفيدة الإتربي له بيومًا من الأيام وإن كانت عائلة جلال العريقة من رفضت فدوى رفضًا قاطع لأن أبا جلال قام منذ سنوات عديدة بخطبة ابنة صديقه المقرب لولده وهو من أجبر جلال بترك فدوى بعد قصة عشق ملتهبة.
حفيدة الإتربي تنظر إليه متعجبة من ردة فعله الهادئة يبدو إنها انتظرت ثورة وتوعد للضابط الصغير جزاء تجرؤه على ما ليس له وللبلطجي ولكنها تغفل معلومة أخرى عنه، منير ليس لديه هذه الحاسة الغبية التى تتملك الكثيرون لتفقدهم تركيزهم وفطنتهم، فالغيرة لم تكن يومًا من شيمه. ولمَ يغار لديه كل ما يحسد عليه من الآخريين وأخر ما قد يحسد عليه الجميلة بملابس نومها الحريرية السوداء:
- مالكيش قعاد هنا هحجزلك فى اوتيل لحد ما فيلتك تخلص.
- ما تقعد معايا هنا.
- عندى شغل ومش هكون مطمن عليكِي، جهزِي نفسِك
لحظات وخرجت عليه وقد ارتدت الفستان الذي أرسله لها مع مرفقاته، تحمل حقيبة سفر صغيرة، حملها عنها واصطحبها لفندق نيلي فاخر. أرسل أمتعتها لغرفتها ثم رافقها لمطعم الفندق للغداء، وقبل أن يأتي الغداء نقلت له أهم طباعها ثرثارة من الدرجة الأولى، متى وأين وكيف ولِم أسئلة عديدة كومتها

لدفعها مرة واحدة بوجهه، تريد أن تعلم قصة حياته الآن منذ البداية حتى هذه اللحظة وكأن ذلك في وسعه. لم يكن هذا الغداء أول لقاء جمعهما فمن قبله كان غدائين سادهما الصمت القاتل، حسبها طبيعتها الهادئة ولكن لم تكن هادئة على الإطلاق. جاوبها بما يليق أذنها المرهفة وعيونها الخجلة أحيانًا حتى انتهى الغداء وأسئلتها فحان دور سؤاله:

- ليه ما حبتيش نعمل فرح؟

- عشان ماما.

كاذبة الفرح دليل على السعادة وهى لم تأتها سعادة من ناحيته حتى بعدما تزوجته بمحض إرادتها.

- متأكده إن ده السبب الوحيد؟

- هو ممكن يكون في سبب تاني؟

- ممكن عشان واحد فى سنى هيبقى شكله يضحك فى الكوشه، أنا ما عملتش فرح فى جوازى الاولانى، وكنت عايزِك تعملِي كل حاجه بتحلمِي بيها.

اتسعت ابتسامتها الدبلوماسية وقالت:

-لو مصر ممكن حفلة نعزم فيها إصحابك وبعدين أنا أصلا عملت كل حاجه بحلم بيها لما إجوزنا.

وأخيرًا قالتها ولو منقوصة، انتهى الغداء والثرثرة وحلّ الهدوء مجددًا أو الترقب لِما آن أوانه وتأجل لليلة ويوم إنما عيونها زائغة بكل ما حولها لتتحاشى عيونه ولكن إلى متى. دعاها لرؤية غرفتها المؤقتة، لم تكن غرفة في الحقيقة فقد قام بحجز جناح ملكي للأميرة التي لم ترى مثيله طيلة حياتها ذو السنون الثمانية عشر، تلفتت بعيونها بأركان الجناح حتى حطت على عيونه واتسعت ابتسامتها إنما ليس بدبلوماسية هذه المرة فقد تأكدت من حسن الخيار.

---

-عجبتك الاوضة؟
أومأت بالموافقة فاستطرد:
-كويس، ورايا كام حاجه متعلقه، نتقابل على العشا.
تقدمت خطواتها منه وقالت بأريحية تميل لبرائتها:
- انت هتروح الشغل دلوقتي؟
ورغم إنها لم تأتي بجديد وتسأل سؤال أجابه منذ ثوان قال:
-ممكن أددي لنفسي أجازه، لو تحبي؟
لم تجيب فأجاب نفسه التائقة لهذا الجمال وأجابها:
-أنا تعبان إنهارده نقضي اليوم سوا.
يومًا حقًا؟ ترك العالق والساكن من الأعمال المترامية بكل أطراف العالم وتفرغ للعيون البنية الامعة. نعم أعجب بها لما رآها أول مرة ولكن حسبه إعجاب جسدي زائل عند شربة هائنة للشهد المتصبب على هذا القوام المحير ولكن ظل صديان لينابيعها الريانة. القوام البكر عاد به لعشرون عام من عمر ذهب بالكر والفر، أعاد له شباب ضربه الشيب قبل الأوان. ضحكاتها تملأ عليه الفراغ الذي يسكنه، ثرثرتها يسمعها كلحن لا يمل منه أبدًا رغم أنه لم يميز أغلب محاوراتها له واكتفى بالمسايرة. زال الحزن عنها لما اصطحبها لعالمه، أرادها أن ترى العالم معه فطار بها لأوروبا واشترى لها كل ما وقعت أعينها عليه بلا تقيد فقد أراد للـلحن أن يستمر بلا انقطاع. اصطحبته للكثير من الأماكن السخيفة التى وجدها مضيعة للوقت، متاحف وكنائس وعروض موسيقية لا يفقه بها شي.
بالأمس البعيد كان لا يستمع إلا لسيدة الغناء العربي إنما أمسى الآن يستمع لسيدته هو فقط وهي تتغني لعلاء عبد الخالق. كانت فدوى محبة للمرح والغناء والرقص لا تمل منهم بأي وقت أو بأي مكان ولكن أرهقه هذا المرح،

لا ينفك يراها تتمايل بالقوام الندي الذي لم يطئه غيره حتى يصرعها باشتياقه الذي لا يهدأ بينما هى تضحك وتندي الأجواء بضحكاتها الرنانة. لم تكن كغيرها من النساء فلم يعرف من مثلها من قبل، فقد انحصرت علاقاته على الراقصات الاتي طمعن بالحماية التى كان يأمنها لهن بقوته البدنية ولا ضير إذ حَصَّل منهن ضرائبه الخاصة من أجسادهن الاتى تشققت من سهام النظرات الجائعة، أما فدوى هى من جذبته إلى عالمها. اصطحبها للمطاعم الراقية والحفلات الأبورالية وكل ما وجده مناسبه لسليلة القصور ومناسب أكثر لإبرام صفقاته ولكن أبى الشباب بهذا الملل، تبعها إلى المقاهي الباريسية التي تقدم لحم الكلاب على هيئة بسطرمي إلى جانب القهوة والشِعر وباقي الفنون المخربة من لطخات طلاء وعزف مزعج. اضطر إلى تعلم الإتيكيت على يد الخبراء ليواكب العالم الذي اقتحمه ليوازي واقع رجال الأعمال الذين يخالطهم من كافة البلدان لكن جعلت منه فدوي مادة للسخرية. فدوى بالمقاهي لا تستخدم أدوات المائدة أبدًا وتأكل بيدها كل شيء وتجبره بفعل المثل حتى لا تكون الهيبية الوحيدة بفرنسا، فامتثل للعيون الواثقة من حب حبيبها وطاعته العمياء لها.
ترتدت الجينز تاركة من ورائها الفستانين الراقية؛ تأكل شطيرة البسطرمي بنهم ثم نظرت له ليفعل المثل لكنه لم يقوى على ذلك، مجرد رائحة الثوم النفاذة أفقدته شهيته إنما عادت شهيته لما عبأت الشطيرة باللحم ومقبلاته بأصابعها ثم دفعت الشطيرة لفمه، وللعجب بعد قضمة واحدة نالت رضائه كلاب باريس.
سحرته الصغيرة جذبته عن كل حزن وذكرى مؤلمة ولم يعد يذكر غيرها، عشق كل ما بها، لم يجد بها الشر الكامن بداخل كل أنثى للاستحواذ الكامل فقد سقط ببراثنها بأي حال. لم تكن ماكرة أو شبقة أو حتى ذكية إنما تمتلك ذكاء حسي زاد من تعلقه بها. أصبح شهر العسل أربعة أشهر من العسل الصافى الذى لم يتعكر

لو للحظة واحدة رغم إنها كانت حادة الطباع ألا إنه يقابل عصبيتها بحب مستعر لا أمل بإنطفائه بالقريب أو أبعد البعيد. لاحقه العمل إلى عالمه، عالم وجده أخيرًا، واضطر للانسلاخ عن عالمه الأمثل لمتابعة العمل، فحزنت العيون البنية واحتجزته رغم أنفه في الفندق وحينها اضطر لطلب سكرتيره لموافاته في باريس والعمل داخل غرفة الفندق. عمل مع سكرتيره تحت مراقبة العيون البنية لساعة، لم يستطع التحمل لأكثر من ساعة، فالعيون البنية بهذه الساعة بدلت سبعة فساتين، رآها بكل طلة امرأة أخرى، جمال أخر، سحر آخر لم يلمسه، فبكل مرة كانت تخرج عليه بفستان جديد وتسأله أيهم أنسب لعشاء الليلة. فى هذا اليوم جرب شعور آخر لم يجربه من قبل؛ الغيرة وتلك سابقة. الفتاة ذو الثامنة عشر أدخلت إلى قلبه هذا الشعور البغيض الذى أشعله، فقد كانت عيون سكرتيره تسبق عيونه للحكم على الفستان الأفضل. بتهذب جم علّه يخفي ما وصم من جديد مسببته ذا العيون البنية طلب من السكرتير المغادرة بالفستان السابع وترك الأوراق لمراجعة متأنية، إنما السكرتير يلح بإنهاء الصفقات العالقة لئلا يلاحقها آخر مما جعل عيون السيد تتحول لتملل يليه. . لم ينتظر السكرتير ما يلي فما إن لمح غضب السيد إلا وخرج من فوره تاركًا إياه بين قبضتي الجميلة التي اقتربت منه تنظر له فى حيرة متسائلة، ألم يعجبه أيًا من الفساتين فعاد ناظريه للمستندات الهامة التي وجب عليه مراجعتها ألا إن الجميلة جلست أعلى الطاولة لتسقر مؤخرتها علي الأوراق لتعيقه عن عمله وغضبه المكتتم. خلعت عنه نظارته الطبية وابتسمت بينما تقول:

- أنهي واحد عجبك؟

حانق غاضب مثار مزيج لم يختبره جسده من قبل فقال بحزم قبل حماقة مرجحة:

-بطّلي لعب عيال.
نظرت له بشغف لا ينقطع وقالت بتعنج:
-خلاص نلعب لعب كبار.
ذهب الغضب وحلت راحة تبعت كل حرف يخرج من فاها فقال:
-والحفله بتاعتك؟
حاوطت رقبته بذراعيها وقالت:
-تُظ.
ظل محتجز بعالمه لثلاثة أشهر أخريين حتى ألح عليه عالمه الأول بالرحيل، توقفت الأعمال وفي حاجة لصاحبها الغائص في العالم الجديد. قص على حبيبته مأسآته وبدى عليها خيبة الأمل ولكن لا بد للعب أن ينتهى فعاد بها لبيروت مسقط أعماله لتسكن معه قصر من قصور من الجنة. على بوابة القصر الحديدية السوداء يافطة حفر عليها بماء الذهب قصر فدوى أما عن صاحبة القصر فقد كادت أن تطير من الفرح عند رؤية قصرها ألا إنها طارت بالفعل وحطت بين ذراعيه. كانت تعلم أنه ثرى ولكن ليس إلى هذا الحد فالعيون البنية لا تصدق ما تراه. عبأ القصر بلوحات الفنانين العالميين وأثاث فاخرًا أغلبه موّقع من قصور ملوك وملكات العالم أجمع، حتى السقف كان لوحة فنية فريدة أرهقت رقبتها لأسابيع حتى استوعبت رسوماته، علم أن ما كلفه ما لا طاقة له به سوف يبهر سليلة الإتربي إنما شعر أنه استرد ماله عندما لمح لمعة الرضا عن خيارها بعيونها. انشغل عنها بأعماله العالقة منذ زواجهما وتركها لقصرها وللهاجس الأكبر الذى شغلها بكل قوة؛ حلم الإنجاب. فقد مر على زواجهما سنة ولم يحدث حبل بعد وبدأت تلجأ للأطباء إلى أن علمت منهم الحقيقة المريرة، لديها عيب خطير يجعل من الإنجاب حلمٌ مستحيل وعليها

الخضوع لفترة علاج طويلة ومن حينها بدأ عالمه في التداعي. تبدلت أحوالها وأصبحت أكثر عصبية عن ذي قبل، ترتابها أفعال وأقوال لم تكن لتلفت لها في بداية زواجهما. صبت عصبيتها على الجميع خادمي القصر، موظفيه حتى هو نال ما يكفيه وزاده، تحمل من أجلها الكثير لكن تسلل له الضجر وراوده هو الآخر حلم الإنجاب، فقد تجاوز الأربعين من عمره ويملك ثروة طائلة وكل ما لديه طفلين فقط وأراد المزيد فقرر أن يعطيها الفرصة كاملة لتستمر فى العلاج علَّ الحلم يتحقق لكن هى لم تعطى لنفسها الفرصة وزادت حالات هياجها حتى فى يوم جلسا للغداء سويًا وقالت:

-انت بتشوف ولادك إمتى؟

-على حسب وقتي.

-أنت ليه مش بتجيبهم هنا عشان أتعرّف عليهم؟

-عشان ما تتضايقيش.

وبدلًا من مساندته صاحت بعصبية:

-وإيه اللى هيضايقنى ولا خايف أحسدهم وأغير وأحقد عليكوا؟

إلتهى بالطعام وتركها لعصبيتها، فلملمت شهيق طويل إكتتم على غضبها ثم استطردت:

- إنت بتشوفهم فين؟

- فى بيتهم إللي على الجبل.

صاحت مجددًا:

-إنت إزاى تسمح لنفسك تزور طليقتك، اه إفتكرت أكيد خايف تغضب عليك وتسحب فلوسها.

قام وترك الطعام فلم يعد ليتحمل أكثر من ذلك، تغار من كل شيء من موظفاته

بالشركة، زوجته المريضة التى لا تتحرك تقريبًا من فراشها حتى من أولاده التى تدعي حبهما، انشغل بالعمل وليس بشيء غير العمل ثم راوده الحلم من جديد، لم يبحث عن الأجمل فمعه أجمل النساء ولا الأكثر ثراءً فقد بحث عن أكثرهن خصوبة، ووجدها كانت سكرتيرة أحد المهندسين لديه. فتاة نحيفة مطلقة ولديها ابنة وحيدة، بمجرد أن ترقت لتصبح سكرتيرته بدأت هى ترسم الخطط ومشى على خطاها حتى وصل وتزوجها سرًا. حبلت بعد شهر من زواجها وبدا عليه الفرحة وأهدى زوجاته الثلاث المجوهرات واصطحب فدوى فى رحلة أخرى حتى تهدأ أعصابها قليلًا ولكن هيهات صاحبتها عصبيتها أينما ذهبت. عاد بها إلى لبنان مرة أخرى وطلب منها أن تعود للقاهرة لتغيير الأجواء المضطربة، فرفضت وأصرت على البقاء معه.

كانت فدوى مدعاة للفخر حقًا أينما طلب منها أن تعد لحفل بالقصر أو خارجه كانت تعده أفضل من مصممين الحفلات الذين كان يؤجرهم قبل حلولها عالمه.

كانت حقًا سليلة قصور رغم إنها لم تولد بأحدهم فقد ولدت وتربت بشقة بعقار بمصر الجديدة كانت آخر ممتلكات أسرتها بعد التأميم.

تمشى بين الحشود برفقة زوجها كأميرات الأساطير، متبخترة بما صنعته لها بيوت الأزياء الفرنسية، حتى الحلي كانت هى من تصممه ليتماشى مع أزيائها ويدفع الزوج بكل بحب وامتنان، فمجرد وجودها بجانبه أشعر كل من حوله أنه لم يعد منير الدويرى بلطجى الكباريهات، الشاب المتهور الذى كاد أن يفقد حياته أكثر من مرة بسبب مختلف التجارات المشبوهة التى جربها لكسب المال السريع، فقد صعدت به زوجته لبُعد آخر انتظر اعتلائه منذ زمن. كانت تقدم لمدعويها باسمها الرباعى فدوي تحسين حسين الإتربى ابنة الطبيب الشهير تحسين الإتربي حفيدة الإتربي باشا، فيجدها تبسم متحيرة حيث تجد نسبها

تكلف في غير محله. ما إن يتركها بحراسة حارسه حتى تبدأ تنهال عليها الأسئلة من الجميع ابنة طبيب مشهور وطبيبة سليلة عائلة كبيرة كيف يتنهى بها المطاف مع السفاح منير الدويرى فتجيب برقتها؛ الحب. سمعت من الجميع قصصًا تقشعر لها الأبدان عن زوجها المحب الذى لم ترى به هذا الجانب أبدًا، فهو لم يصعّد معها أى خلاف منذ أن تزوجا. فمجرد أن تبدأ بعصبيتها يتركها لتهدأ فتعود هى له آسفة على ما بدر منها، وحينها يبتسم لها ويربت على كتفها بحنو ويقول:

-ما بعرفش أزعل منك.

لم تزعجه أو تزعج نفسها بسؤاله عن ماضيه واكتفت بالحاضر، تجاهلت الحاسدين وانشغلت به وكان ذلك أول صدع بالعلاقة. لاحظت تزايد مشاغله وغيابه المستمر والمكالمات التى أصبح يتلاقاها بعيدًا عنها. أيضًا كانت تشكوا دائمًا من الوحدة والفراغ ومرة واحدة توقفت عن الشكوى ووجدت ما يشغلها وكان هو مجددًا. تظاهرت أمامه بالهدوء وتقبلت إرادة القدر بعدم الإنجاب وعادت فتاته المرحة من جديد تشغله عن باقي الزوجات حتى احتدمت الثورة وكلًا من الزوجتين الآخرتين أرادت نصيبها منه حتى سكرتيرته التى علمت مكانتها قبل الزواج طالها الغرور بعدما رزقت بالولد الثاني. عاد لانشغاله من جديد ولم تثقل عليه فتاته بل ساندته لأول مرة لينهي أجازتهما الخلوية ويعود لعمله وهنا بدأت مراقبته حتى علمت أولى الحقائق.

انتظرته في ليلة كان عائد قبيل الفجر وتكون نائمة على الأغلب. وجد أضواء القصر بالكامل مضائة وهى بانتظاره ترتدي ملابسها للظهور بالخارج وأمامها حقيبة سفر كبيرة وبمجرد دخوله صاحت به:

-انت كداب وخاين.

-في إيه يا فدوى؟
-كنت فين؟
-فى شغل.
-انت كنت فى بيت الجبل عند طليقتك هى طليقتك بجد؟
اقترب منها وقال:
-وفيها لما أكون في بيت الجبل مش بيتي اللي في ولادى.
-وطليقتك صارحني يا منير هي لسه على ذمتك؟
لما ناولها حقيقة طلبتها بإلحاح انقبض صدرها المتهدج ولمعت عيونها المتماسكة عن الدمع واتخذ القرار فقد حملت حقيبتها استعدادا للرحيل. أمسك بها وقال:
-ممكن نتكلم و بعدين تعملى اللى انتِ عايزاه؟
لم تكترث لتبريرات وهمت بالخروج فذهب إليها مانعًا روحه من ترك جسده بلا محاكمة عادلة:
-أنا عارف أن عقلك أكبر من سنك وقلبك يساع العالم، ما تخليش العصبيه تخسرنا كل حاجه، إسمعينى وبعدين إنتِ حره.
أنزل عن يدها حقيبة السفر الثقيلة واصطحبها لجلستهما المفضلة أمام المدفأة الرخامية وأعلاها بورتريه لجمالها الصداح. أجلسها على الكنبة وجلس إلى جانبها وشرح لها معاناته بلا مرواغات. لا زال زواجه الأول قائم لأنه لم يستطع تطليق زوجته الأولى بعدما عاشت مرة ولم تتجرع غيره. بدأ تجارته بمالها حتى أصبح ما عليه الآن، مدين لها بالكثير وسوف يظل أسير فضلها لبقية حياته ولكن أسر مرة أخرى من قبل صاحبة العيون البنية التى اضطرته للكذب حتى تكون له فهو يعلم عن روحها الحرة الهوجاء التى لم تكن لتقبل برجل متزوج فخاف

الخسارة وفدوى خسارة لا تعوض.
سقطت رأسها بين كفيها بهم ثقيل ثم سمع نشيجها، وحينها تنهد براحة سوف تظل رغمًا عن كرامتها التى لا تملك غيرها كما تردد بكل شجار. ضمها إليه رفضت وتركته لغرفتها، تبعها وجدها استلقت على السرير منكمشة بملابسها، استلمت لدمعها العصي إلا هذه المرة. أعذار حتى أشرقت الشمس لم تجفف دموعها وظلت على حزنها لأيام. ترك نسائه وظل إلى جانبها علّها تهدأ وبدى عليها بعضًا منه وبغداء آخر سألت:
-عايزه أشوفها
-ليه؟
-يعني نتعرف يبقى في ألفه.
-متهيإلى مش هيكون ظريف إن ضرتها تزورها أنا قوتلك إنها عيانه.
-عندها إيه؟
-فيرس سي وصل لتليف في الكبد.
أطرقت برأسها للأسفل حزنًا وبدى على وجهها التأثر بوضوح ثم قالت:
-ربنا يشفيها، هى عارفه إنك مجوز عليها؟
أومأ بالموافقة، فاستطردت:
-عندك أسرار تانيه؟
-ابدًا يا فوفا وأوعدك عمرك ما هتحسي بوجودها إنت الأولى والأخيره.
قالت بتهكم:
-قصدك التانيه.
لم تعد الأمور لسياقها الصحيح ولكن سهُلت الحياة بعض الشيء، بات يزور زوجته الأولى بعلم زوجته الثانية ولا ضير من زيارة الثالثة عوضًا عن الأولى

التي تستحق لقائه عن ملازمة الفراش أغلب الأيام. وبدون أن يطلب من الزوجة الثالثة حملت بالطفل الثالث وجاءت فدوى الصغيرة وأزهرت الحياة برزق البنات كما يقولون. وأولى الأزهار انتهت فدوى أخيرًا من دراستها في كلية طب الاسنان وطلبت العمل بمجالها، ماطلها قدر الإمكان وأرسلها للعلاج بالخارج حتى يجد ما يشغلها ولكن متى انشغلت النساء عن مبتاغهن. كانت عودتها متوقعة بعد أسبوع من يوم رحيلها فظل برفقة الزوجة الثالثة، أنهى يومه بالعمل وعاد لآخر مجمع سكني فاخر شيدته شركاته. اختاره سُكنة للثالثة ظنًا منه أنه لن يأتي بخلد فدوى البحث بأقاصي لبنان. دخل إلى شقته رحبت به زوجته وناولته فدوى الصغيرة ليحييها كعادته. لحظات ودق الباب، فاستقلبت الخادمة الأثيوبية القادم ثم سمع صياح الخادمة بالزائر الذي هجم على المنزل دون سابق إنذار، نظر تجاه الصياح وجد فدوى تتفحص المنزل ثم ثبتت عيونها على ولداه الصغيرين اللذين يلعبان من حوله ثم تحولت النظرة لفدوى الصغيرة حتى رست عيونها عليه وسألت سؤال تعلم إجابته:

-نمره تلاته؟

من الوهلة الأولى علمت أنه ليس بيت خطيئة، فقد قالتها وخرجت من المنزل والبناية. سارع إليها غير عابئ بتساؤلات الثالثة إنما لم يدركها فقد ركبت سيارتها وطارت بها بسرعة جنونية. تبعها حتى قصرها وجدها بغرفتها تلملم ملابسها بفوضاوية وتلقي كل ما تقع عيونها عليه بأكبر الحقائب. أمسك يدها قبل دفع المزيد من متعلقاتها فدفعته هو عنها بقوة كادت أن تسقطه فصاح بها بعصبية:

-إسمعيني يا فدوى!

صاحت بدورها:

-مش هسمع، مش هتضحك عليَّ، طلّقني!!
-إهدي الكلام أخد وعطا.
-خد وإدي براحتك وأنا أول ما أرجع مصر هرفع قضيه طلاق.
-مش هطلقك يا فدوى، مقدرش أعيش من غيرك.
-لا تقدر، إجوزت عليَّ الزبالة سكرتيرتك، كمل معاهم وشيلني من حساباتك.
عادت لجمع ملابسها فقال:
-أنا ما حبتش غيرك في حياتي، إجوزت عشان اخلف ده حقي، إنت الزوجه الرسميه ادام الناس مريم ونايا غيرك، الدنيا كلها تعرف إن منير الدويري مراته فدوى الإتربي.
حدجته بغرابة وقالت:
-الزوجه الرسميه، يعني إيه؟
تنفس الصعداء بعدما قررت أن تستمع إليه أخيرًا وقال:
-يعني انتِي مراتي، دول ولا حاجه، انتي اللي بتظهرى معايا فى كل مكان، انت الست اللي بتشرف بيها.
ضحكت بشدة بلا أسباب بل نوبة من الضحك انتابتها امتدت للحظات عديدة ثم هدأت تدريجيًا وظهرت الدموع بعيونها وقالت بأسى:
-إنت إجوزتني عشان تفرجني للناس وتتباهى بيَّ مش عشان بتحبني، أكيد ما حبتنيش أومال إجوزت عليَّ ليه؟
-و فيها إيه لما أتباهى بالإنسانه اللي بحبها؟
أغلقت حقيبتها وحملتها للرحيل ثم عادت إليه تقول:
-جلال كان عنده حق، أنا إتوحلت.
تركته وهرولت على الدرج عدوًا وهو من ورائها بأقصى سرعته عله ينهي

مرافعته للدفاع عن وجودها الذي قد يفنى وجوده إن لم تكن بجانبه أو سوف يفنى الآن بعدما تهدجت أنفاسه من مطاردتها من الدرج للردهة حتى السيارة.
استطاع الوصول إليها بينما تضع حقيبتها بالسيارة فقال مهادنًا:
- هطلقها يا فدوه، هطلقهم الاتنين لو يرضيكي.
جادت عليه بنظرة علم فيما بعد إنها الأخيرة وقالت:
- زوجه تتاجر بفلوسها وزوجه تتاجر باسمها وزوجه تتاجر برحمها انت تاجر شاطر اوى.
وأتت نهاية عالمه أبكر مما ظن يومًا. فُرقة دامت للشهور انتهت بالطلاق بحكم قاضي الأحوال الشخصية وليس بحكم الزوج المطعون. ثلاثة أشهر واثنى عشر يومًا وتزوجت من الطيار الفقير الذي أذاقها ألوانًا من العذاب وتحملت وتحملت ومستعدة لتحمل المزيد من أجل ابنتها كما تزعم كذبًا فقد علقت بآسر الطيار.
عاد من شقتها بمصر الجديدة لفيلته منها لغرفة مكتبه ثم استدعى كريم فأتى معفر بالغضب كما يأتي له كلما طلب مساعدته. سأله:
- عرفت حاجه عن البنت بنت فدوى؟
جلس امام مكتبه وقال. .
- جالها سكر عصبي.
استنكر كلمات محب الصغيرة ويتمنى الزواج منها لتكون الزوجة الرسمية المشرفة التي تطفي مزيدًا من البهاء على لقب أبيه المشهر وكأن جلال قد يوافق في يومًا من الأيام وقال. .
-- سكر إيه اللي يجي لعيال. . تلاقيها حركه من حركات جلال.
قام من أمامه للخروج فاستوقفه قائلا. .

---

- إستنى فهمني.

لم يعود لأبيه ظل بمكانه امام باب غرفة المكتب يقول. .

- - إتركهم لحالهم. . لما تدرى فدوى باللي حصل لبنتها بسببك عمرها ماراح تتطلع بوجهك مره تانيه.

- - أقعد على اللعبه بتاعتك ودور على مكان يرجع البت سليمه تاني وهى تتطلع.

نظر له بنفاذ صبر وقال بالعامية المصرية التي يتقنها فقط عند الغضب لأنها لغة حواره مع موظفيه:

- - ما تفوق بقه. . عمرها ما هترجعلك تاني. . ترجع لمين وليه. . هى أعقل من كده. . خدت اللي عايزاه منك وبعدين أحتاجت حاجات تانيه ما عتدش عندك. . بيقولوا من جنى على شبابه.

أخطأ لما عمل بمقوله إن كبر ابنك فولده الأكبر لا يستمع لمخلوق إلا لأمه أما عن أبيه فهو وسيلته للحصول على كل ما صعب عليه وللمفارقة الساخرة بكل مرة يطلب من ولده صنيع لا بد أن يقدم أمامه الثمن ولذلك قال:

-- هفتحلك فرع نيورك اللي انت عايزه لو ساعدتني.

ضحك كريم بسخرية وأجاب أبيه. .

- فرع نيورك بطريق. . شوف حدن غيري يتمسخر عليك.

# [ الجدة هناوة ]

منحها الله هبة نادرة وجدها كل من حولها لعنة حلت عليها وعلى كل من اقترب منها. أدركت موهبتها منذ السادسة من عمرها لما وجدت أموات قريتها انتفضوا من قبورهم تاركين غيب ما استتر عن الأحياء، يروحون ويجيئون بكامل البلدة ثم ينتهي بهم المطاف فوق سفح ترعة بلدتهم، يتحدثون ويتصاخبون إنما صريخهم لا يصل لأحد غيرها. موتى قريتها لا ينعون أرواح غادرتهم ولكنهم ينعون أراضيهم التى انتزعها الإصلاح الزراعي منهم قسرًا ووزعت على الفلاحين المعدمين الذين تنعموا بخيرهم والآن يسرقون مالهم وقصورهم وأراضيهم الخصبة. كانت نسوة البلدة مجتمعين حول ضفاف الترعة لغسل أواعيهم بطمي اللين المصفوف من حول الترعة لتضوي عاكسة أشعة الشمس، كانت سيرتهن وشاغلهن الشاغل حينها الست زبيدة وما أصابها. نادت هناوة الصغيرة أمها وأشارت لها على منتصف البحيرة حيث تقف الست زبيدة من ماتت منذ أسبوع لتتبع زوجها بعد أربعون يوم منذ وفاته فور علمه بسحب أكثر من نصف أفندته لصالح الإصلاح الزراعي. أسكتتها أمها والتهت مع باقي النسوة بالأحاديث فأعادت على أمها وباقي النسوة نداء زبيدة، تلعهن وتلعن أراضيها التى اغتصبت من قبل الفلاحين وتتوعد بحريق يأكل محصول هذه السنة جزاء خشم اليد التي امتد لهم بالإحسان وحان موعد القصاص. تمتمن النسوة بفأل الشوم على الصغيرة وحينها سحبتها أمها من المجلس وهرعت للبيت لتكسر على ظهرها قصبيتين جزاء ما قالته بغير علم. سحبتها أختها الكبرى قبل أن تكسر أمهم القصبة الثالثة على ظهرها وتعهدت أختها الكبرى لأمها إن

الصغيرة لن تتفوه بمثل هذه التفاهات مرة أخرى وقبلت أمها الشفاعة على مضض. أخفتها أختها الكبرى بغرفة نوههم فعيون الأم لا زالت تحمل الغضب مما قالت الصغيرة وسوف يمسي مسار أحاديث النسوة لمواسم مقبلة وهي أم مسكينة بليت بخمسة فتيات دفعة واحدة بلا صبي واحد يشد من أزرهن والآن أصغر فتياتها تبث الشبهات من حول البيت الهادئ الذي سوف يتحول لبيت الساحرات وحينها ينفض رتل الراغبين بفتياتها.

أختها الكبرى خلعت عنها ملابسها التي بالت بها رعبًا مما لاقته وألبستها جلبابًا آخر نضيف ثم مسحت عن وجهها المخاط المتسيل من أنفها وما تبقى من الدموع بينما تقول:

- أنا مش قوتلك اوعي تقولي لحد على اللي بتشوفيه!؟

- الست زبيده قالت لي في ودني اقولهم، وقرصتني في دراعي، شوفي.

عرضت على أختها الكبرى الكمشة المتزرقة على ذراعها فبدى عليها الجزع ألا إنها تماسكت لجاد الحديث وقالت:

- ما قالتش الحريقه هتقوم إزاى وإمتى؟

- الأربع لما المطر ينزل.

حدجتها أختها غير مصدقة وقالت:

إزاى مطر وحريقه؟!!

صمتت الأخت الكبري لتفكر لبرهة ثم أردفت:

- ودارنا هتولع برضك؟

- كل اللي أخد من أرض جمال.

حينها تنفست الأخت الصعداء وتذكرت أن أباهم لم يكن ليشتري أرضًا جديدة لتضيف عليه الأعباء، أيضا عمها الأكبر لم يحبذ الاستحواذ على أرضًا لم يدفع ثمنها

كما فعل سائر أهل البلدة وتزاحموا للحصول على سكوك الأفندنة التي وزعتها تلك الثورة المخربة لشمل البلاد كذلك عائلة مطر عفيفين النفس ولا يقبلوا ما أخذ عنوة إنما كان لأصغر أبناء عمها رأيًا آخر أشاعه على الملأ في مجلس العم الأكبر المنعقد بمندرة البيت الكبير ويجمع أكثر من نصف ساكني البلدة. كان رأى عبد المقصود الذي وجب دفنه بأعماقه هو أن قانون الإصلاح الزراعي سوف يعود بالفوائد العديدة على مصر ومن أولى الفوائد عدم تجميد الثروة القومية في الزراعة وإهمال الصناعة، لأن تحديد الملكية سوف يدفع ملاك الأراضي الشاسعة إلى استغلال رؤوس أموالهم بالتجارة والصناعة، ثانيًا سوف تنتهي الفروق الاجتماعية القديمة بين أصحاب الإقطاعيات والمعدومين، وثالثًا عندما يتسلم كل مزارع أرضه سوف يشعر بالانتماء لتلك الأرض التي هى ملك يداه وليس مجرد أجير بها يحصل على ثمانية عشر قرش كيومية لا تكفي حتى علف لحمار.

-والله ما حد حمار غيرك، هو ده اللي بيعلموهولك في الجهادية يا عبد المقصود؟!!

كان ذاك عمها الاكبر يعيب على عبد المقصود ترديد ما يردده القاهريين المغفلون الذي يأكلون ما لا يزرعون وعملهم التنطُّع في مكاتب المصالح الحكومية كما يصبوا عبد المقصود أن يكون مستقبلًا وهذا ما لن يقبله أبيه أبدًا وسوف يعيده بعد انتهاء فترته الإلزامية للبلدة رغم أنفه لمساعدة إخوته بزراعة أراضيهم المتوارثة قبل ثورة ١٩١٩ وليس فقط ثورة ١٩٥٢. كانت عائلتهم من كبرى العائلات بمنية النصر التي لم يكن به غير ثلاث عائلات هم إحداهم. أبيها كان طبيب البلدة الدكتور عبد الحى عبد الموجود مطر ترتيبه بين أخوته الثالث والأخير. هو الوحيد بعائلة مطر من أكمل تعليمه في جامعة فؤاد الأول بالقاهرة حتى أصبح طبيب القرية بينما الأخ الأول والثاني من اهتما بالزراعة

والثالث بالبيع والشراء وإبرام الاتفاقات والعقود، فقد كونوا المزيج المتكامل من الكمال. ثلاثة أخوة متحابين ليس بينهم المشكلات الشائعة بين كل العائلات حتى الحريق الذي أكل البلدة فيما عدا ثلاثة بيوت متجاورين وحينها سرت الشائعات مثلما سرت النيران بكل بيوت البلدة.

سحرة مشعوذين طبيب البلدة من داواهم لسنين هو من قام بالسحر وحرق البلدة بالكامل ما عدا بيته وبيتي أخويه وحينئذ تجمعت البلدة على قلب رجلًا واحد وأرادوا القصاص وطردهم من البلدة ولكن سهوا عن عبد المقصود.

عاد من إجازته بالخدمة الإلزامية بملابس الخدمة نحف عن ذي قبل فقد ألفته متوسط القامة فاتح البشرة ذو شعر أسود مجعد مسرح للخلف دائمًا، لم يكن يرتدي الجلاليب مثل باقي البلدة فقد أحب ارتداء ملابس البنادر على الدوام، لم يهوى الزراعة أو الدراسة لم يهوى غير الترحال وجمع كل ما لم تراه أعين. لم يكن وحيد بعودته الأخيرة، فقد كان برفقته زملاء له بالخدمة الإلزامية ومن بينهم رجل ذا هيبة يرتدي ملابس عسكرية كالتي يرتديها جمال ولكنه ليس جمال الذي رأته بالصوان الكبير الذي أعد بأطراف البلدة لاستقباله ليوزع على الفلاحين الأراضي الجديدة. اصطحبهم عبد المقصود لبيت عمدة الزرقا وعند أذان العصر جمعت البلدة بمسجدها وصعد الرجل المهيب إلى المنبر يخطب بالبلدة الغافلة التى تعتمد على الخرافات بعدما أتاها النور وانكشفت الغمة وعادت الحقوق المسلوبة لما اتفق الشعب على كلمة واحدة لا، لا للاستعباد لا للجهل لا لكل ما أورثه الاستعمار في نفوسنا. بينهم من يدب الوقيعة كما فعلها الاستعمار حتى استطاع التعشعش داخلنا لسبعون عام حتى أتت الثورة وأعادت الحقوق المسلوبة والآن عادت الخزبعلات والأفكار الرجعية لنعود للظلام من جديد. الثلاثة بيوت لم يحترقوا لأن أسقفهم لا تحوي قش الأرز لأن الحاج عبد

الله عمها الأكبر يعيد تصنيعه ويدخله بالاستخدامات المنزلية المتعددة على عكس باقي البلدة الكسولة التي تترك قش الأرز بعد كل حصاد على أطراف حقولهم وعلى أسطح دورهم وذلك ما تسبب بالحريق وليس الشعوذة كما يردد الجهلاء. الحاج عبدلله وأخواه استنجدا بعبد الناصر ولبى النداء لنجدة إخوانه من أهل بلدتهم، ناصر يدعوا أهل البلدة للعمل وليس نشر الشائعات المغرضة، الاتحاد والنظام والعمل شعار القادم لدحر الماضي.

وبين ليلة وضحاها أصبحت عائلتهم من أعيان البلدة لمعرفتهم الوثيقة بجمال عبد الناصر رغم إن من جاء برفقة عبد المقصود كان أحد ضباط وحدته العسكرية وتعاطف مع ما أصابهم وأراد المساعدة. عند انتهاء الخطاب عاد عبد المقصود وزملائه وضابطه لبيت أبيه عمهم الأكبر وأعدت مأدبة عظيمة للضيوف تشارك بها كل نساء العائلة وبعض الجيران ليتفاخرن بأن جمال الذي ليس هو بجمال أكل من صنع أيديهن. أتى عبد المقصود وأشار لأختها الكبرى أن تأتيه فابتسمت عاضة على شفاها السفلية بدلال وتوهجت وجنتاها ثم انسحبت بهدوء عن إعداد الطعام مع باقي النساء. اختبأ الحبيبن سويًا بشونة الحبوب فتبعتهما ثم سمعت عبد المقصود يقول:

-قوتلك الحل عندي.

أجابته بتهكم:

-عندك يا عويل، لولا هناوه كان زماننا اموات

واللي شال قش الارز من على الاسطح، العَيّله الصغيَّره.

احتدت بينهم النظرات ثم اقترب عبد المقصود من أختها حتى أعتصرها بالحائط الخلفي ولم يعد في وسعها رؤيتهما ثم تعالت همهمات لم تكن تعلم معناها حينها. لحظات وسمعت حفيفٌ لخُطى تقترب وحينها صرخت بوجود ثعبان

مكير بالشونة يهم بالتهام أختها. تنبها العاشقين وخرجا إليها قبل أن يأتي محدث الخطوات ويراهما يهمهما. نظر لها عبد المقصود رغم أنه كان يخاطب أختها الكبرى:

-ما طلعتيش حلوه زى أختك ليه؟

صفقت أختها الكبرى كفيها ثم فضتهما مشهورين بوجه الصغيرة المبتسم لإطراء عبد المقصود وقالت بغضب:

-أهي عندك، تلبسك عفريت من عفاريتها.

تركتهما الأخت الكبرى لأعداد الطعام مع النسوة حانقة بينما هى ظلت معه وقبل أن يغادر نقلت له رسالة من العالم الآخر:

-متسافرش.

عاد لها يحدجها بغرابة وقال:

-شفتيلي إيه يا هناوه؟

-أمّه توحيد بتقول هتخسر خليك جنب إخواتك.

-سالميلي عليها، قوليلي، صباح هستناني؟

أومأت بالرفض فابتسم وقال بغير حزن على ما سوف يفقده:

-أحسن، إستنيني إنت يا هناوه.

ابتسمت بسعادة مطلقة فربت على كتفها وغادر لجماعته. عبد المقصود الابن الأصغر لعمها الأكبر كما كانت هى الابنة الصغري لأبيها من أصل أربعة أخوات.

لقب عبد المقصود بالكثير، الشارد الهارب الغريب ولكن لم تراه إلا بطل منذ انخرط بالخدمة الإلزامية، يختفي لشهور ويعود لأيام يحكي عن رحاله وما أكثر الرحال التي يجتمع من أجلها شباب العائلة بمندرة بيت عمهم الأكبر لسماعها عند عودته. خيل للجميع أن رحاله سوف ينتهي بانتهاء خدمته الإلزامية ولكن

بموعده لم يعد وأرسل خطاب لعمه الطبيب أكثر من يفهمه في الحياة كما يردد بما يفيد بأنه سوف يكمل الرحال، فقد ملّ من حياة قريتهم وأراد المزيد مما لا يعرف أحد بالزرقا أو منية النصر والدقهلية كلها. غضب العم الأكبر وأحنى ظهره حزنًا على فراق نبنه الأصغر حتى بلغ به الحزن للزواج مرة أخرى بعد موت توحيد زوجته الأولى وأم أولاده. أخواتها الأربع تهافت عليهن الخطاب وخرجن من البيت واحدة تلو الآخرى وهن بطريقهن للخروج أخذن أمها معهن.

ماتت أمها بعد زواج الأخت الرابعة بأسبوعين فقط وتركتها وحيدة مع أبيها الذي لم يتعافى من فراق شريكة عمره وتبعها بعد أقل من سنة لتكون بهذه السنة بالرابعة العشر من عمرها وحيدة ببيتًا كبير. لم تظل بالبيت الكبير للكثير وتهاهفتوا عليها أيضا ولكن ليس الخطاب بل المساعدات من كل بيت من بيوت عمومتها. عرضوا عليها المكوث لديهم ولكن فضلت المكوث مع الأخت الكبرى في بيت زوجها مهندس ري مدينة الزرقا التى خرجت من تبعية الدقلية لتصبح مركز الزرقا التابع لمحافظة دمياط، ما سبب ذلك لا تعلم إنما ما علمته أن ما حدث خير وسوف يزيد من شهرة وخيرات بلادهم. الخامسة عشرة ولم تنال من التهافت الذي نالته بنات عمومتها، إنما علمت فيما بعد عبر استراق السمع على مجالس النساء المتزوجات فقط والاتي ضمت أخواتها، إن البلد لم تنسى إنها من بشرت بالحريق العظيم، يروها فأل الشوءم خصيصًا بعد وفاة أمها وأبيها تباعًا.

ظلت بشؤمها ببيت أختها يأتيها من حين لأخر مزارع أجير طامع بما ورثته من أفندة، عامل فقير لا يملك حتى منزل وطامع أيضا بمسكن أبيها بعدما أشاعت الأخوات أنه سوف يكون من نصيب الصغيرة اليتيمة عند زواجها والكثير على هذه الشاكلة. لم يرى أيًا ممن طرقوا بابها جمالها الذي طالما حسدت عليه عيونها الزرقاء وشعرها الذهبي أو بشرتها البيضاء المتخبطة بالحمرة وكل ما

رءوه كان ما تملك من مال. وبعد ست سنوات عاد برحاله بحكاياه وهداياه الغريبة والفريدة للجميع. دلف من بيت إلى بيت يحكي عن ما جناه الزمن به وما جنى هو بالزمن، جاب البلدان، قطع القارات، رأى حروب باردة وأخرى مشتعلة حتى شعر بمرارة الفراق وعاد لمسقط رأسه إنما بعد فوات الأوان فقد مات أبيه ولم يمنحه بركته ورضائه. البيت أضحى لأولاد الجديدة وأصبح هو الغريب الشريد كما بدأ. هذا ما سمعته من الأخت الكبرى عندما كانت تنعي عبد المقصود وعسر حظه لأنه لم يعود فور إنتهائه من التجنيد وتزوج وعاش كما يعيش البعير. كيف لا يفهموه، هل ما يفعلون بهذه البلدة حياة أنه موت مؤجل، أحاديث تكررت لالآف المرات كانت أحاديث الرجال والنساء على حدٍ سواء، راديو وحيد بالبلدة لدى أغنى الأعيان كان غذاء أرواحهم الحبيسة بالإخبار السيئة عن الحرب المأجلة إنما لما عاد عبد المقصود عاد بالنصر وحينها غاب لشهور أخرى ليحتفل به في القاهرة مع إخوانه من عبروا ورأوا النصر بعيونهم ثم عاد مرة أخرى محمل بالهدايا ولكن ليس للجميع.

زيارة من أبناء عمومتها أجمع لبيت مهندس الرى لخطبتها لابن عمها الشارد الغريب وجاءت الإجابة بمهلة بسيطة حتى يشتد عودها؛ فالصغيرة لا تقوى على مسئولية منزل بمفردها. تفاجأت بالإجابة فالصغيرة عمرها ستة عشر عام وتحملت مسئولية بيت منذ الثالثة عشرة أى منذ مرض أمها وملازمتها الفراش ثم بيت أختها الكبرى التى تفرغت لأحاديث النساء التى لا تنتهي وأوكلت لها كل مهام البيت حتى يشتد عودها واشتد وامتد وتستطيع تحمل مسئولية أربعة بيوت بلا كلل. غادر عبد المقصود ولم يبدو عليه غضب أو حزن وهى من اعشتعلت غضبًا وطلبت أختها لغرفتها وصاحت بها:

-جوزك رفضه ليه يا صباح؟

-جايلك عريس أحسن منه، مهندس زميل صلاح
-بس، عمي ممكن يزعل
-ولا زعل ولا حاجه ده فرح، عايز مصلحتك المهندس ولا اللي ما يفكش الخط
شهقت هناوة مستنكرة وقالت:
-الله يرحم، لما كان بيذاكرلك
وقبل أن تكمل بيذاكرلك على سطح منزل أبيهما أخرستها أختها الكبرى بكلتا يداها المطبقة على فمها قبل أن تتطاير الكلمات لزوجها الجالس بصدر الدار وقالت:
-سدي بوزك، انت حكايتك إيه؟!
أنزلت يد أختها عن فمها وقالت متعلثمة:
- و لا حاجه، أنا بس ما كنتش عايزه أخرج من عيلتنا
- لا وإنت صادقه ضحك عليك بشوية الهلاهيل اللي جابهملك، عينك فارغه
تركتها أختها وخرجت ناقمة على عقلها الصغير الذي تشتت لما رأت الأقمشة الحريرية الامعة ومناديل الرأس المحلاة بالحلى النحاسية؛ الهدايا النفيسة التي أتى بهم ابن عمها لخطيبته ولم يقبل أن يعود بها حتى بعدما رفض فقد أوصى أن يكونوا بجهازها لعريس غيره. وجاء غيره طويل القامة للغاية بشرته بيضاء كشراشف الأشباح، عيناه إلتقيا عند قصبة أنفه، صوته نحيف يتخلله دائمًا حرف الفاء، علمت فيما بعد أنه أخنف قاهري ولا يريد الإبقاء على عمله بالزرقا وببعض الإلحاح من زوج أختها وافق أن يعيش بالمركز في بيت أبيها ولن يشتري لها بيتًا جديد وقرر أيضا بلا وجه حق أن يسحب أراضيها من أراضي عمها الأكبر ويأجرها لأغراب عن البلدة فوجدت نفسها وقعت بطامع آخر رغم أنه مهندزًا و ليس في حاجة لأموال اليتيمة. عيون أختها الكبرى عليها باستمرار في ترقب

حتى إنها أودعتها البيت بعدما تمت خطبتها ولم تعد ترسلها بالمشاوير المتعددة التى تكفلت بها منذ وطئت قدميها بيتها وكأن الأخت الكبرى تعلم نواياها.
واتبعت نياتها ورؤياها الليلية والنهارية عند اليقظة عبد المقصود بجانبها ومن حولهم العديد من الأولاد وزوجة عمها الراحلة توحيد تلح عليها بالخروج فخرجت بعد أذان المغرب وقد غربت الشمس ولم يعد للنساء مكان بظلام بلدتهم. تبعته حتى المقهى الذي يجلس به دائمًا وأشارت له ليأتيها ألا إنه لم يراها ومن رآها كان صبي القهوة والذي نبَّه عبد المقصود لوجود أحدًا بالظلام يشير له. نظر ابن عمها لموضع المشير للحظات ليتحقق منه ثم قام مسرعًا إليها وسحبها من ذراعها لمكان بعيد عن القهوة وقال لها بحدة:
-إيه اللي خرجك من دارك الساعدي؟
-أصل، كنت عايزاك في حكايه.
أجابها بعصبية:
- حكايتك قطران إرجعي على دارك.
- إسمعني بس، أنا مش عايزه العريس اللي جايبه أبويا صلاح.
حدجها بتعجب وقال:
-مش عايزه المهندز؟!
أومأت بالموافقة فاستطرد:
-وعايزه مين؟
لم تجيب فأجاب عنها:
-عفاريتك قالوليك إيه؟
قالت بحدة:
-آني ما أعرفش عفاريت، أمّه توحيد قالتلي.

صمتت للحظات حتى جمعت شجاعتها وأكملت:
-قالتلي هجوز من عيلتنا.
-وعيلتنا مش عايزاني، إيش عجب إنت اللي عايزاني، فوتي بينا أوصلك.
مشى بها بجانب من الترعة المهجورة الآن من نساء يغسلوا أواعيهم وأطفال يسبحون بقيظ الظهيرة ورجال على ركابهم من حمير وماشية في طريقهم لحقولهم. عيونه على الطريق وليس عليها، كم تمنت أن يرى منديلها المحلى بالنحاس أو وجنتاها التي دبغنتهما بالتِفْته ولكن لم يلتفت إليها حتى لما قال لها ناصحًا:
- المِتعلم هزيد عليكِي، إنما اللي زى حلاتي هينقصِك قدرك يا بنت عمي.
- أصلي بخاف من بتوع البندر وعايزه أفضل حدا أخواتي والراجل ده، بيهاود أبويا صلاح دلوقتي وبعدين هيخدني بعيد وأنا عايزه أفضل حداكم
لم يجيبها، فقط أكملا طريقهما حتى اقتربا من بيت أختها وعليها الذهاب الآن، ألا إنها لم تذهب فقال منبهًا:
-رووحي، وأوعي تعمليها تاني مره.
-هعملها لو جوزتوني الراجل الأحول ده غصب عني.
حدجها بغضب وقال:
-إيه يا بت قلة أدبك دي، عايزه تطفشي؟!
لو عايزه أطفش كنت إجوزته، أنا عايزه أفضل حداك. . حداكوا.
ابتسم لها وقال:
-طب رووحي على دارك وأنا هكلم صلاح.
عادت لدارها وانتظرت ولم تطيل الانتظار باليوم التالي جاءت زوجة أبيه برفقة زوجات إخوته غاضبين مهددين أختها التى رفضت ابن عمومتها مطالبين بخطبة

اتفق عليها الإخوان رحمهم الله بالسابق وتجرأت صباح على الأقدمين الأكرمين وأنهت خطبة باركها الأسبقين العالمين بكل خير شح بهذا الزمان. من جاءها ابن عمها لا تكون لغيره ولكن صباح تعللت بالخطيب الحالي الذي أبرموا معه الاتفاق على الزواج وجاءت المفاجأة الخطيب تنصل عن الخطبة وتنازل عنها لابن عمها وحينها فقط علمت أختها الخدعة فقد نالت هناوة من أخواتها الأربع طريحة لم تبقى بجسدها موضع لينال المزيد إنما لم تغيب عنها ابتسامة النصر المبين التى جعلت أختها الكبرى تستشيط غضبًا وتجدد كل ما ذهب من علامات عن جسدها.

حان الموعد لتكون لابن عمها، أتاها بشبكة بسيطة خاتم وعقد، أسكنها بيت أبيه بغرفة كانت له بدل أثاثها بغيره يبرق بل يشع باللون الذهبي برغم أنه خشبي وليس نحاسي. أرسل لها - شوار- لم ترى مثيله ملابس جاهز للبس وليست أقمشة للتفصيل، جلاليب ناعمة مطرزة بخيوط لامعة ذهبية وفضية، جلالبيب أخرى شفافة عارية الأكتاف ذو خامة لم تراها من قبل مطاطية الملمس تأخذ حنايا الجسم وتفصله. أغرب ما أتاها حملات للصدر ذو قماش مخرم بنقشات الزهور تجعل النهود منفصلة وليس كتلة واحدة مثل التي تفصلها أختها من قماش البافتة وتبطنه بالخيش لتحجب معالم النهود. بين نظرات الإذراء التي يتخللها بعض الحسد كانت نظرات أخواتها لأنها رفضت المهندس للعويل. لم تكذب أمّا توحيد حماتها رحمها الله فقد شعرت بالسعادة بمجرد أن دلفت إلى غرفتها ورأت أثاث الأعيان الذي لم يكن لغيرها، راديو فيليبس صناعة هولاندية سكن غرفتها لتسمتع وقتما تشاء للقرآن الكريم من الشيخ عبد الباسط عبد الصمد وأبو العنين شعيشع، جرامفون من الخشب الأبانوسي الامع يعلوه بوق كبير تنغزه بإبرة سحرية تستحضر صوت محمد عبد الوهاب، زوجها وكلماته

الحانية ونعته له بالباريسية لأنها شقراء تشبه ما رآه من جميلات ببلاد الأعاجم وأجمل لأنها ابنة عمه النقية ثم رحاله التى ظنتها رحال الهناء لما جلبه من مال وفير وأعاجيب لم تراها أعين ولكن كان ذكر تلك السنوات ثقيل على قلبه حتى أنه بمرة أخبرها بأنه يا ليت استمع لها وظل بجانب إخوته.

عبد المقصود لم يكن له مهنة محددة وكل ما امتهنه حينها كان السفر وجلب ما تحتاجه الأسرة ثم المكوث بالبيت وقضاء وقته بالمسامرات في القهوة. أحيانًا كان يصطحبها معه برحاله لترى الدنيا كما ردد ورأت الإسكندرية وبحر غير بحري دمياط؛ النيل ورأس البر، أنه شط إسكندرية. رأت القصور بالمتنزة وزيزينيا وتمنت قصرًا فضحك ابن عمها بسخرية من سذاجتها وأخبرها إن ساكني هذه القصور هجروها وهربوا مذعورين وهذا مصير كل من سكن قصرًا وترك إخوانه يسكنوا القبور أية قبور لم يوضح.

تأكد ظن أهل البلدة لما قالوا إن عبد المقصود اكتفى ترحال بزواجه من الباريسية ابنة عمه فما الحاجة للسفر لرؤية الجميلات وبجانبه هناوة أو لجلب الرزق وابنة عمه تملك دار وزراعة ومجموعة لا بأس بها من المصوغات. الآن فقط نسوا إنها الملبوسة المخاوية وتذكروا فقط إنها مفتاح النعم الذي سقط على رأس عبد المقصود، ويا ليتهم اكتفوا عوانًا فقد تبعتهم أعين الحساد من قريبًا أو بعيد خاصة لما توقفت عن ملابس أهل البلدة من مزجرش خشن وارتدت ما جلبه عبد المقصود من ملابس أهل البنادر لتكون سيره تتبعها نساء البلدة، وأرادت أيضا أن تكون باريسية قاهرية ترتدي الفستانين ولكن رفض ابن عمها رفضا قاطع ولم يفلح معه أي دلال.

لام عليها أخواتها ترحالها المستمر مع زوجها والتسكع باللوكاندات فأجلسها بدارها الحبل الثاني وليس غير ذلك لتصب غضبها وإرهاقها على حماتها، ليست

حماتها في الواقع فحماتها ماتت منذ سنون عديدة وهذه ليست إلا زوجة حماها الراحل. هى من تشعل الحرائق في البيت وليس لزوجة عمها أي ذنب فمنذ رأت القصور بالإسكندرية انتابتها حالة غريبة من الكآبة إنما زادتها هذه العجوز. أيقظتها زوجة عمها قبالة الفجر للخَبز بهذا البرد القارص وإن كانوا حينها في شهر مايو وحمئته الخانقة، قامت إليها وأسمعتها اللعنات عليها وعلى أولادها فصاحت بها ابنة المزارع الأجير:

- أنا اللي إستاهل زرعتك في داري عشان تكيديني يا ملبوسه يا عانس.

لم تجيبها، لا يصح فهي بمنزلة حماتها وامرأة بعمر أمها، لذلك اكتفت هناوة برفع ماجور العجين الممتلئ لآخره وقلبه على رأس العجوز بعجينه، وبينما تنزل زوجة عمها الماجور عن رأسها بعجينه صرخت بعبد المقصود ليغيثها من تربية الجن والعفاريت فخرج عبد المقصود على وجه الجن والعفاريت ينظر بغضب للماجور المشقوق إلى نصفين والعجين الذي كسى أرضية الدار وصاح:

-أنتو هتجنّوني، بتتعاركوا الفجر ودلقتوا عجين الأسبوع؟!

قصت عليه زوجة أبيه ما حدث فقال بينما عيونه الاٰئمة على زوجته قبل اتهام:

-خشي ريّحي يامّه، هناوه هى اللي هتعجن لحالها.

نظرت لها العجوز بظفر وذهبت وقبل أن تستنكر ما قاله زوجها استطرد:

-إعملي فطار وهاتيه مقعدي.

ثم تركها وذهب للغرفتهما. أعدت التحضيرات لعجين الأسبوع ثم أعدت الإفطار وأدخلته لمن تبدد غضبه ويبتسم بوجهها منتظر تتطيب خاطره لكن لم تبالي بخاطر دون خاطرها فقال لاٰئمًا:

- تشيلي ماجور بعجينه وانت حبله!

- وهخبزه، أنتو فقرا ما تشتروا عيش من الطابونه.

- ولفتي خلاص على عيشة البنادر، خفي على الوليه شويه يا نقاوه.
- أنا عايزه بيت لوحدي، الدار ضاقت علينا واخواتك هيجوزوا ويضيق أكتر.
بالقريب إجابته دائمًا وأبدًا وهي مللت تلك الركاكة. قامت عن الإفطار وذهبت لخزانتها وأخرجت عبلة مصاغها التى ورثتها عن أمها بعدما أوصت بها لها وحيدة دونًا عن باقي الأخوات وعرضتها على زوجها بينما تقول:
-بيعهم وهاتلي دار.
نظرة واحدة منه لكل نفيس توارثته تلتها نظرة طويلة ثقيلة لها ثم قال:
-رجعي دهبك وأغذي شيطانك وعفاريتك اللي ضيقت علينا الدار.
امتقع وجهها من إهانة وجهها لها أعز الناس فهو من أخبرها منذ طفولتها أن ما يحدث لها هبة ونعمة من الله وليس نقمة قد تخجل منها، هو من جعلها تتقبل ما تراه ولا تحدث به أحدًا غير أختها الكبرى وهو، وهو الآن قال ما يقوله عليها الحاقدون. أبكتها الكلمات فربت على فخدها ثم قال:
-حقك عليَّ، ما انت أفعالك.
صمت ثم استطرد بنفاذ صبر:
-حاضر، صبرك عليَّ وأنا أجيبلك سرايا.
جففت دموعها وصبرت حتى أنهى إفطاره ثم قامت وجلبت علبة تبغه الصفيحية ودفتر البفرة وناولتهما له ثم قالت:
إنت مش متعلم كار النجاره في الجيش؟
أجاب بالإيجاب فعرضت عليه ما سمعته من أزواج أخواتها. دمياط الآن أصبحت مدينة تشبه بقوامها الحضر خصبة الأرزاق وتحتاج الهمم والرجال ولكن ليس أي رجال، تحتاج لرجل بفطنة وذكاء ابن عمها ومعارفه المتعددين بالدقلية ودمياط، ابن عمها الغالي اعتاد السفر والتنقل ومحبوب من كل من

قابله و. . قاطعها:

- صبرك بالله والشغل في دمياط مش عايز ورشه وبيت نسكن فيه هجيب كل ده منين؟

- هنبيع حتتين صيغه وتشتري ورشه وأنا مش هسافر معاك هفضل في بيت أبويا.

- بيت ابوكي بقه خرابه يا هناوه هتقعدي فيه لحالك إزاى انت والعيال؟

- عايد الأرض السنه دي مش هبعته البوسته هعمر بيه دار أبويا.

- عايزاني أخد دهبك وريع أرضك عشان إخواتك يجرسوني ويقولوا كلت بيهم أنا وأهلي؟

- ومين اللي هيعرفهم !!

أيام وليال حتى لاقت استحسانه فكرتها بحياة جديدة لهما. ليخرج من عبائة أبيه وإخوانه كما أراد دائمًا، تاجر كبير يذاع صيته من الدقلية لدمياط ليثبت للجميع أنه ليس شارد أو غريب بل أنه لم يكن بمكانه الصحيح فقط. أصر على تعمير بيت أبيها أولًا قبل تركها وحيدة لأول مرة وسافر لتحقيق إرادتها وبعد أسبوعين فقط عاد لاصطحابها لدمياط برفقة الولدين عبد الحى وعبد الله المولود الجديد، عرض عليها ورشة كبيرة شاسعة بها القليل من معدات النجارة تطل على ميدان الجرس إيجارها عشرون جنيه شهريًا ويسألها المشورة.

ضاقت نفسها بهذا المحال ولم تجد به المميزات التى عددها عبد المقصود على مسامعها فخرجت منها قبل أن تختنق. انشغلت كذلك بحجج الشريك المتعددة لإيجار هذا المحال فغفلت عن الصغير الذي تمشى وحيدًا حتى دخل إلى إحدى الحارات المجاورة، تبعته تحمل مولودها وتلملم عبائتها البنفسجية المخلية ذات التطريزات الذهبية التى جلبها لها زوجها من الأسكندرية، هذه

العبائة خاصة شغلت كامل الخلق منذ خرجت من بيتها حتى أتت إلى دمياط حيث وفرتها لبعد ولادتها وبعد ولادتها وفرتها لزيارتها الأولى لدمياط وعند خروجها من البلدة تبعتها عيون نساء البلدة الحسودة الاتي تركن أوعيتهم تتعفن بماء الترعة وتابعوها متغمزات على ما آلت إليه الملبوسة بعد زواجها من الغريب. أمسكت بالصغير بعد توقفه امام أحد المحال المغلقة، يلعب بقطعة خشبية رفيعة من الأبكلاش سحبتها من يده قبل أن تجرح يده أطرافها غير المزجزجة وهمت لإلقائها بالشارع مرة أخرى إنما قبيل التخلص منها لفت نظرها خط سيء مائل يشبه خطها إلى حدٍ ما كبير وقد كتب عليها للإيجار من المالك. حملت قطعة الخشب وسحبت الصغير وعادت لمقصود الذى إتقدت عيونه شررًا لما أختفوا بلا علم وصاح بها:

- إفتكرتكم تهتوا، ما تفارقنيش تاني.

- حاضر يا أخويا.

عرضت عليه قطعة الخشب وقالت:

-في دكان في الحاره دكهيه، إيجاره ما تيجي تشوفه.

نظر لما تشير ثم قال:

-مش مداري؟

قالت بغير علم وكأن الكلمات ألصقت على لسانها:

-رزقه اللي مدّاري زبونه مايهابوش ويدوّر على الرخيص المدّاري.

حدجها بتعجب فهذه الكلمات كانت لأمه فقد كانت تفضل الكتمان بكل شيء ثم قال:

-إنتِ شايفه حاجه يا هناوه؟

رغم إن الرؤى إنقطعت بعد زواجها لأن نجاسات الرجال تذهب كل رؤى ونعم

إنما بداخلها راحة لهذا المحال الصغير وليس المحال الكبير المكلف، تقبل عبد المقصود رأيها ولم يتقبله الشريك بل وحدجها بنظرة تعجب زاجرة لأن شريك عبد المقصود كان زميله بالجهادية وبهت من قدرة أي امرأة على تبديل رأي صديقه القديم وإن كانت زوجته. أجُّر الدكان الصغير ومر شهر وشهر حتى انقضى الشتاء وهم يبيعون قطعة مصاغ تلو الآخرى لتعينهم على دفع إيجار المحال وتكاليف المعيشة بدمياط والزرقا وزادت الأعباء بحملها الثالث، والعبء الأكبر نظرات ابن عمها بالخزى لأنه فشل بأول ما أوكل إليه منها ومن ثم ترك المحال بين أيادي شريكه وعاد لعمله الأول البيع والشراء من أجل العائلة.

جاء الثالث برزقه الوفير ليكون جمال عله يأتي بالنصر ونتعش سوق الأثاث بدخول الصيف وطلب الشريك شريكه الآخر للمساعدة وبدأ جني الثمار، إنما أولى الثمار لم تغطي ما أنفق بمرحلة الكساد الأولى والأخيرة لكن عند البنات لا رادع للرزق؛ رقية. قام أبوها ببناء طابق ثالث بدار جدها من أجلها لتسكن به فأبيها لا يحبز اختلاط الفتيان بالفتيات رغم أن رقية كانت بشهرها السادس وأخيها الأكبر بالرابعة من عمره. كانت تلك حجته ليجعل من دار أبيها قصرًا من قصور الأسكندرية كما تمنت كأول المكآفات على صبرها وتعددت المكآفات.

ورشة الهنا الكبرى للأخشاب ثم العديد بكل أنحاء دمياط صبوا إنتاجهم بمعرض الهنا للأثاث الراقي ثم قصر دمياط الكبير الذي تربي به كامل أبنائها وولد به أصغرهم؛ جلال الأقل حظًا بين الأبناء، خطف من أحضان أمه عند السادسة عشر ليلتحق بكلية الطيران كما حلم أن يصبح مثل أحد أعمامه ساكني القاهرة.

أكمل جلال خطى عمه الطيار وتزوج بالقاهرة وسكن بها في شقة متوسطة الحال وعلى نفقته بعدما نقم عليه أبيه لأنه لم يحذوا حذو أخوته وعاد للعيش بقصر دمياط كما أمر عبد المقصود كل أولاده وامتثلوا إلا جلال فقد نقم على

والديه بدوره لأنهما رفضا زواجه من فتاة قاهرية وقع بغرامها الآثم، جلال لم يختار حياة القصور كما اختار باقي إخوته ليقع من جديد ببراثن القاهرية بعدما طلقت من صديقه. القاهرية فأل الشؤم على عائلة عبد المقصود أجمع تزوجها جلال على زوجته الأولى وعن طريق سحرها الأسود لم تمر خمسة أعوام على زواجهما وإلا ماتت الزوجة الأولى لتستحوذ الطبيبة على جلال بالكامل ولم تعد ترى ابنها إلا بالأعياد. يجلس جلال وحيد غريب بين أخوته بعدما جعلته الطبيبة أضحوكة بينهم تارك ولديه بعهدة أبيه ويعيش برفقة الطبيبة وابنتها التى يزعمون إنها تشبهها.

كانت من سياسيات زوجها التى طبقها قسرًا على أبنائه كافة تزويج الأولاد عند الانتهاء من دراستهم المتوسطة ليرى أحفاده يكبرون أمامه بالبيت الكبير. تلك السياسة الرشيدة لم يطبقها على اولاده وبناته فحسب بل وطبقها علي نفسه. لم تحظى برؤى وحظت بهاجس دفعها لزيارة معارض الهنا فجأة، لم تطلب إحدى السيارات الخاصة بزوجها لتقلها وذهبت بمفردها. لم تجد جديد غير فتاة سمراء تقف بمنتصف الطريق وأمامها موقد أعلاه براد كبير تصدر منه أبخرة الماء المغلي والعديد من الأكواب والقطراميزات التي تحوي الشاى والبن والسكر، يتجمع من حولها العديد من عمال المعرض يشربوا الشاى ويمازجوها. همس لها أحد عمال المعرض فهبت واقفة وأعدت كوبًا من الشاى ووضعته على صنية نحاسية صدئة وعدلت هيئتها المنتهكة من عيون المارة بالميدان ودخلت إلى المعرض متخذة طريقها لمكتب الحاج عبد المقصود لينتهي بها المطاف بجانبه تضع الشاى المعكر بالكوب المغبر على مكتبه وتمازجه ويضحك. رثة الثياب محروقة البشرة كعوبها تحمل دروب وأبواب لثعابين الحقول رائحتها كمعمل مخلل ردئ ولا يشمئز منها الحاج عبد المقصود.

---

اقتحمت هناوة المعرض على تعجب من عماله وابنها الأكبر الذي رحب بها بصوت عالي بعض الشيء لينبه والده بوجودها المفاجئ فقام زوجها إليها مرحبًا واصطحبها لمكتبه بعد نظرة منه للفتاة السمراء ماضغة العلكة أمرًا إياها بالخروج. وبعد السلام والتحية وسبب الزيارة المكرمة قالت مباشرة:

-مين البت اللي واقفه أدام المعرض؟

-بنت حسونه إبراهيم الله يرحمه بسترزق هى وأمها ناصبين ناصبة شاى، نافعنا.

-النافع ربنا، موقف صبيه في عرض الطريق الرايح والجاى يخبط فيها، إنت مش بتصرفلهم شهريه برضك؟

-إنت عارفه يا حجَّه المعايش صعبه و الشهريه هتكفي إيه ولا إيه؟

-يبقى تكسب فيهم ثواب وتزود الشهريه وتقعدها هى وأمها في بيتهم.

-ربنا يسهل.

-دلوقتي يا عبد المقصود، مش عايزه أشوفهم أدام المعرض.

وبعد نظرتها الآمرة الناهية نادى على الابن الاكبر ليقوم بالمهمة فصاحت:

-والله عال تبعت الأستاذ لبتاعت الشاى، إبعتلها صبي من صبيانك.

امتثل لأوامرها الأستاذ عبد الحي ابنها البكر خريج كلية التجارة وذراع أبيه الأيمن في شتى التجارات، وطلب من أحد العمال بالمعرض الذهاب لعاملة الشاى ليزف لها طردها من أملاك هناوة للأبد. بدى على الفتاة الحزن ولملمت أشيائها مع أمها إلى جانب دموعها وغادرت أو ما ظنته الحاجة هناوة مالكة هذه الثروة الطائلة.

كان عبد المقصود يحكم أما من ملك بلا منازع كانت هى فكم من مرة حاول زوجها أن يكون أيًا من الأملاك مدرج تحت اسمه ولكن رفضت رفضًا قاطعًا

فلِمَ التخبط بين أملاك معونة لاسمها أو اسمه وهو وأولاده واريثيها الوحيدين بعد عمر طويل مديد سوف ينتهي قبل أوانه بعد خديعة دامت لعشر سنوات.

الحاج عبد المقصود أغنى أغنياء دمياط الأب لرجل الاعمال، عضو المجلس المحلي وأستاذ الجامعة والطيار المجتهد تزوج عاملة الشاى وأنجب منها من يشاركوا أولادها ثروتها. عشرة سنوات تحترق، بداخلها الهواجس تقودها نحو حقيقة واحدة زوجها بات لأخرى. تشارك أبنائها الجرم مع أبيهم بنين وبنات خوفًا من بطشه ساهيين عن بطشها الذي بدأ منذ جاء اليقين رؤية متأخرة عشرة سنوات؛ بيت أبيها يتهدم أمامها ووقف الخلق جميعًا متعجبين من مصير من علا والآن وقع لما بنى بأرض طينها غريب عن طينته بعدما قامت ببيع أرضها وبيت أبيها وإشترت قصر دمياط الذي بطريقه للتهدم من الأعلى للأسفل و من تأمر بهدمه سمراء ذهبت عنها أبخرة الشاى وأتربة الأرصفة، ارتدت ما يضوي ذهبًا وماسًا، من حولها أهل القصر يطيعون.

واجهت ابن عمها وأبنائها الخونة بقدره ولم ينكر زوجها وذكرها بحقوقه كرجل لا زال بكامل عافيته ورغم ذلك لم يكن هذا سبب الزواج فابنة عمه النظرة بعيونها تقر عينه ولكنه تزوج حقيقةً لينقذ عائلته من عضو المجلس المحلي الجديد الذي حل محل ابنها الأكبر مما جعله يضطر أسفًا أن يتزوج ابنته بعدما عرضها على كامل أبنائه ورفضوا خوفًا من زوجاتهم ولكن الحاجة هناوة ليست كسائر النساء وسوف تقدر تضحيته.

وقدرتها أفضل تقدير والتزمت غرفتها بعيدًا عن الخونة واتصلت بمحاميها وألغت كافة التوكيلات الموكلة منها لابنها الأكبر وزوجها ليتوقف السياق المنتظم بسائر الأعمال من معارض وورش ومغالق للأخشاب. الخونة يتوافدون عليها واحد تلو الآخر ليبرورون فعلتهم ولم تسمتع لأيًا منهم، طردتهم جميعًا من

غرفتها لحين طردهم من سائر أملاكها حتى جاءها من لم يكذبها يومَ معه الصغيرة التى أضحت تشببها بحق. أجلسها أبيها بجانب جدتها على سريرها فابتسمت بعدما غابت عنها أي فرح منذ علمت اليقين لما رأت الوريثة الوحيدة لعيونها الزرقاء، ولدها الأصغر يطلب من صغيرتها تقبيل جدتها ثم خاطبها:

-عامله إيه يا ماما؟

أجابته بينما عيونها على الصغيرة الباسمة:

-عملت كل حاجه يا جلال وما طمرش فيكوا ولا فيه.

-والله يا ماما ما كنت اعرف اى حاجه عن الموضوع أنا إتفأجت زيك.

تجاهلته ونقلت الصغيرة من جلسة السرير لفخذها وقالت:

-عامله إيه يا هناوه يا صغيَّره؟

أجابت بتملل والدتها الطبيبة:

-كويسه يا هناوه.

عادت إلى جلال وقالت:

-الدكتوره فين؟

-مشغوله شويه.

بالطبع مشغولة عن زوجها والابنة الوحيدة التى استطاعت إنجابها بعملها في العيادة التى إبتاعها زوجها المسكين ولا يزال يسدد أقساطها لأبيه حتى الان.

قاطع نجواها صغيرها:

-اومال فين حسام وآسر؟

-سافروا يفكوا عن نفسهم شويه.

قال بحدة:

-أنا مش مبلغهم إنى جاى عشان أشوفهم و يشوفوا أختهم.

-سيبهم في حالهم، ما تبقاش إنت والزمن عليهم.
قال ملول:
-حاضر هسيبهم أكتر ما أنا سايبهم.
صمت لبرهة ثم نقل لها بلا الكثير من التغييرات ما قاله عبد المقصود مرارًا وإن لم يبدو علي الابن التصديق، ويرغمها على تقبل كذبة أبيه فطالما غلبت جلال عاطفته كما ضللته دائمًا. طلب منها التعاطف مع ابن عمها وزوجها، لتغفر نزوة رجل بالستون فهى الحاجة هناوة المالكة الحقيقة لقلب ابن عمها قبل نقوده التى منعتها عنه ولا يصح هذا الصراع في عائلة مثل عائلتهم العريقة.
لم تبالي بمن ظنت أنه سيساندها بقرارها وانتقلت للصغيرة التى بدى عليها النعاس فضمتها لحضنها لتنال السكينة وتغفو.
سبقته ريحه الممسكة تجاوز الستون ولم يدب بشعره المشيب كما دَبَّ بإبنائه. لم تغلبه قواها المالكة لكل ما وطئته قدماه ودخل مزهوا بشبابه الدائم مساوي شعراته السوداء الفاحمة وكأنه خرج للتو من تحت أيادي حلاقه الخصوصي، مرتدي جلبابه من الصوف الإنجليزي وعباءته الحريرية يلقي السلام على جالسي الغرفة ثم اقترب حتى سريرها وقال:
-إزَّي حالك يا حاجه؟
شاهقة عالية لم تهزمها رياح رجل نسى مقامه العلي أمام صبية من عمر أصغر أبنائه كانت تلك تعزيتها لنفسها العليلة من غدره ولم تجيبه فاستطرد:
-إزيك يا هناوه يا صغيّره؟
اشرأبت رأس الصغيرة ناحية جدها ورفعت كتفها الأيمن بدلال نقلته عن أمها رافضة سلامه قائلة:
-مش بكلمك.

اتسعت ابتسامة الجد وقال:

-ليه يا هناوه؟

-عشان زعلت نانا.

ملأ الضيق نفسها فهي لم تعد تتحمل محاولاته البائسة ليردخها عن قرارها وقالت لجلال بحدة:

-إطفى النور يا جلال عايزه أنام وهنا شكلها تعبان سيبها معايا.

عندها بدى على عبد المقصود غضب لم يراه جلال موجه تجاه أمه يومًا وذلك جعله يوقن بأن أبيه سوف يتوقف بالقريب عن الاستعطاف وسوف يستمسك بالطرق على الرأس العنيدة فلن يظل أبوه أجير أمه ما تبقى لهما من العمر.

أطفأ جلال إضاءة الغرفة لأمه كما طلبت لتتخفي عن نظرات أبيه الحادة بل المأكدة أن للصبر حدود وأفعال أمه تجاوزت كل الحدود المقبولة وغيرها، نظرة قد لا تراها ألا إنها تسشعرها وبانتظار تداعياتها بكل تحدي. خرجا لاجتماع الأبناء المعتمدين اعتمادا كلي على مساندة الأخ الأصغر لاستمالة أمهم التى قطعت المدد عن الجميع. عبد المقصود هو من جمع فتات ما ورثته زوجته عن أبيها وجعل من جنيهاتها الآلاف والملايين بجهده وعرقه لسنين بينما هى منتعمة بخيراته. ارتدت المصاغ الذي يحسدها عليه أقرانها ولها رحلة سنوية لحج بيت الله الحرام برفقة من تقرر رفقته من أخواتها أو أبنائهم، قام أبوه ببناء بيت أبيها ليكون أولى القصور بالزرقا وأخرها ثم تبعه بقصر دمياط وكان هذا رد الجميل تحرمه من ماله وهو بهذا العمر ليصير سخرية دمياط بأكملها.

جلس أبيه بين أبنائه وترك لهم الدفة، يطالبوا الأخ الأصغر والأقرب إلى قلب أمه بإقناعها بالتنازل لتعود الرِكاب لرحالها. لم يبدو جلال رحابة لتولي مهمة إقناع أمه بالتخلي عن ما تملك فتولى عبد المقصود الدفة مجددًا وقال:

-كلمتها؟
-هكلمها، إيه رأى حضرتك أخدها معايا القاهرة تغير جو وأكلمها هناك تكون راقت؟
-تاخدها فين وهى مابطقش مراتك؟
-مراتي عند أهلها، خالتها عيانه.
لم تنتطلي على أبيه مناورات الطيار وقال متشككًا:
-إنت شكلك رأيك من رأى أمك؟
طأطأ جلال رأسه بخجل وقال:
-يعني يا بابا ما كنش ليها لازمه الجوازه دي من أساسه.
صاح به أبيه:
- وإنت لما سعيت في خراب بيت صاحبك وأجوزت مراته حد إعترض، أنا منعتك، تحلله لنفسك وتحرمه عليَّ؟
- أنا كان ليَّ ظروف.
جاء صياح أبيه مدويًا هذه المرة حيث قال:
-ظروف ! كنت مجوز بنت ناس وقفت جنبك لحد ما وصلتك بسم الله ماشا الله عميد قد الدنيا ومخلفالك شابين زى الورد راميهم عندي وقاعد مع الدكتورة وهناوه الصغيره، ألا هى فين لسه شايله من أمك؟
وبين كلمات أبيه المهينة ونظرات الإخوة التي تحمل التهكم أرخى جلال ناظريه لمنزلة الأسافل، الآن فقط تذكروا الأخ الشارد والشارد فضل الاختفاء بعدما نصب من المستضعفين لما تزوج بمن أحب وليس بمن ارتضوها، أمست ذِكراه سيرة مشينة بين أسرته بعدما تزوج بمن لم تطلق من زوجها بموافقته فقد زعم منير بكل أصقاع الأرض بأنه غير راضي عن قرار قاضي قضى بطلاقه من زوجته

الهاربة منه لعشيقها الذي كان بيومًا من الأيام أقرب أصدقائه وليس طاعن غادر كما أضحى. إنما السنون انحازت للعائلة ويا ليته انحاز بدوره فهو أضعف من ضعيف، ضعيف ليس في وسعه إلا قول ما قاله مسبقًا وتغافل عنه أبوه:

-مراتي عند خالتها عيانه قاعده معاها لحد ما تخف، حسام قِبل في الكليه وهخده هو وآسر يعيشوا معايا.

صاح أبيه مهللًا ولكن بسخرية:

-الف بركه تَوْوك هتعمل أبو الرجاله يا أبو هنا.

لم يجد جلال رد مناسبًا أو حتى خاف الرد فيصرعه أبيه بفصاحته في الإذلال والتزم الصمت، فاستطرد الأب:

-لازم تقنعها يا جلال الشغل واقف والخساره للكل وأنت أولنا، إنت مش عايز تكمل بنا الفيلا برضك ولا عجباك الخرابة اللي عايش فيها مع الدكتوره؟

-حاضر يا بابا.

قام جلال لأمه من جديد إنما لا يعلم أى قوى بالأرض قد تقنعها بترك ثروتها لزوجها خاصة بعد تزوجه بآخرى، فقد كانت والدته دائمًا حريصة أشد الحرص على أموالها والآن يريدون منه إقناعها بالإمضاء على توكيل عام عن كل ما تملك وإلا تظل رهينة بقصرها لتزبل وتموت. دلف لغرفة أمه وجد إضاءة الغرفة لا زالت مغلقة وهى محملقة بالفراغ أما الصغيرة التى يعاني منها الأمريين ليجعلها بسريرها بموعد نومها ذهبت في سبات عميق على حجر جدتها. اقترب من والدته وقال:

-إيه رأيك يا ماما تيجي معايا تغييري جو وتزوري الأوْليه؟

أجابته بسقم شديد:

-مش هيسيبنى يا جلال، عايز يخلَّص عليَّ و يورثني هو واخواتك.

-بعد الشر عليكى، أنا إتفقت معاه ووافق قومى معايا.
قامت مع ولدها وجمعت كل حاجياتها ليقين آخر سكنها، رحلة ذهاب بلا عودة. تفقدت غرفتها للمرة الأخيرة وخرجت للمجلس المنعقد لنفيها عن دارها. بانتظارها حشاء بطنها آملين بتمزيقها إربًا حتى ينالوا ما لهم مبكرًا. لما رآها عبد المقصود مقبلة إنتصب واقفًا وتوجه إليها وقال:
-هتمشوا دلوقتي مش هتتغدوا معانا؟
أجاب عنها ابنها:
-عشان نلحق الطريق.
لن يذهب عبد المقصود الفرصة، فموعد الرحيل لم يحن بعد، فالاتفاق تترك مالها تنجو بعمرها لذلك قال عبد المقصود بحزم:
-إتغدوا معانا الأول، محدش عارف الوشوش هتتقابل إمتى؟
جلست للغداء العائلي الأخير تقر عيونها من الأبناء والأحفاد والحبيب الأول والأخير منذ طلب منها انتظاره عوضًا عن أختها التي لم تستطع انتظاره وتزوجت المهندس بينما هي اختارت العويل لتجعله أكبر من المهندسين والأطباء الذين اقترنوا بأخواتها. صمت قاتل ساد الغداء لم يقطعه غير بعض العبارات المكررة عن تضحية عبد المقصود بنفسه من أجل أبنائه وزوجته فقاطعته هي:
-ماتوجعش قلبك يا عبده، قولت الكلام دكهوه قبل كده.
احتد مستنكرًا قطع حديثه لأول مرة منها ثم قال:
-إنتي يا حاجه مسافره مع إبنك، حقتك تعميلي توكيل أمشي أمورنا بيه.
-قولت لاء.
نفض عبد المقصود يده عن الطعام وعقد ما بين حاجبيه غضبًا وقال:
-يبقى تفضلي معانا عشان ماتمشورش من مصر لدمياط وأهي فرصه أجيب

الست الجديدة والعيال، يغيروا ويشوفوا دمياط وراس البر ولا أقولك، السرايا برحه أنقل مدارس العيال بدل مشورتي من منيه النصر لدمياط.
من إنطلى عليه خطة عبد المقصود الجديدة جلال فقد قال بحدة:
-ده بيت أمي، إزاى ضرتها تيجي تعقد معاها؟!
قام عبد المقصود ثائرًا يضرب المائدة بيده بعنف ويقول:
-ده بيتي أنا، وانا اللي أقول مين اللي يقعد ومين اللي يمشي، واللي مش عاجبه الباب يفوّت جمل.
قام جلال بدوره وقال بتململ:
-ياللا يا ماما هنتأخر.
قوطع نهوضها مع ابنها للرحيل، فيد ابن عمها تربت على كتفها لتعيدها لمكانها مجددًا ذليلة مالها وقال:
-سافر إنت يا جلال، هناوه هستنى، هى ست الدار ولازمن تستقبل ضيوفها.
وعندها أيقنت أنه آن موعد الرحيل فقامت رغمًا عنه ورغم يده وابتسمت بوجه ابن عمها وقالت:
-هات التوكيل يا عبد المقصود.
نظر عبد المقصود لولدهما البكر فهب واقفًا وغاب للحظات وعاد بصك التحرر، وضعه أمامها برفقة قلم وانتظر التحرر من قبضتها بدوره. قامت بإمضائه على عجالة ولما انتهت لملمه ولدها الأكبر وسارع به لأبيه الذي برمه ووضعه بجيب جلبابه باطمئنان حتى أن الابتسام تفجر على وجهه المسود خشية قادم وإن لا يعلم عنه أي شيء. ولأدب رفيع وأخلاق عالية ذهبت عن كل النساء إلا هي أذنت من زوجها للرحيل فأجابها:
- يعز عليَّ فراقك وعارف إنك راجعه لما توزني الامور بالعقل.

لم يكن أدبًا أو أخلاقًا فقد كان أملًا قبع بسريرتها لما خيل لها أن زوجها قد يكون في حاجة إليها وليس في حاجة لصك. خرجت من القصر وتركته لطامعيه لحين حبط أمالهم بعدما ترائى لهم إزاحتها عن عرشها. حمل لها أكبر الأبناء متاعها وأوصلها إلى سيارة أخيه للوداع والآن يسحب يدها اليمنى لتقبيلها ألا إنها سحبت يدها بعيدًا عن وجهته لتفتح باب السيارة الخلفي والاختفاء والعاقبة في المسرات.

جلال كان صامت طيلة الطريق الطويلة. بلاد عامرة عديدة مروا عليها حتى زحام القاهرة الخانق ثم صحاري شاسعة على أطرافها العديد من الفيلات حتى فيلا ابنها التي لم تكن فيلا بعد، فقد كانت مجرد طابقين من الخرسان المسلح والطابق الثالث مغلق بحوائط حمراء من الطوب الحراري، يحاوط الفيلا حديقة صغيرة بها ألعاب الصغيرة المهملة وقد علتها الأتربة، رقعة خشبية على الباب الحديدي تحمل اسم صاحبة الفيلا؛ هنا النائمة للآن. ترجل جلال من السيارة والتفت للباب الخلفي لحمل الصغيرة وصعدا للطابق الثالث من الفيلا ولم يكن أحد باستقابلهم. تهالك كلاهما على كنبة الصالون لالتقاط أنفاسهما التي هدرت على درج البناية القاسي غير الممهد مما جعلها تقول:

-لازمن تركب أسانسير أنا مقدرش على السلالم.

-أركب أسانسير على تلات تدوار؟!

يستنكر وجود مصعد كهربائي ببيته وكأن قصر دمياط ليس به مصعدين فلمحت على الفور ضيق الحال الذي حتى ليس في حاجة للمحه فهو متفشي في بيت ولدها الأصغر بأكمله:

-أيوه، ماتشلش هم الفلوس إسعى إنت بس.

أومأ بالموافقة وأكمل التقاط أنفاسه التى تهادرت من حمل الصغيره لثلاثة

طوابق، تلفتت من حولها وجدت الشقة بحالة يرثى عليها ملابس الصغيرة بكل مكان إلى جانب كتبها الأجنبية وألعابها، النوافذ مغلقة ورائحة الشقة خانقة وكأنها مهجورة من ساكنيها. الأثاث ليس من أثاث معارضهم يبدو عليه التهالك لأنه أثاث المطلقة الهاملة لزوجها وابنتها.

-مراتك اسم النبى حارسها هترجع إمتى؟

-شويه كده، هنزل أجيب الشنط.

ناولها الصغيرة وخرج من الشقة لحظات واختلجت أجفان الصغيرة الماكرة فهي لم تكن نائمة كما ادعت كي يحملها أبوها وتفلت من عقوبة ثلاثة طوابق من الدرج الخرساني غير الممهد، حدجتها جدتها بتعجب وقالت:

- صاحيه يا عفريته وطلعتي روح أبوكي.

لم تبالي الصغيرة بما قالته جدتها وقالت:

-هتقعدى معانا يا هناوه؟

ابتسمت الجدة بتحسر وقالت:

-أيوه.

قالت هنا بفرحة عارمة:

-على طول؟

للأبد وحينها ارتمت الصغيرة بأحضان جدتها فربتت على كتف الصغيرة التى لم تتلوث بعد بشره البشر. جاء الأب وصاح بالصغيرة:

-صاحيه ياعقربه!

ضحكت الصغيرة وانكمشت أكثر بأحضان جدتها، بينما جلال أنزل الأمتعة وجلس بجانبها يكمل ما فاته من مداعبة لصغيرته لما كمش وجنتها المتوردة فتزايدت ضحكات الصغيرة وأنارت الدار.

-البيت مبهدل، مراتك راجعه إمتى؟

لم يجيبها في الحال فقد طلب من الصغيرة الاختفاء بغرفتها ولما تأكد من جلائها قال:

-مش راجعه، طلقتها.

نال منها التعجب وسألت لمَ فقال:

- مارتحناش مع بعض.

- بعد عشر سنين معاها جاى تقول مش مرتاح وهنا وولادك اللي هتبعت تجيبهم مين هياخد باله منهم؟

- أنا.

- وشغلك؟

- مع شغلي بعدين الولاد كبار ويقدورا يخدموا نفسهم حتى هنا.

ماذا حدث ماذا جرى مجرد حجج واهية لم تستشف منها سبب الفراق. لم يخلد جلال للراحة بعد ما قساه اليوم من رحلة ذهاب وعودة من القاهرة لدمياط قطع بهم أكثر من ستمائة كيلو مترَ وأعاد للبيت بعضًا من الوقار المفقود بافتقاد ربته. الصغيرة تعينه تارة وتعيقه تارة أخرى لا تتوقف عن اللعب والمزاح وسؤال أبيها إذا ما كان غاضب منها وعند إجابتها بأنه لا يستطيع الغضب منها أو عليها تسأله متى عودة أمها فيطلب منها العودة لمساعدته والصمت. نامت بغرفة الصغيرة والصغيرة قضت ليلتها مع أبيها بغرفته حتى أيقظها بالصباح صوت ولدها الأصغر وهو ينادي الصغيرة ليوقظها للإفطار، لحظات وصرخت الصغيرة باكية باحتقان بينما تعد أبيها بإنها لم تكرر فعلتها مرة أخرى فيصيح بها أبوها بإنها ليست معاقبة ومن مثلها لا يقترف شر. خرج بها من غرفة نومه للمطبخ كي يعد لها الإفطار ويزعم أن الصغيرة في مقدرتها

خدمة نفسها مثل الراشدين وهي للآن تنام برفقة والديها، جلسا ليتناولا الإفطار سويًا ألا إن الصغيرة تتجاهل إفطار أبيها وتعود للسؤال عن أمها فأجاب هذه المرة قائلًا:

- فاكره القط الرمادي اللي لاقيناه ميت أدام الفيلا عملنا فيه إيه؟

-فاكره.

-ماما حصلها زى القط ومش هتشوفيها تاني.

صاحت به الصغيرة:

-انت بتكدب، أنا شفتها ومش كان فستانها في تراب، يعني مش نامت في حفرة زي القطة الميته.

-شفتيها فين؟

-مش ليك دعوه.

انتهى صياح الصغيرة عند جلبة كبيرة لأخشاب وأواني متكسرة كانت من تبعات ثورة الصغيرة على أبيها، أبيها المسكين الذي وقف متحيرًا لا يجد ما يقوله للحظات إلى أن عادت الصغيرة للصياح:

-انت وحش، انت بتموّت ناس وبتموّت ماما، أنا هسيبك وهمشي وأروح أعيش في الحفرة مع القطة.

همت الصغيرة للخروج من المطبخ ألا إن أبيها أمسك بها وجثى على الأرض يخاطبها وكأنه يبرئ ساحته أمامها:

-أنا ما موتش حد يا هنا اللي بتشوفيه ده يا حبيبتي كدب صاحبتك عايزه توقّع بينا عشان تاخدك مني.

-هناوة ما بتشوفش كدب.

قالتها الصغيرة بلغة ناضجة واعية وليست لغة طفلة بالسابعة من عمرها، وكان

هذا آخر ما روته الصغيرة عنها ؛ الرؤى المقلقة. تركت الصغيرة أباها وهرولت لغرفتها ثم صفقت الباب بقوة من خلفها وحينئذ اكتفت هناوة من دلال الصغيرة ودخلت على ولدها المطبخ فوجدت مائدة الإفطار مقلوبة رأسًا على عقب وابنها يلملم ما سقط من طعام وشراب أرضًا مرتديًا ملابسه العسكرية:

-أنا هلمهم يا جلال روح إنت على شغلك.

لم يستجب لالتماسها واستمر بجمع بقايا الطعام بينما يقول:

-خلي بالك من هنا يا ماما عنيك ما تغبش عن عنيكي لحظة.

انتهى من جمع الطعام عن الأرض وقام للخروج فاستوقفته قائلة:

-ما تفهمني يا إبني إيه اللي جرى بينك و بين مراتك.

أجاب بتملل:

-حصل اللي حصل يا ماما، مش ده اللي كان نفسك فيه من زمان، أنا ماشي محتاجه حاجه اجيبها معايا وأنا راجع؟

-سلامتك.

خرج جلال لعمله وعليها الآن مراقبة الصاخبة مثل أمها، بغرفتها مستلقية على بطنها أعلى الأرض العارية فُرشًا، ترسم داخل إسكتش كبير للرسوم وجه لرجل يبدو بهى الطلعة. جلست على طرف سرير الصغيرة وقالت:

- بترسمي مين يا هنا؟

-خطيبي.

نظرت الجدة مليًا للرسوم لم تجدها تطابق وجه حفيدها البالغ مصدر فخر ولدها الأكبر وجده فهو الآن ضابط شرطة مميز اختارته الصغيرة دون عن كل أبناء عمومتها ليكون زوجها المستقبلي والمثير للدهشة صدق الضابط من تجاوز الخامسة والعشرون على كلماتها وبانتظار الصغيرة لسنوات قادمة حتى تصير

عروسه.  ضحكت الجدة ثم قالت:
-بس الرسم ده مش شبه سعد.
-ده خطيبي التاني.
-هتجبيه من بره قادرة زي أمك، ما تذاكري أحسن.
تأففت قليلة الأدب والحياء من نصح جدتها وعادت لرسم خطيبها المزعوم، أما هى لم تذهب الوقت سداء، تعلم إن لديها من الوقت على أقل تقدير يومان حتى تنكشف خدعتها ويأتي ابن عمها لخلاصه.  طلبت من الصغيرة اصطحابها لصيدلية قريبة ووعدتها بشراء كل ما تطلبه من حلوى شريطةَ ألا تخبر والدها عن مهمتهما ووافقت الصغيرة ونالت ما وعدت به وأكثر؛ فالماكرة طلبت نقود سائلة لتجلب ما تريده بلا مراقبة من أحد، للحق تشبهها قلبًا وقالبًا فبكل مرة كان يذهب زوجها لسفرة عمل كان يسألها عن ما قد ترغب به من بلاد الأعاجم فتجيبه أن يعود بالنقود سائلة وببلادهم تشتري ما يحلو لها دون تقيد وبالنهاية تصب السوائل بالبنوك من أجل الأبناء ورغدهم وكان هذا هو الجزاء.
لم يمر غير ليلة ويوم وطرق الباب بقوة قيام ساعته الأخيرة، الساعة السادسة مساءً بعد أن فرغت من سنن صلاة المغرب.  فتح ولدها الأصغر لأبيه الصائح باسمها فخرجت لزوجها تنظر له بتحدي بينما يقول:
- بتنصب على أمك يا جلال؟!
قالت بهدوء:
-جلال ما يعرفش حاجه.
سأل ابنها مستفهمًا:
-ما تفهوموني ايه اللي بيحصل؟!
صاح عبد اللمقصود:

-امك كتبت كل أملاكها باسم هنا، يعني التوكيلات اللى ضحكت عليَّ بيها عشان تهرب مني مالهاش عازه.

تمثل الخوف بعيون ابنها وقال:

-ليه عملتي كده بس يا ماما؟!

جلست باسترخاء لترى النظرة التي انتظرتها من عيون الخائن الغادر الذي قال:

-انتِي اللي جبتيه لروحك، هترجعي معايا دمياط وبعد ما كنت ست الدار هتبقي خدامته.

هدأ جلال أبيه قائلًا:

-مفيش داعي يا بابا، أنا الواصي على هنا، هعملك كل اللي إنت عايزه.

صرخت بهما:

-مافاتتنيش يا جلال، أنا الواصيه على هنا لحد ما أجوزها اللي يجي يرميكوا في الشارع.

ثم تحولت لزوجها واستطردت متهكمة:

-أومال إنت فاكرنا هديك فلوسي تبقشش بيها على الصايعه اللى كانت شغاله أدام معرضي بتعملكوا الشاى اللى خالها عضو المجلس المحلى.

ثار الوالدين للمرة الأولى أمام ولدهما، في مواجهة حامية الوطيس يسب كلًا منهما الآخر هى تنعته بالخائن الطامع وهو بعديمة الحياء الجاهلة تربية الجن والعفاريت. حاول التفريق بينهما وتهدئتهما لم تهدأ غير والدته حيث قالت:

-تشرب شاى يا عبده؟

حدجها بتعجب أما أبيه صاح بها بجنون:

-إنتي إتجننتى يا وليه!

-إشرب الشاى وبعدين أمضيلك على ورث أبويا غلتطش أنا؟

لم تنتظر ردًا من أبيها واختفت لإعداد الشاى إنما هدأ أبوها بعض الشيء وجلس يلتقط أنفاسه من عناء ما لاقاه اليوم من خيانات متشعبة؛ زوجة وابنة عم وولد عاق لا ذنب له بما جنى الأباء. قبل أن يأتي الشاى أتت الصغيرة فقد أيقظها صياح الأجداد من قيلولتها، توجهت إلى أبيها تفرك أعينها بسبابتها حتى وقفت بجانبه إنما سحبها جدها إليه وقبّل رأسها ثم قال:

-ربنا يجعلنا من بركاتك يا ست هنا، اختارتها هي دونًا عن كل أحفاده عشان أصغرهم وأبوها مايل ابن أمه.

-شكرًا.

-بالذمة ما كنتش تعرف هي ناوية على إيه؟

-والله العظيم تلاته ما كنت أعرف ولا ليَّ أي يد في اللي حصل.

اطمئن قلب أبيه فقد بدى على محياه الإرتياح قليلًا ثم قال مازحًا:

-شبه أمك الخالق الناطق، لما بشوفها بتلبش.

ضحك جلال مع أبيه ثم استطرد:

-بتشوف المستخبي زى أمك؟

-لا خلاص الحمد لله مابتشوف حاجه يا حاج، خشي أوضتك يا هنا.

رفض الجد إقصاء الصغيرة وأخرج من جيب جلبابه محفظته العامرة وناول الصغيرة ورقة حمراء بخمسين جنيه أخذتها منه على عجالة ووضعتها بجيب سروال بيجامتها الحمراء فقال جلال:

-بوسي إيد جدو وأشكريه يا هنا.

لم تلبي الصغيرة ومتى لبت إنما لبت جدتها، أتت بكوب واحد من الشاى ولم تصنع له أو لهنا محبة الشاي بكل الأوقات. وضعت أمه الصنية التي تحمل كوب الشاي على طاولة الصالون الصغيرة ثم ناولت الكوب لأبيه قائلة:

-إشرب يا عبده روّق دمك يا أخويا، الدنيا مش مستهله.
أجابها أبيه بحدة:
-ما تقولي لروحك وِلّيه خرفانه صحيح؟
هم عبد المقصود لوضع الشاي الساخن على الصنية مجددًا فأوقفته الصغيرة قائلة:
-أشرب معاك يا عبده.
ناولها جدها الشاي فأزاحته الجدة عن فم الصغيرة قائلة:
-مش هتعرفي تنامي بلليل، إشرب يا عبده.
-بشربه بارد ولا نسيتي.
تذكر جيدًا فقد كانت تعد الشاي قبل وضع الطعام على المائدة ليشربه بعد كل وجبة مباشرة معتدل الحرارة ولكن الآن التعجل مطلوب قبل أن تعدل عن رأيها وتشرب الشاى عوضًا عن ابن عمها وزوجها وأبو أبنائها، سنون حلوة ومرة أنساها حلوها مرها بغَرفة من يده ليسقيها، أو كفه تربت على كتفها، نظرة من عيونه الشاكرة الحامدة رضا الله لما انتظرته أصغر بنات أعمامه، عشرة طيبة أنهتها سمراء ماكرة استغلت طيبة ابن عمها ليرفعها من سُكنة الأرصفة للقصور.
برد الشاى وحان الموعد فرفع عبد المقصود الشاي ولكن استوقفته الصغيرة مجددًا قائلة:
-هات شويه بقه.
جذبت الصغيرة كوب الشاي من جدها وهمت للارتشاف إنما لاحقتها الجدة لما سحبت كوب الشاي بقوة عنها ثم صاحت:
-إنت ما بتسمعيش الكلام ليه يا مقصوفة الرقبه مش هتشربى شاى قومِي من هنا!

احتد عبد المقصود مجددًا فقد تساقطت بضع قطرات من الشاى على عباءته الحريرية ملطخةٍ إياها وصاح بهناوة:

-أما صحيح وليه مجنونة، هرجع البلد إزاى دلوقتى؟

فزعت الصغيرة من الأجداد القلقين وذهبت لتحتمي بأبيها بعدما نهرت بهذه القسوة وبلا أسباب. احتضنها أبيها وحملها ودخل بها لغرفتها بعدما هدأت الأجواء الأغرب. شيء يدعوا للتأمل حقًا إذا كانت أمه تنوي ترك ثروتها لزوجها فلِمَ كتبت ثروتها لهنا ببادئ الامر ولِمِ تركت قصرها وأتت لخرابته كما تنعت بيته. نساء لا يعرف مخلوق بالكون ما يدور بخلدهن. وضع الصغيرة على سريرها وبدأ بترتيب الغرفة وكان أول ما رأى من أشياء وجب محوها صورة لابن منير رسمتها الصغيرة ومن حولها كلمات عديدة بالألمانية. مزق الاسكتش وتحول للصغيرة غاضبًا فسارعته بغضبها قائلة:

-إنت وحش ونانا وحشه أنا بكرهكوا كلكوا، يارب تروحوا النار.

أصرف الغضب عن ملامحه وقال:

-هجيبلك إسكتش غيره، أعملك شاي؟

لم تجيبه كحالها عند الغضب من أبيها وكأنه في حاجة للمزيد من الغضب. حملها مجددًا علها ترضى عنه وعن جدتها بهذه الظروف العصيبة ودخل إلى المطبخ لإعداد الشاى. أنزلها لتجلس أعلى طاولة المطبخ كما تفضل ثم تنحى لناحية الموقد ووضع البراد عليه، عاد للصغيرة ليخرج من الدرج أعلاها كوبها، تناولته منه ظنًا منها إنها تساعده عبر حمله إنما لم يستنكر وشكر مساعيها الدئوبة لإرضاء أبيها ثم ذهب لجلب الشاي وسكرها الخاص بحالتها المرضية لجديدة إنما لما رأته مقبل قالت بتململ:

-أوف بقه السكر ده وحش.

ثم نزلت عن الطاولة وفتحت أحد الأدراج السفلية وأخرجت منه زجاجة داكنة سوداء محتواها لا يظهر كننه، ناولته إياها وقالت:

-حط من ده ناننا حطت منه لجدو، عشان عنده سكر زيي.

نظر للمحتوى المذكور على الزجاجة الصغيرة وجد أنه كتب عليها من جميع الجهات بالانجليزية سم قوي للحيوانات الأليفة وابنته تقرأ الإنجليزية والألمانية وتعرف محتوى الزجاجة وتناوله إياه رغم ذلك. نظر لابنته متعجبًا وقال:

-مين اللي جاب الازازه دي يا هنا؟

-نانا جبتها عشان الكلب بتاعها عيان.

أي الكلب، فيلته ليس بها كلاب إذًا لمن السم ومن أين حصلت أمه على زجاجة بهذه الخطورة بكل سهولة وكانت الإجابة كذلك لدى الصغيرة، أمه العاقلة الرزينة اصطحبت ابنته لشراء السم من صيدلة زوجة زميله بالعمل وجاره لتقتل أبيه، زوجها لمجرد أنه تزوج امرأة أخرى. بعد الحقائق التي تكونت بعقله المحترق من كيد النساء ارتخت قبضة جلال المطبقة على زجاجة السم فسقطت أرضًا وتهشمت ذراتها من حول قدميه. هرع من المطبخ لإنقاذ أبيه من الموت وسحب كوب الشاي المسمم عن فم أبيه وألقى بالكوب أرضًا مما جعل أبيه يصيح بعصبية:

-أنتو إجننتوا كلكوا ولا إيه؟!

نظر جلال لأمه وجدها تحدجه بغضب مستنكرة إنقاذ أبيه من القتل على يدها وليس بعيونها نظرة ندم عن فعلتها النكراء بل إصرار مطلق على القتل غير الرحيم. لم يقوى على لفظ الاتهام تجاه أمه فاضطر أن يقول بكل ثقة:

-بقولك يا حاج، أنا المسئول عن فلوس هنا، وأى ورقه تحب تمضيها أنا هجيلك بنفسي دمياط أمضيهالك، أى أوامر تانيه؟

صاح أبيه بجنون:
-يعنى اللى حسبته لقيته واللى إفتكرته موسى طلع فرعون بتسرقني يا جلال؟!
-أنا ما سرقتش حد، بس كمان ما ينفعش تاخد فلوس أمى وولاد بتاعت الشاى يبقى زيهم زيى بعد عمرًا طويل.
ضاق أبيه بما سمعه من ولده الأصغر فقد خدع من أقرب الناس إليه الزوجة والولد وحينئذ تقدم عبد المقصود من ولده السارق وصفعه على وجه بقوة نساها جلال منذ زمن، فلم يكن يأتي بخلد جلال أن أبيه لا زال يمتلك نفس القوى التى كان يمتلكها عندما كان يؤدب أبنائه صغارًا والآن شيوخَ متظاهرين بمظهر السارق الطامع خوفًا على والديه من مصير مظلم.
-إنت يا كلب تسرقني، بس العيب مش عليك العيب على اللي دارت عني شقايا وعرقي عشان واحد زيك يشفطهم على الجاهز
قالها أبيه ثم نظر لزوجته بغضب عارم وأردف:
-عمري ما هسامحك ولا هسامحه خليكي جنبه ثم نظر للسارق وأردف مجددًا.
. عيالك تبعت تاخدهم مش عايز أى حاجه من ريحتك.
خرج أبوه ناقمًا عليه داعيًا بوقده فور مولده، فشكره جزيل الشكر ثم تحول بالنظر لأمه منتظر كلمة تنم على ندمها الشديد ألا إنها بخلت بها أو بأى إحساس بالذنب. ماذا كان ليفعل غير ذلك يخبر أبيه أن أمه أرادت قتله جزاء ممارسة حقًا من حقوقه المشروعة، وحينها يصطحبها أبوه لدمياط عنوة لتعاود محاولة قتله وقد تنجح فإنها هناوة ولا يستعصي عليها شيئا بالوجود. وإن لم تنجح قد تقتل نفسها بعد الإذلال الذي توعد به أبوه إن لم تردخ وتسلم ثروتها له، يبدو أن الحل الوحيد والأمثل أن يكون ولدًا عاق.
أطلق البراد صافرته منذ آجل ولم ينتبه إلى الآن بينما أمه عادت لغرفة الصغيرة

غير آبية لأي شيء بالوجود أما الصغيرة بالمطبخ وحيدة بين ذرات زجاجية لزجاجة سمٌ قاتل فسارع إليها وجدها ممدة أمام باب المطبخ وقد فقدت الوعى بعدما داهمتها نوبة سكري جديدة بعد أن رأت عراك آخر مدار أمامها فروحها البريئة لم تعد تتحمل كل هذا السخط. حملها لغرفتها ووضعها بجانب جدتها التى بدى عليها التعاطف أخيرًا وسألت عما أصاب الصغيرة، لم يجيبها في الحال فقد اتصل بالصيدلية الوحيدة في التجمع الخامس وطلب من الطبيبة أن ترسل أحدًا من معاونيها ليحقن الصغيرة بالأنسولين وبعد أقل من عشرة دقائق لم ترسل الطبيبة مساعدها فقد أتت بنفسها وحقنت الصغيرة بمحقنها وانتظرت معها حتى أفاقت ثم نظرت له لائمة:

- أنا مش قولت ماحدش يزعل نوننا يا جلال.

وقبل أن يجيب صاحت الصغيرة. .

-قولي لمامي أنا عايزه أمشي. . خليها تيجي تاخدني.

ابتسمت الطبيبة بحنو للصغيرة وقالت. .

- أخدك أنا لحد ما ماما ترجع. . رأفت اشترى عجله جديده وعايز يفرجهالك. . ياللا بينا.

قامت الصغيرة معها فاعترض قائلًا. .

- معلش خليها وقت تاني.

طلبت الطبيبة من هنا تبديل ملابسها وإعداد كتبها للرحيل ثم ألحت بالانفراد به قليلًا لمباحثات لا تمل منها لصالح صديقتها الخائنة.

-أيًا كان اللي حصل بينك وبين فدوى. . فدوى هتفضل أمها وهنا محتاجاها. . نحي كبريائك شويه تجاه بنتك الوحيدة لو عايز مصلحتها

لم تكمل الطبيبة مرافعتها لصالح صديقاتها وجارتها بمصر الجديدة سابقًا

والتجمع الخامس حاليًا فقد خرجت الصغيرة من غرفتها على أتم الاستعداد للرحيل عن وجه أبيها المعكر بالمآسي، فأردفت الطبيبة. .

- هنكمل كلامنا بعدين. . هاشم عازمكوا على الغدا نفسنا نتعرف أكتر على الحاجّه.

- فرصة تانيه. . أجي أخد هنا إمتى؟

-أنا هاخد هنا معايا المستشفى نعمل تشيك أب كلنا وبعدين هتبات معايا. . ما تشلش همها.

خرجت الصغيرة ناقمة على المصح العقلي الذي لا يصلح لطفولتها المنتهكة من أحداث مأساوية متلاحقة قد تسري مائة فيلم حزين. ودعته إنما ليس عبر راحتها كما المتعارف بل عبر لسانها، تكيده لانتصار زوجة صديقه عليه كما انتصرت أمها وهزمته هزيمة نكراء.

هذه الصحاري كانت آخر الملاذ من مطاردات منير لطليقته فهو لم يستطع حتى الآن أن يصدق إن إحداهن تركته لصالح موظف فقير. بعد الحادث الشنيع ترك ما لم يكن يومًا ملكًا له غارقة بدمائها وحمل ما يملكه وخرج بها من الوكر إلى أقرب مشفى. الأطباء يتهافتوا على صغيرته واحدًا تلو الآخر يتناوبوا على حالتها حتى جاء أكبرهم سنًا وقال. .

- أنتو عملتوا حادثه؟. . أو شافت حادثه أدامها من قريب؟

-هى عندها إيه يا دكتور؟

- اللي قدرنا نشخصه لحد دلوقتي إنهيار عصبي أدى لارتفاع ضغط الدم والسكر في دمها بنسبه كبيره وفي إحتمال. . بس إن شاء الله ظننا ما يكنش في محاله. . إنها تبقى مريضة سكر مزمن.

وصدقت الظنون، طالتها الكارثة بوصمة لا براء منها. يومان بجانبها بالمشفى

تسأله عن أمها وعن الدماء التي نزحت عنها ولا يجد إجابة شافية. لم يخطأ فقط لما تزوج بفدوى بل أخطأ أيضًا لما جلب ابنته للتداوي بالمشفى العسكري الخاص بالطيارين العسكريين فقد تناقلت الأخبار وأتى زميلاه الأقرب مصطفى وهاشم سائلين عن الصغيرة برفقة زوجاتهما. كان يريد إخفاء ما حدث ولكن الصغيرة تصرخ بعودة أمها والجميع يسأل عنها شفقة بالصغيرة فذاع آخر الأنباء ذهبت ولن تعود وجزيل الشكر والعرفان لمحاولتهم لحل النزاع لعودتها والتي لم تعدله عن قراره ولو لقيد أنملة.

أرسل لحبه الأول والأخير صك فراقهما الأبدي أو ما ظنه حينها وانتظر منها باقي الرواية، إسدال الستار أو رفعه عن خيانتها إلا أن ما حدث جاء معكوسًا، زارها زوجها الأول ولم تتمسك بطوق النجاة مرة أخرى، نهرته وطردته عن عتبات منزلها مستنكرة عطاياه من خطف لقتل لنفوذ تجعل ممن حاول قتلها خاضع لها، أربعة أيام وتماثلت الشفاء من رصاصة اخترقت طحالها أدت لاستأصاله وعادت للعمل بعيادتها للأسنان فطالما أولت عملها نصيب الأسد من اهتماماتها التي لم تشمله يومًا. خلاصة القول لم تعود لمنير حتى بعد وعده لها بتحقيق كل أحلامها. . تنتظر، فيم انتظارها لن يعود ولن ترى ابنتها ما حيت.

هناوة بكت لما علمت ما أصاب الصغيرة، وهناوة لم تبكي لما تزوج زوجها بآخرى وتبكي الصغيرة قليلة الحظ مثل جدتها وتلح عليه بالإبقاء على زوجته من أجل هنا وليس ذلك فقط تلح أيضا بعودة الصغيرة للبيت لتقوم على خدمتها هي. هناوة توقفت عن خدمة أى شخص منذ عقود والآن تريد السهر على راحة الصغيرة، لا تعلم إنها الآن تنعم بعناية طبيبة صيدلية، الوحيدة القادرة على إعطاء الصغيرة حقنها دون بكاء، تستطيع إطعامها على نقيضه يصطحبها يوميًا للمحال الذي تفضله للغداء والعشاء وبالنهاية يأكل هو وهي

تحملق بطعامها ثم يعودا للمنزل بوجبتها لتظل بالثلاجة حتى تتعفن منها للقمامة. ظلت الصغيرة بفيلا صديقه المكتملة الإنشاء الفاخرة لشهرين لا يراها إلا عند عودته من العمل واصطحابها للنوم حتى بيوم وجد برسغها سوار فضي ، ولما سألها من أين أتت به قالت. .

-رأفت جابهولي. . بس ما تقولش لحد.

بالطبع لم يخبر أحد ولن تذهب لمنزل صديقه مرة أخرى فصديقه لديه ولدين وفتاة. الفتاة رضيعة والولدين الأصغر بالخامسة والأكبر بالثانية عشر؛ رأفت والصغيرة جميلة حتى لو بالسابعة من عمرها فقد أمسى لها معجبين يهادوها بالثمين.

لملم أجازته المرضية والعرضية وقضاها مع الصغيرة حتى جاءت أمه للمكوث لديه فعاد للعمل كما عادت أمه للإلحاح تريد عودة فدوى أو التزوج بآخرى لترعاه وترعى ابنته إنما أي أخرى قد تملأ ما أفرغته فدوى. .

القاهرة ١٩٨١. . أحداث متلاحقة هزت مصر منذ وطئت قدميه أرض القاهرة ليبدأ دراسته العسكرية. بدايةً مقتل رئيس الجهمورية بطل الحرب السلام محمد أنور السادات ليتسلم القيادة نائبه قائد القوات الجوية المظفر بنصر أكتوبر المجيد محمد حسني مبارك. تخرج جلال عبد المقصود عبد الحي في الكلية الجوية كأول دفعة مكرر ليكون أفضل من عمه الذي شارك في حرب أكتوبر المجيدة ورأى النصر بعيونه من طائرته. كان عليه العودة لدمياط إلى أن يتسلم عمله المؤقت حتى سفره للبعثة ولكن فضل رفقتها الأخاذة. لم يكن على شاكلة زملائه فقد كان شاغلهم الشاغل النساء أما هو اعكتف على دراسته حتى ظفر بأقاصي ما طمح ولم يتبقى غيرها. شتائها مضى شفافًا وأحيانًا مشمسًا لم يتمثل به ضبابًا بل تجلى به البرق وأضاء زواياه الخاوية المعتمة.

كلمات الحب رثة أمام بهائها فلغة الضاد العتيقة ليست لمن بجديدها. سكنه ما يسموه البعض بالسعادة لمجرد إنها ساكنة الجوار فالسعادة كلمة وجدها بين أخوة متحابين، عشيرة طيبة إنما لم يتصور أبدًا أن تكون برؤياها ولو صدفة.
هذه العيون المتفجرة بالعنفوان الفتي مارست ألعابها النارية داخل جسده موقنة بإنها وفقت وإحتلت بألعابها تحصيناته المنيعة، تغمز له، تسخر منه ثم تودعه بالراحة المخملية واعدة إياه بالمزيد من الألعاب وإلا العذاب. أجمل الأيام بين شعر وزجل ووجه حسن حتى اقترب موعد الفراق إنما ثابر على دربها فإما هي إما الموت، سوف تحط أينما حط. وكأي رجل بالعالم طلب خطبتها من والدتها الطبيبة إنما لم تبدو رحابة بالخطبة لصغر سنهما وأسبابًا شتى ورغم ذلك لم يتملكه يأس. خرج من بيتهم إلى قريته يزف لوالديه نيته للزواج إنما تجاهل أبيه كل ما سمعه وقال:

- عمك شافلك عروسه بنت ناس كويسين وعارفنها بنت اللواء خيرى عواد. . عمها وكيل وزارة. . خلصت تعليمها وهتكون فاضيالك.

- أنا عايز اتجوز فدوى. . أنا خلاص اتفقت معاها و مع والدتها.

- و إتفقتوا فين؟

- روحتلهم شقتهم.

- ومين قعد معاك غير الولايا؟ وأنا لو وافقت هحط إيدى فى إيد مين وأنا متوضي ؟

الفكر القديم الذى مات ودفن وتقبل به الجميع العزاء، المطلقة طليقة لكل فعل سيء وبالتالي ابنتها وريثتها فقال جلال مدافعًا. .

- يا بابا دول ناس محترمين وعمى عارفهم و بيشكر فيهم دول من عيله كبيره اوى.

- وما حددش من العيله الكبيره أستقبلك ليه. . الأسبوع الجاى هنسافر معاك كلنا نخطبلك بنت اللواء خيرى ويتم الجواز قبل السفر. . الجواز مش لعبه يا جلال خد اللى تقف جنبك وتربيلك عيالك. . تمشى على دماغك لكن الدكتوره هى اللي هتمشيط هى وأمها يا حضرة الظابط.

كانت محاضرة طرد حبه الأول والأخير من قلبه طويلة، ممتدة جمعت كل أخوته لمساندة أبيهم برأيه وساد رأى الأب كالعادة، ابن العائلات الكريمة ليس عليه التزوج من قاهرية فاقدة القيم فممن نالت القيم، عاشت حياتها دون أب يوجهها أو يحميها ويحمي أمها، بأي حال أين تعرَّف على هذه الفتاة، بالشارع بالطبع ودخل بيتها الذي لا يحوي رجال لاستقابله وكم من رجل دخل قبله وبعده والعديد من الحقائق التي تصارعت بداخله حتى تمكن حبها من قلبه وخبوت عواصف التقاليد. كان يعلم أن فدوى ثورة إنقلاب على كل الأعراف وحسب إنه تهيأ له بشتى الأسلحة والإثباتات والبراهين إنما نهاية علم أن حربه ضد الأعراف كانت أقصر حرب من حروب التاريخ حتى أقصر من حرب إنجلترى وزنجبار التي استمرت لمدة ثمانية وثلاثون دقيقة. بالطبع كان هو زنجبار أو الأدق تعليقًا خالد بن برغش ابن عم السلطان حمد بن ثويني البوسعيدي حاكم زنجبار الموالي للسياسة البريطانية المهيمنة ثم توفاه الله وإستولى ابن عمه على عرشه كما بدل جلال أعرافه وأحب. منذ قالها رآه الجميع متمردًا وأعلنوا الحرب عليه إنما هو تباسل وشكَّل جيشًا من الأحاسيس والمشاعر كما شكَّل حاكم زنجبار جيشًا قوامه من ألفين وخمسمائة رجل مقابل ثلاث سفن حربية كبيرة وسفنتين صغيرتين ومائة وخمسون بحارًا من البحرية إضافة إلى تسعمائة من الزنجبارين، كانوا إخوته الملتزمين بعادات العائلة خاصة عند الزواج والتزموا الجانب البريطاني أو العائلي من ناحيته. أعراف العائلة

قذفت تحصيناته بنصف ساعة من معلقات نثرية كانت كالرماح المسمومة التي شقت جسده بحثًا عن القواعد الأصولية فسقط لهراء الأقدمين وامتثل للقوى العظمي، قوى العائلة.

سيق لمنزل العروس المنتظرة برفقة العائلة، أبا العروس لم يمنح أبيه الفرصة لمديح ولده الأصغر وتبنى هو الثناء، تلميذه النجيب ذو المستقبل المبهر ابن العائلات المحافظة الكريمة، حتى أن أبا العروس سهى عن مديح ابنته المسكينة التى لم تفارق عيونها حذائها البنس، كانت العروس النقيض لحبيته بكل شيء قصيرة ممتلئة ذوقها بملابسها هادئ حتى الخمول تكاد لا تظهر من ملابسها الكاكية، ذات بشرة ترفض البوح بماهيتها سمراء، حنطية، بيضاء لم يتبين الأصلح لحالتها فهو لم يميز شيء غير أنفها الطويل.

أسرع زيجة كما ردد أبوه فقد تمت بأقل من شهر وسافر بنهاية الشهر الذي تلاه.

لم تتغير الحياة قبل الحياة لأن فدوى هى الحياة، والآن الحياة للدراسة وليس شيء غير الدراسة. عاد لحلمه الأول، التفوق ليتحقق حلم لا دخل للتقاليد به ولا يحتاج إلا لمجهوده وإن كان مضنيًا. ذهاب وعودة لأربع سنوات حتى العودة النهائية لزوجته وولداه. لما سمع منها ببادئ الأمر بحبلها الأول أو الثاني لم يسعد ولم يغضب ولكن أتاه شعور آخر يشبه السعادة لما رأى الولدان يكبران أمامه، جزء منه يأكل ويشرب وينام ويكبر ليصير يشبهه أكثر فأكثر. زوجته كانت هادئة بسيطة بكل شيء جمال ثقافة وأحيانًا رجاحة عقل تبدو كطفلة بجسد امرأة ناضجة لم تشاركه غير الطعام والسرير أحيانًا حيث كرست حياتها لولداها وتركته لحياته المتهدمة حتى قبل أن تبدأ. طعامها كان أفضل من طهو حبيبته، كانت ترسله له فدوى سرًا بالأيام السعيدة، كان طعامها مروع أمام ما

تعده زوجته الأولى فقد تخرجت في معهد فني لم يسمع عنه قبلًا يدعى معهد التربية الحديثة اتضح أن تعاليمه تقتصر على إعداد المأكولات وإدارة شئون المنزل والحياكة.

صبت زوجته اهتمامها على ولداها وكان ذلك أفضل ما فعلته وتركته لدراسته وعمله وزيارته الأسبوعية لعمه ليرى اليقين؛ ذهب الحب كما ذهبت بلا رجعة، تجمعت الأتربة على الباب الذي شهد ولادة حبه وضياعه لصالح صديق ورغم ذلك لم ينقم على فدوى يومًا ودعى لها بالسعادة حتى جاء الدعاء معكوسًا لما سقطت بالبلطجي ضاربة عرض الحائط بنصحه وأكملت الزيجة فعاد للدعاء لأنها تستحق كل الخير بالعالم، ماذا كانت لتفعل أي امرأة بموضعها كان البلطجي أفضل أسوء ما عرض عليها وقبلت به.

اليوم عمه حزين شارد ولما سأله فيمَ شروده قاوم كثيرًا حتى أباح، يشعر بالذنب تجاه ابنة جارته المتوفاة لأنه ساقها بيده للبلطجي ليذيقها الأمريين حتى انتهي بها المطاف مرة أخرى بشقة والدتها بلا عائل أو عمل وترفض أيضا مساعدته، الزوج تركها لشهور عدة ولم يكتثر للسؤال عليها رغم معرفته المؤكدة بإنها لا تملك إلا نفسها المثقلة بالأوجاع ومهنة تحتاج لخبرة حتى تزاولها وقد تكون تتضهور جوعًا من الآن.

ورغم أن الأخبار تبدو مأساوية إلا أنه ابتهج رغمًا عنه ولا يعرف لِمَ، فما زالت زوجه لمنير ولكن قربها منه أنزل بقلبه راحة ضلت عنه للسنوات. لا يفصلهما الآن الحائط. . سوف يحطمه. . لذلك أذن اليوم مبكرًا بعض الشيء من الزيارة الأسبوعية ليقف أمام الباب المغبر لنصف ساعة حتى تشجع وطرقه متسائلًا هل سوف تقابله بغزل المتنبي أم هجاء الفرذدق.

فتحت الباب، ولم تتحدث للطارق، فقط تحدجه بتعجب، هل تبدل إلى هذا

الحد هى الآخرى تبدلت إنما للأبهى والأجمل. .

- إزيِك؟

- إنت السبب!

دائمًا ترفض فدوى المقدمات تملها، فأومأ بخجل بالموافقة لأنه أعلم الناس بما جابهته بسبب خذلانه لها، سمحت له بالدخول إثر اعترافه المقتضب بأنه سبب مآساتها الأولى، فمشى من خلفها على استحياء حتى بقعة طرد منها باستقراطية لما لمحت الطبيبة الأم بوارد الضعف في شخصه وحبه الذي زعمه لابنتها، على الصالون انتظر قهوتها حتى أتت، صامتين، كلاهما يحاول تحاشى النظر لسر شقائه ولكن طالما كانت مقدامة وقطعت الصمت قائلة. .

- ليه يا جلال؟

- غبي. . ضعيف. . اختاري اللي يرضيكي.

-انا كمان غبيه وضعيفه إفتكرته الأمان.

-انا أقدر أساعدك.

- إزاى؟

-أى شيء تحتاجيه أنا تحت أمرك. . مش هقدر أتخلى عنك تاني.

تنهدت بهموم زادها لما التقاها ثم سردت له رحال أربع سنوات مع البلطجي، للحق عاشت معه أيام هانئة، صدقت لسنوات أنه أحبها بصدق حتى علمت بأنه مبقي على زوجته الأولى وتقبلت أو تنازلت، وحينها طاله الطمع وتزوج الثالثة وإلى هنا لم تستطع التنازل لأكثر من ذلك وعادت للقاهرة بدونه. عقلها الضعيف خيل لها أن زوجها سوف يأتي إليها ويطلب صفحها ولكن تأخر، ولما تذكرها أتى بعد ثمان أشهر عندما تأكد من إنها استنفذت كل ما معها من نقود، وحينها طرق بابها ودلف منه بثقة صاحب البيت حتى قبل أن تدعوه. جاء

للتهديد والوعيد يسألها اكتفت من معيشة ضنكًا أم بحاجة للمزيد لتعي إنها دونه لا شيء على الإطلاق، دونه لكانت مضغة الأفواه، لكانت مغوية بصالة رقص، لشخذت قوتها من المارة، لكانت ابنة السرايات، طبيبة الأسنان تطيب أوجاع السكارى فحسب والعديد والعديد من للبذائات حتى نالت كفايتها ويزيد وحينها لفظته ولفظت قيئه المقزز بوجهه وطردته من المنزل وطلبت الطلاق بلا رجعة إلا أنه امتص القيئ كعادته وأجابها بهدوء مثير للريبة.

-مش هصبر عليكي كتير. . شهر. . لا ترجعي بالذوق وإلا هتشوفي الوش التاني.

وغادرها بعدما نال منها الخوف. لم ينال منها الخوف وحيدة فقد نال من جلال أيضًا، لأن منير قادر على فعل كل سيء حتى قبل النقود والنفوذ ولكن طمئنها بالرغم من ذلك وقال. .

- إنتِ مصره على الطلاق مفيش أي أمل للإصلاح؟

- مستحيل أرجعله.

- أنا هشوفلك محامى كويس يرفع قضية طلاق لعدم التكافؤ.

- بس دى ممكن تاخد وقت وكمان معاييش فلوس أتعابه.

- ما تشيليش هم حاجه.

- و أنت ذنبك ايه؟

- أنا المسئول عن اللى حصلك ودى أقل حاجه أعملها عشانِك.

- مش هقدر أقبل فلوس يا جلال. . أنا. . .

قاطعها. .

-إعتبريهم سلف وأول ما تشتغلى وتقفى على رجليكى رجعيهم بالفوايد.

وحينها ابتسمت براحة بعدما توقفت عن الابتسام والراحة منذ وقت طويل فقد كانت غارقة ببحر من الخوف إلى أن وجدت قارب ينقلها ليابسة أمنة وإن

كان قارب مهترء مثله.
منذ انتهاء اللقاء بدأ العمل على إنقاذها، بدايةً ذهب لمحامي وشرح له الموقف باستفاضة ليبدأ بإجراءات الطلاق على الفور. لم يجد المحامي أي صعوبة بالقضية فمنير مطلوب أمام العديد من المحاكم داخل مصر وخارجها إلى جانب العديد من الأحكام الهارب منها ويحق للزوجة طلب الطلاق لعدم التوافق.
تريد الحرية والحرية لا تكتمل إلا لو امتلكت قوت يومها إذًا لا بد أن تعمل ولكن من سوف يوظف طبيبة بلا أدنى خبرة وحينها قرر أن يكون لها عملها الخاص. سحب كل مدخراته وإقترض من أبيه مبلغ كبير من المال وبحث وتقصى حتى وجد عيادة للإسنان لطبيب ينوي الهجرة بأسرته ويسعى لبيعها بمعداتها بأقصى سرعة وتمت الصفقة كما تمنى. لم يذهب لشقتها مرة أخرى ودعاها لزيارة طبيب يبغى مساعدة حديثة التخرج فسارعت إليه تحملها الآمال حتى وقفت في ذهول بالعيادة الفارغة من بشر، لحظات وبدى عليها الريبة فسارعها بما فعله لأجلها إلا قليلًا. .
-ليه تعمل كده قوتلك أنا مش محتاجه شفقه من حد.
- دى مش شفقه أنا أجرت العياده وانتِي اللى هتدفعِ ايجارها من شغِلك.
-شقه زى دى هدفع إيجارها ازاى ولسه الناس متعرفنيش و لا أجرتها بالعيانين كمان.
ضحك ثم قال. .
-أيوه مأجرها بالعيانين دى كانت عياده دكتور أسنان معروف واضطر أنه يأجرها وانا إنتهزتها فرصه و أجرتهالك. . كده هتكونى حره و تقدرى تصرفى على نفسك من غير مساعده من حد زى ما كانت والدتك الله يرحمها عايزه.
وافقت بالطبع ومن اليوم التالي بدأت بالعمل الجاد وبرغم ما أوضحه تفاجأت

بالمرضى الراغبين بالعلاج وكانت سعادتها لا توصف حتى إنها قررت أيضا استئناف دراستها العليا. كان للحيطة، للحيطة فقط يزروها يوميًا بالعيادة، يطمئن على أحوالها ويغادر حتى بيوم وجد به العيادة مغلقة والممرضة المساعدة لا تعلم شيء عن الطبيبة، تكررت الأيام التى تغيبت بها الطبيبة بلا أسباب معلومة، ليست بشقتها أو لدى خالتها بالأسكندرية فاضطر أسفًا أن يسأل عمه إذا ما كان يعلم عنها شيء. . فقال متهكمًا على العاشق المتزوج:

- جوزها خدها وريحنا منها. . فوق لبيتك وشغلك.

لم يعد لها زوج صدر حكم الطلاق منذ أسبوع للآن ولم تعد زوجة لأحد إذًا هي مختطفة من قبل طليقها وتلك جريمة جديدة قد تضاف لسجل جرائم منير. خرج من بيت عمه السادسة مساءً واستقل سيارته للأسكندرية رأسًا، وطرق باب خالتها العاشرة مساءً بلا سابق إنذار وبالرغم من ذلك تقبلت زيارته المتأخرة ونصحه بالإبلاغ فورًا عن اختفاء ابنة أختها. فعلت الخالة كل ما أوصى به بنفس الليلة وقامت الشرطة بالبحث عن المختطفة بعدما أدلت خالتها بالأماكن التي كان قد يسكنها منير، وبيومين وبعد مرور عشرة أيام على اختفاء فدوى وجدوت بحالة يرثى عليها بفيلا المنصورية المعنونة باسمها. يومين أخريين حتى استفاقت من الغيبوبة التى لحقتها إثر الامتناع عن الطعام والشراب وشيئًا آخر لا يريد تذكره. فتحت عيونها على عيونه المتلهفة للقائها، على نغمات المديح التي تغنت بها خالتها على كل هول واجهه حتى تعود من أسرها. لم يبالي بتهديدات منير تجاهه وتجاه أولاده أو نصح عائلته بالابتعاد عن امرأة متزوجة بشخص كان بيومًا من الأيام صديقه، لم يبالي بغير تحريرها بما أوقعها.

عادت للحرية وللعمل بكل طاقاتها، هو أيضًا عاد لعمله ولبيته، انتهت مهمته

ولم تعد في حاجة إلى مساعدته لذلك فضل الاختفاء حتى لا يكون عبأ على حياتها الجديدة القادمة، فعيونها الممتنة له باحت بالكثير ومساعدتها للخروج من أسرها أقصى ما يستطيع تقديمه. كفر عن ذنوبه تجاها وشعر بالراحة أخيرًا ولكن أي راحة قد تأتي بفراقها، وحينئذ وجد نفسه مدفوعًا من الحب، القدر أو أيًا من الأسباب التى يتعلل بها البشر لفعل ما لا يجب فعله وذهب لزيارتها في عيادتها. طلب من الممرضة أن يكون آخر سقيم ولكن ذاع صيت الطبيبة وأصبح المريض الخامس والعشرون وتأخر الوقت. لم ينقذه غير خروج الطبيبة لسؤال الممرضة على شيء لم يكتمل لما رأته. سارعت إليها بابتسامتها المريحة تقول. .

- ليه مادخلتش على طول؟

- ما كنتش عايز أعطلك.

اتسعت ابتسامتها ثم قالت. .

-إستناني خمس دقايق بالظبط.

تركته ودلفت لغرفة الكشف مرة أخرى وبعد أقل من خمسة دقائق اعتذرت الممرضة للمرضى المتبقين، فقد أجلت الطبيبة كل فحوص اليوم للغد فخرج المرضى ساخطون متألمون وظل هو بسعادته حتى خرجت إليه وجلست بجانبه تقول بلهفة. .

-كنت فين الفترة اللي فاتت؟

-ممكن نخرج نتكلم في حته مفتوحه.

هبت واقفة بينما تقول. .

-أه طبعًا. . ثانيه واحده.

لم تكن ثانية واحدة كما ادعت فقد كانت خمسة عشر ثانية حتى خرجت إليه.

خلعت المعطف الأبيض فظهرت الجونلة القصيرة الكاشفة لسيقانها الجميلة والبلوزة الحريرية اللعينة التي تشف ما من المفترض أن تخفي، لفضل المعطف الطبي إنما من هو بأي حال ليفضل أو ينبذ فلم يحن الموعد بعد، تشير له بالعجلة ليكتمل شملهما أم تلك خيالات مريض الحب. للنيل، للبقعة ذاتها للاشتياق ذاته وليكن من ناحيته فهي لا يشغلها إلا آخر جراحة زرعية قامت بها قد تنشر باسمها في الدوريات العلمية. الجيب ذاته لحامله الفقير إلى الله فقد أنهكته مصاريف البيت والأولاد وتوقفت معونات الأب لتسديد القرض الذي اقترضه لشراء عيادتها. اليوم اثنان من الليمون بمحال على النيل قد يضررا ميزانتيه لنهاية الشهر لكن لتنفنى الشهور والدهور لتلك العيون التي لم تنتظر الليمون وعادت لسؤالها الأول أين كان، وفيمَ اختفائه بهذه الطريقة فقال:

-انا كنت بحاول أخفي شعوري أو أنساه لكن مقدرتش وجيت إنهارده عشان. .

عشرات من عشان حتى أتى الليمون ووضعه النادل على الطاولة وغادر، وقبل أن يكمل المائة عشان قالت. .

- عشان إيه؟

نطقها سريعة مباشرة. .

-تجوزيني؟؟

لم تسعد لم تحزن ولم تتعجب كذلك بل قالت بتهكم:

-و إيه اللي هيفرقنا المره دي. . ماما وماتت. . أهلك لسه مش طايقني. . ده غير مراتك أم ولادك.

-لو وافقتي مفيش حاجه في الدنيا هتفرقنا.

الإجابة كانت غامضة بعض الشيء فقد فتحت حقيبتها النسائية وأخرجت منها مظروف مكتظ بالنقود وناولته إياه ثم قالت:

-إيجار العياده وياريت تعرفني على صاحبها عشان أبقى أديله الفلوس بنفسي.
وضع الظرف على الطاولة وقال. .
- ما جاوبتنيش على طلبي؟
- أنا جربت الغدر يا جلال مره وإتنين ما تمنهوش لأى ست في الدنيا حتى لو معرفهاش.
الشقاء. . الشقاء هو كل ما شعر به بعدما غدر بهما زمن فات، لم يتجرع الشقاء وحده وتصبب على كل من حوله. السعادة أو حتى الرضاء بات طلب صعب المنال رغم أنه لديه كل ما يحتاجه كل إنسان؛ عمل يحبه ويبرع به زوجه طيبة، ولدين أشقياء ألا إنه لا زال بعيدًا كل البعد عن السعادة حتى حلت الحبيبة عالمه وحينها نزلت بقلبه السعادة فور رؤيتها وذهبت لما ابتعد مجددًا.
لها الآن الخيار بين سعادة قلبين سويًا أو غربتهما بدروب الحزن.
دروب الحزن المعتمة انقشعت لما وافقت على الزواج حتى إنها لم تجزع لما أوضح لها صراحة من البداية بأنه ليس منير الدويري لا يعلم أين سوف يسكنا ولا يستطيع توفير مهر أو شبكة للعروس وكل ما يملكه هو قلبه وهو لها بالكامل. شبكتها بسيطة للغاية أخرجها من جيبه وناولها إياها عقد شراء العيادة مسجل باسمها. . نظرت للعَقد بكل المشاعر ريبة خوف دهشة ثم تحولت له وعجز لسانها عن عرفان لا يحتاجه فهى كل ما يحتاجه.
عادا عصفورين الحب للحياة التى فاتتهما وإندثرت خمسة سنوات لم يعد لهم أثر بداخلهما. يوميًا ينهي عمله ويعود لزوجته وأولاده لتناول الغداء وسماع الشكاوي المعتادة من الأولاد والزوجة ثم إليها ليكن لها العشاء. عاد لشعره الذى هجره وأنزل عليها أبيات الشعر آملًا فى ابتسامة العيون لكن كان الحزن كامن بعيونها البنية على الدوام فلا زالت تشعر بالذنب تجاه امرأة وضعها

الزمان بموضعها من قبل. .

- قوتلها؟

نظر إليها فى تثاقل يخاف أن يخزلها وقال:

-هقولها إنهارده. . أبويا كلم حمايا وكل شيء ماشى كويس مش ناقص غير موافقتها.

-تفتكر هتوافق؟

-لازم توافق. . أنا مقدرش أضيع سعادتى من إيدى تاني.

- و إفرض خيرتك؟

- هى أعقل من كده.

عشرة أيام كانت المدة المتبقية من أيام عدتها ليكون اليوم الثاني عشر زواجهما بمنزل والدتها. تم الزواج بحضور خالتها وعمه اللواء حمدي الوحيد الذي سانده من العائلة برغم معارضته ببادئ الأمر وصديقاه مصطفى وهاشم كشاهدين لم يريا شيء وغير مأيدين للزواج بآخرى في ظل الظروف الطاحنة التى يعيشها الجميع بنهاية الثمينات. شربات وعصائر وحلوى أنعمت بهم صاحبة البيت على المدعوين غير عابئة بضياع ساعتين من أصل ثمان وأربعون ساعة مدة شهر عسلهما المقرر وتجرأت أيضا وتصيح بسعادة:

- هجهز العشا.

وحينها قام صديقاه على الفور وأذنا للمضى برفقة خالتها والعم متمنيين للزوجان السعادة. الزوجين تجمدا كلًا منهما بمكانه. . متواجهين. . مبتسمين بسعادة وراحة بعد عذاب دام لسنوات. وكما عهدها لا تهدر دقيقة على تأملات فقد جذبته من يده لغرفة أمها الشيء الوحيد الذي استطاع تغييره في أثاث المنزل برفقة غرفتها لتصبح غرفة مكتب خاصة به، دخل من ورائها يرقبها

وهى تشرح له كيف بدلت ألوان الحوائط والديكور بالكامل لكل ما يفضله ويرضيه، لم يسمع أغلب ثرثرتها فقد كان يعيش حلم أضحى يقظة، حلم كان سلواه الوحيدة بحياته المقيتة لسنوات غيابها عن عالمه.

مرر اليومان كحلم أيضًا وانتهى شهر العسل المقتص ليومين، ولم تتذمر العروس بل على النقيض ساندته وشجعته ليستكمل دراسته العليا التي توقف عنها. قسم الأسبوع بين الزوجتين ثلاث لثلاث والسابع للأولاد نهارًا ولفدوى ليلًا. حبها استحال كل ما يلسمه لضوء كاشف لغيوم ثقيلة بشتاء جنوبي قاسي، بعصرها الذهبي فقط أحب أطفاله أحب زوجته أحب النهار والليل حتى أنه أحب طلابه المشاغبين قبل المتفوقين والعجيب لم تغار على قلب وجد الحب بكل شيء وأي شيء لأنها ببساطة كل شيء. تبدلت نظرته السوداوية للحياة وأصبح أكثر هدوءًا وتفاؤلًا على عكس كل من حوله فحرب العراق ضد الكويت أنزلت الهم بقلوب جميع العرب ولم يتبقى لنا غير الحذر و الترقب.

حذرته فدوى بالفعل ولكن أمام تلكما العينين يصعب الحذر وتحلو المجازفات، بومة يصعب إستناسها أو تدجينها، فقط تحلق إلى ما تحب ومن تحب أفلا يحبها؟ يحبها ويبغض هذه الشاعرة التي تتخلق بخلقها، محبة البوم رغم إنها تنسب لعائلة السمان. لا يبغض جلال البوم ليس هناك فلاح على وجه الأرض يكره البوم أو يتطاير كما يفعل الجهلاء. ففي قصر دمياط صنع أبوه للبوم أقفاص مفتوحة ووضع لها فرائس حية فهى من أمهر الطيور في مكافحة الأفاعي والجرذان وتربي جلال على رؤيتها وسماع نعيقها وبالفعل كلما رآها تذكر البوم فهي تملك عيونها الواسعة ذات المدار الذي يحاوطك ويضعك دائمًا في حصار لا خلاص منه، البومة تريد العمل والدراسة والتزين لرجال غيره وكأنها تحتاج لمزيد من الزينة بخلاف زينتها الربانية، البومة لا تدجن كناية وتصريح لا

تستطيع الإنجاب ولم يبالي فقد أسدل الله عليه من كرمه وفضله بولدان كفاه فهو بالكاد ينفق على بيتين إنما تركها لحلم كل امرأة ورحلاتها لكل طبيب نسائي عرف عنه الكفاءة للتدواي.

لمساتها الحانية أيقظت بداخله أحاسيس لم يختبرها من قبل، صدرها الدافئ أنزل عن رأسها كل الأفكار الموحشة المتعلقة بالحرب الوشيكة، أنوثتها عادت به لشباب فقده بروتين الزواج. كانت تملك قلبًا زاخر يحب الخير لكل ما حولها، هى من تسديه النصائح ليكون زوج وأب أفضل، تختار له أماكن التنزه للعائلة، تشتري الهدايا من أجل زوجته على نفقتها مما تجنيه من عيادتها حتى أن زوجته الأولى لم تشعر معه بهذا القدر من السعادة إلا عند ظهور الزوجة الثانية وبررت ذلك لنفسها بطفوليتها بأنه ندم على خياره لفدوى ويعوضها ما جناه. لم يتوقف العطاء عند هذا الحد فبعد أن حصل على درجة الماجيستير ألحت فدوى بالإعداد للدكتوراه فردخ وجمع الأبحاث والكتب الازمة للبحث تاركًا إياها ببيت حبيبته واحة الراحة والهدوء.

في موعده أتاها محمل بشوقًا لا ينطفئ، بإستقابله فارجة ذراعيها لتحتويه لثوان وسنون يصعب حصرها ثم إلى طعامها الذي تحسن شيئًا فشيء. لم تنسى ولو مرة السؤال عن أحوال أولاده وزوجته وبالتفصيل تحسبًا لتدارك أي مشكلة قد تطرأ وتعيقه عن عمله. انتهى الغداء ومن بعده الاشتياق بعد فراق دام لثلاثة أيام وعليه الآن الاعتكاف على دراسته يكفي دلال يا جلال. تفاجأ هذه المرة بكمًا كبير من الأوراق على مكتبه لا يعرف مصدره، طالع الكم وجده ملخصات وتراجم لأغلب ما جمعه من أبحاث تعينه على بحثه إنما من أين جاءت. الإجابة أمام الباب ترقب ذهوله مبتسمة. .

- جبتيهم منين؟

- أنا اللى عملاهم. . ايه رأيك انفع اكون طياره زيك؟
- طياره بس ودبابه كمان لو عايزه. . بس إنتى لحقتى تقري كل ده إمتى؟
تقدمت منه بينما تقول:
-وانت مش هنا. . الدنيا بتفضى عليَّ ومابلاقيش حاجه تصبرني على بعادك غير كتبك. . فيهم ريحتك و لمسة إيديك.
ترك المكتب وأوراقه وتوجه إليها. .
- أنا كده هغِير من الكتب. . انتِ كتير عليَّ.
مسحت راحتيها على كتفيه بحنانها الآسر وقالت. .
- مفيش حاجه فى الدنيا كتيره على حبيبي.
جذبها من يدها وهم للخروج من غرفة مكتبه، منعته. .
- على فين؟
- عندى كلام كتير عايز أقولهولك.
سحبت يدها من يده ثم ضربت بأناملها من أعلى يداه بخفة بينما تقول بحزم:
- دلوقتى وقت المذاكره الكلام بعدين.
حازمة بحق فقد أجلست الطالب المستهتر على كرسيه من خلف مكتبه وخرجت لإعداد القهوة الأولى. في ظل رعايتها الدءوبة واهتمامها حصل على درجة دكتوراه وتلقى بعدها ترقية فخرية رفعت من رتبته ليكون أصغر مقدم بين أقرانه. دامت السعادة لسنوات حتى خبر لم يجول بخاطره، طلبت حضوره على وجه السرعة لأنها تشعر ببعض التوعك ولم يكن هذا اليوم لها وكان للأولى.
ذهب إليها متململًا فقد أرهقه مكر الزوجتين واحتيالهما عليه وأيضًا لا يحب أن تطغوا إحدهما على الآخرى حتى لو كانت الأقرب لقلبه. بانتظاره بابتسامتها المريحة وأكثر فالسعادة تتقافز عن عيونها.

- قوتلك ميت مره بلاش الحركات دي. . ما انتِي كويسه أهو.
لم تبالي بكلمة مما قالها وسحبته من يده للداخل وأجلسته على كنبة صالونها العتيق ثم جلست على فخذيه، وأمسكت بيده اليسرى ووضعتها على بطنها وقالت بسعادة لا يعلم مصدرها:
- هِنا في إيه؟
قال بتهكم:
- فم المعده يا دكتوره. . بطنِك اللي وجعاكي يعني؟!
- أنا حامل.
نظر لها متحيرًا بين التعجب والسعادة التى اكتملت.
- إنت مش قولتي.
صمت فأكملت له:
- وحصلت المعجزه. . مبسوط يا حبيبي؟
ابتسم:
- ألا مبسوط أنا هطير من الفرح. . أنا مش مصدق. . بقولك إيه أنا عايز بنت و تتطلع حلوه زيك إعملي حسابك.
الأول من يناير لعام ١٩٩١أصبح أبا لفتاة لم تكن تشبه حبيبته فحسب فقد كانت تشبه جميلة دمياط؛ أمه. زرقاء العيون شقراء الشعر سليطة اللسان متقددة الذهن تضحك لمزاحه منذ شهرها السادس. تبدل خلق البوم وليس له أي دخل تركت عملها حرصًا على حملها ولما أنجبت قامت بتأجير العيادة لطبيب آخر واشترطت عليه ألا يخبر أحدًا عن حملها أو عن ولادتها بسلام للغيرة النسائية المشهرة فزوجته الأولى تنجب الذكور والثانية الإناث لذلك خشت فدوى من حقد الأولى عليها. عودة للصغيرة الجميلة، ولدت ضعيفة منهكمة

بنص رئة وثقبين بالقلب وسوائل حارقة تتمركز على مراكز الإدراك بالمخ. من أجل صغيرته التي تنعته بالقاتل الآن جاب البلدان قطع القارات شارك بحروب ليست له بحثًا عن التداوي من أجلها. من أجلها تقدم لكل بعثة استطلاعية لتبادل الخبرات مع دول الجوار وغيرها أو الأصح تعبيرًا لقيادة مركبات تحمل مواد خطرة ملتهبة أو جرثومية، ما من حربت مرت عليه وإلا شارك بها كمعلم أو مدرب للملاحم الجوية ومع كل تلك المخاطر كان المقابل شحيح بالكاد غطى نفقات علاج الصغيرة فقد كان يبتاع لها أدوية تكميلية تعد في المختبرات فائقة السرية ولن تنزل للسوق العلاجي أبدًا فقد كانت كل بلدة تتحفظ على خبراتها بغية التفوق على مثيلتها، كان يتوسل الإحسان من هذا وذاك علّه يستدل على من في مقدرته مداواة صغيرته إلى أن وفق لما أخبره طيار خليجي المنشأ عن أبحاث تقوم بها الولايات المتحدة على ما يسمى بالخلايا الجذعية والتي تتميز بقدرتها على بناء كل الأعضاء والأنسجة التي تنقص صغيرته. المثير للدهشة أنه وهذا الطيار كانا على خلاف دائم تطور لسجال منه لعراك بالأيدي وانتهى بقصفه جوًا إنما كتب له النجاة بإحدى المعارك ولا زال للآن لا يعرف لمَ أشفق على صغيرة يكره أباها إلى هذا الحد المروع إلا أن الأخرق هذا صرح أكثر من مرة بأن تلك الصغيرة قدره المنتظر منذ عقود كما تنبأ له أحد العرافين فقد كان دائم التردد عليهم كما تفعل النساء.

لم يبالي بتعليقات الأخرق الغريبة ووظف كل طاقاته للبحث في كافة المختبرات على من يقوم بتلك الأبحاث ليتزود بالمواد الازمة لشفاء صغيرته، وها هي الآن بالسابعة من عمرها وتتقن ثلاث لغات بخلاف العربية، تجادله بالحسنى وغيرها، تريد التزوج من رجلين بكر الدوير وإبن عمومتها كما تزوج أبوها من امرأتين، تطمح للسفر للخارج لتعيش مع جدها من ناحية الأم بقصره في ميامي

الأمريكية والابتعاد عن أبيها المتزمت الذي لا يدعها تشاهد البرامج الأمريكية الماجنة والمسلسلات الكوميدية فالصغيرة من عشاق ساينفيلد ، تقرأ الحزن المشفر بعيناه وتحوله ببراعتها لسعادة قد يضيق بها قلبه فتتسرب إلى كل خلية بجسده حتى يطفوا إلى عنان السماء لما تجالسه وتقرأ عليه همس الجنون بينما أخويها الذكور البالغين كلاهما يبغضا القراءة وإن حدثت المعجزة وقرأ شيء بخلاف الكتب الدراسية يقرا لغز ميكي ومهمات رجل المستحيل، لا تميل صغيرته للأدب العربي ولكنها تقرءه لإسعاده وكذلك لتجبره على الاعتراف بأن محفوظ – جامد أوي – فهو رافعي المذهب. تضحك بشدة ثم تصارحه بأن عمها الأكبر تزوج سرًا من راقصة سكندرية لمجرد أنه شعر بالغيرة من أخيه الأصغر الذي تزوج من امرأتين ، تعبس قسماتها وتنقل له آخر أفاعيل جدها المخزية وتلح عليه بالسفر لدمياط قبل كارثة منتظرة من قبل جدتها ردًا على الإساءة ، تبكي وتدعي المرض فيظل معها ولا يذهب لعمله لليوم وباليوم التالي يذهب لمكتبه بالكلية الجوية لا يجده بعدما أطاح بالجزء الجنوبي من الكلية انفجار لإحدى مواسير الغاز الطبيعي أدى لحريق هائل كاد يؤدي بحياة الكثيرون إنما حمد لله كانوا حينها بالإجازة الصيفية ولم يكن ليتضرر أحدًا غيره وساعيه الذي كان بدوره متغيب عن جلسته أمام مكتبه ومكث برفقة زملائه بالجزء الشمالي من الكلية لما أبلغ رئيسه عن غيابه لليوم. الصغيرة ورثت كل طيب وسيء عن عائلتها، شقراء عن جدتها، جميلة عن أمها، مائلة القلب والعاطفة عن أبيها، ذكية لا يعرف عمن إنما رجح أن الخلايا الجذعية تلك طورت قدرتها على الاستيعاب والتحليل كما طورت شيء لم يأتي بالحسبان أبدًا فالصغيرة ترى تلك الرؤى غافلة أو واعية حتى السابعة من عمرها على عكس جدتها التي تضائلت قدراتها التخاطرية بداية من السادسة من عمرها ثم انتهت تقريبًا بعد زواجها

بل وإقتصرت بعض رؤياها الموثقة على النوم فقط. لما بلغت هنا السنة وجدها داخل سريرها الصغير تحرك شفتاها كأنها تتحدث لأحدهم ويمازحها وتضحك وحيدة بالغرفة وهي بالطبع لم تكن تتحدث حينها أو حتى تهمهم، لاحظت أمها كذلك وأخضعتها لكشف إشعاعي على الدماغ وجاءت المفاجأة القوى الكهربية بدماغ الصغيرة أقوى وأسرع انتشارًا بين الخلايا عن أي شخصًا طبيعي مما يجعلها سريعة الانتباه لكل ما يحدث حولها وقد وإن لم يجزم بذلك حينها ترى أطياف وكائنات لم يعترف بها العلم الحديث خاصة الأطباء على شاكلة أمها التي ظنت إن الصغيرة مصابة بالتوحد لشدة ذكائها واستيعابها مقابل الانفصال الكلي عن العالم الخارجي إنما فاجأتهم الصغيرة مجددًا لما بدأت بالتواصل مع أمها بكلمات واضحة وهي لم تكمل العام ونصف العام، كانت تجزع الصغيرة من القطط بشدة فبمجرد أن تراها تنخرط في بكاء لا ينقطع حتى يوم وجد كل قطط البناية سواء المستأنسة أو قطط الشوارع قررن الانتحار الجماعي من أعلى بناية مصر الجديدة حتى أن السائرون المسالمون وساكني البناية ظنوا أنه يوم الدينونة وليست معجزة هنا الخاصة. لم يجزع من معجزات هنا فحياتها للآن معجزة بحد ذاتها حيث نصحه الاطبار فور مولدها بأن لا يبني أمالًا عريضة على بقائها على قيد الحياة ولكن رفض لها هذا لمصير ، حتى جدها من ناحية الأم لما أرسلت له فدوى معاملات الصغيرة الصحية نصحها بالتفكير بالإنجاب مرة أخرى ولتترك الصغيرة لتموت بسلام إنما الصغيرة مثابرة ومن توقع الأطباء موتها بعد أيام من ولادتها أكملت الشهرين بحضَّانة طبية فقد بدأ القلب بالترقيط تلقائيًا وسوائل المخ المدمرة أخذت في التلاشي إنما مشكلات الرئة ظلت على حالها. رغم الأخبار الجيدة رافقته الأفكار التشاؤمية فبكل مرة يزور الصغيرة بحضّانتها الطبية لم يسمعها تبكي ولو لمرة واحدة أو حتى تحرك أطرافها

كسائر الأطفال، كانت مجرد قفاز فارغ من جلدٍ بشري ناصع البياض أعلاه زغب أشقر وبمنتصفه عيون زرقاء لا تجفل. تساقطت النصائح عليه من كل صوب دع الصغيرة تموت بسلام حتى كاد بمرة قرر أن يفصل عنها أجهزة الإعاشة بمباركة أمه التي وجدته يزبل للموت مثل صغيرته إنما باللحظات الأخيرة وقبل أن يجن ويفعلها أنقذتها جدتها. لم يدري من أين ظهرت له أمه فقد كانت آخر مكالمة دارت بينهما كانت أمس اتخاذ القرار، حتى إنها لم تصرح إنها قد تزور الصغيرة لنظرة الوداع كما زعمت حينها. سمع صراخ أمه باسمه بين جنبات المشفي الراقدة بها صغيرته ثوان ورآها تهرول تجاهه يبدو عليها الإنهاك، متعثرة في خطاها كأنها أتت عدوًا من دمياط للقاهرة رأسًا. اخبرته أمه إنها راودته رؤية مطمئنة للصغيرة، الصغيرة تكبر وتبلغ وتصير شابة جميلة يتهافت عليها الخطاب وهو بمجلس عَلي يأمر وينهي ولا يتجاوزه أحدًا لأنه يملك ما صعب على الآخرون؛ فتاة خلوقة مهذبة طوع أبيها، الصغيرة سوف تكون مصدر فخره وهيبته بين الخلق وإن كان له ذكرين قد يقوما بهذه المهمة المستصعبة على فتاة، الصغيرة سوف تجمع الشتات وتنصر المستضعفين وتعيد المجرمون عن أقدارهم الدامية وكأن ذلك في وسعك مخلوق خاصة لو كان امرأة.

أكملت العامين وصارت تهمهم وتصرخ ليل نهار ولا تهدأ إلا بعودة أبيها لها مما جعله يفكر جديةً بجمع الزوجتين في بيت واحد وإن كان ذلك من المستحيلات على أي رجل. لم يعلم أحد عن وجود هنا غير والديه وآن الوقت ليكتمل الشمل، ليصير للفتاة أخوة يحمياها وأمًا أخرى ترعاها عوضا عن الأم الأولى التي انشغلت عن صغيرتها الوحيدة بعملها ودراستها العليا بعد أن تعافت هنا من وعكاتها الصحية وسارت طفلة طبيعية مثل سائر الأطفال الأصحاء. كان حالم بعد الشيء فمنذ علمت الزوجة الأولى بولادة طفلته تبدلت بدورها وزادت

عصبيتها وتعالي صياحها، وفي غداء وقبل أن يضع لقمة بفمه صرحت له بأنها حبلى، تريد فتاة مثل فتاته ، تسلب لبه، حديثه الماجد بكل مجلس، تهاتفه الثانية فجرًا لأنها اشتاقت إليه فيهرول لها تاركًا الجميع من خلفه.

غضب، ثورة، تهديد بالطلاق لم يرجعها أيهم عن قراراها وأكملت الحمل حتى موعد الولادة وحدث المرجح. قضت نحبها هى وجنينها لتيتم ولداه فقد كانت تملك سيولة كبيرة بالدماء هددتها منذ حملها الثاني وألح عليهم الأطباء بعدم التفكير بالإنجاب مجددًا واستجاب واستجابت بدورها لسنوات ولم تفكر بالإنجاب إلا للغيرة الشائعة بين النساء. تلقى سهام النظرات السامة من الجميع حتى حبيبته، هو قاتل زوجته، لأنه لم يستمع لنصح فدوى فقد حسبها تخشى من أن تحسدها الأولى على ولادة فتاة بينما الأولى تنجب البنين إنما فدوى لم تكن بهذه السذاجة أبدًا فهي بالفعل تعي طباع زوجته الأولى أفضل منه وتعلم الكثير عن ردود أفعالها الطفولية حيث كان يجمع عائلته الصغيرة مرة شهريًا بخلاف الأعياد فهو لم يفضل قطيعة بين الزوجتين وأراد من قاع قلبه جمعهما بالبيت الجديد الذي كان ينوي شرائه ولا بد أن تعتاد كلًا منهما على طباع الآخرى ولكن من تطبعت فدوى فقط وابتلعت كل غصة ألقت بحلقها من كلمات الأولى المعيبة أما الأولى كان غذاء رأسها من سبيل أمها الفاسد الذي جعلها تكره فدوى كراهية مطلقة فحقدت أشد الحقد لما علمت بولادة هنا وأرادت رد الكيد وردته وإن ماتت فقد رأى دموع فدوى الأولى لموت زوجة زوجها الأولى، أشفقت على ولداه بعد أن تيتما بسببها، أياما وأسابيع تبكي وتصيح بوجهه للمرة الأولى بأن زواجهما خطأ جسيم، كارثة مروعة تداعياتها سوف تعتم ما تبقى من حياتهما معًا ولم يفلح برد اتهاماتها.

طالب بالولدين من بيت جدهما لناحية الأم ولكن رفضت الجدة رفضًا قاطعًا

فهي لا تريد أن يعيش حفيداها برفقة زوجة أبيهم حتى تقتلهما كما قتلت ابنتها. وهذا هو التاريخ الذي أعادته عليه أمه لتحثه على إعادة زوجته مرة أخرى وكأنه نسى. أنهى حصة التاريخ بموعد الغداء لدى صديقه هاشم واصطحب أمه إلى الفيلا المجاورة، ومن الوهلة الأولى بدى على أمه الإنبهار ثم قالت بتهكم:

- مش الخرابه اللي عايش فيها !!

- وأنا هجيب منين بس يا ماما؟

- هو مش طيار زيك؟!

بالطبع لا. . أمّن هاشم مستقبله بالإعارات الخارجية على عكسه وفر علمه وتميزه لبلده وكان ذلك هو النتاج خرابة يسكنها بالصحراء. رحب بهم صديقه وزوجته أما الأولاد لا صريخ لهم، الصغيرة لم تفتقد أباها ولم تسأل عنه طالها الحجود مثل أخويها فقد قتل أم الولدين وحاول قتل أم الفتاة. أعد الغداء وجاء الأولاد، جلسوا متجاورين والصغيرة بالمنتصف لا تتحدث إلا مع رأفت. اليوم عودتها ولا حجج أخرى، بالله يخشى اللحظة التى سوف يصرح بها بنيته، ترى أى رد فعل قد يصدر من مدللة أبيها أمام الملأ. تبدلت الصغيرة لم تكن بهذه القسوة على أبيها، كانت تكون باستقباله قبل والدتها لتحكي عن يومها ويومه، لا تخلد للنوم إلا بين ذراعيه أما الآن تتجنبه على الدوام وأحيانًا لما يقترب عنوة تصرخ بوجه، لا تريد أن تراه وتكرهه. لم تكره الصغيرة أى شيء كائن أو جماد والآن تكره أبيها وجدها وجدتها وأحيانًا أمها التى تطالب بعودتها ولا تعود. . انتهى الغداء وجاءت الحلوى والقهوة وحان الموعد فقال. .

- جهزِي كتبك يا هنا. . هنمشي.

- أنا مش هرووح معاك أنا هروح لمامي.

- ماما راجعه انهارده.

- إنت بتكدب.

تولت زوجة صديقه الدفة

- حقيقي يا جلال. . اتصالحت إنت و فدوى؟

- أه الحمدلله.

بدى على هاشم الإرتياح و قال مؤيدًا:

- على الله تتعظ وتعقل المره دي. . هنا والولاد محتاجين وجودها. . هتبعت تجيبهم إمتى. . الدراسه قربت.

# [ حسام عبد المقصود]

يوم عمل طويل ولكن ما الجديد هذه حياته دونًا عن أبناء عمومته. هو سعد اليتيم عفوًا حسام اليتيم رغم أن أبيه على قيد الحياة لكنه للحق يتيم إنما لناحية الأم وكما تقول جدته متحسرة على أحواله (إللي بلا أم حاله يغم) غم سيطر على حياته منذ سقوط الاسم الغريب على مسامعهم بالبيت، أبوه تزوج أخرى تدعى فدوى ومن حينها تبدلت أحوال الأم الحنون لما اشتعلت الغيرة في قلبها حد الجنون. تلطخ وجهها بالألوان، تكشّفت ملابسها، امتنعت تمامًا عن النوم في غرفته حتى في أيام الثلاث التى كان يتغيب بهم أبيه من كل أسبوع عن المنزل. لم تعد تستمع له أو لأخيه وكل ما كانت تفعله هو التزين والتسوق ومجالس النصح والإرشاد من أمها والتي حثتها أن تحذوا حذو الزوجة الثانية وتنجب مزيدًا من الأولاد لتكون لها الغلبة بقلب زوجها. وفجأة عراك شديد دار بينها بين أبيه أدى بالنهاية لانتفاخها حتى الموت، لم يكن يعلم فعليًا سبب موت أمه انتفاخًا حتى علم مؤخرًا من مجالس النسوة في قصر دمياط أن أمه ماتت أثناء ولادتها لأخيهم الثالث والسبب فدوى، فدوى من قتلت أمه بمساعدة أبيه وحينها فضل الابتعاد بأخيه عن الأب وزوجته ذات الاسم الغريب لئلا تقتلهما كما قتلت أمهما وكان هذا أول أسوء قرار اتخذه بحياته ثم توالت القرارات الغير موفقة.

عودة للعمل، وصلت شحنة كبيرة من الأخشاب فطلبه جده اسمًا ليتسلمها من ميناء بورسعيد للعودة بها لدمياط. مستيقظ منذ فجر أمس ينهي معاملات هنا وهناك لتخرج الشحنة بسلام وبلا تأخر، متوقف على هذه الشحنة العديد

من الطلبيات المتأخرة حتى قبل الاتفاق على استيرادها من الخارج فجده طامع كبير يبرم الاتفاقات قبل غيره ليظل سوق الأخشاب تحت قبضته. وصل دمياط الثالثة عصرًا منها للمغلق الغربي لإنزال أول لوري، ترك العمال لإنزال الشحنة وتهالك على مكتبه المتهالك أكثر منه ثم فتح الحاسوب وأرسل لعمه الأكبر بريد إلكتروني يفيد بوصول الشحنة لدمياط وجاري تشوينها فأجابه على الفور؛ عفارم عليك ما تروّحش قبل ما توشنها. تبًا؛ تسكين أربع لوريات يحتاج ليوم آخر بلا نوم أو سجائر فالعم سوف يكون هنا بعد دقائق ليرى الشحنة بأم عيناه ولا يصح التدخين أمامه. قبل أن يقبل عليه عمه أقبل عليه أبوه وقال بلا مقدمات:

- يالا يا حسام مسافرين.

- ليه؟

- من غير ليه شوف أخوك فين ولموا هدومكوا.

- أنا لسه عندي شغل في حمولتين غير اللى أدامي داخلين المغلق.

أمسكه بقوة من تلابيبه وقال:

-سمعت الامر نفذه، مش هعيده تاني.

لم يعيد الأمر أو تركه لتنفيذه فقد سحبه أبيه من ذراعه وألقى به داخل سيارته واتجها للقصر. لما دخلا القصر سارع أبيه لجده الجالس ببهو القصر يدخن نارجيلته على طقم الصالون المذهب ينظر لولده وولد ولده بإذراء رغم أن الجد علم أن حمولة الأخشاب وارد الخارج قيد التشوين بالمخازن ووجب غبطة الفرح احتفالًا بذلك الفوز العظيم وليست تلك النظرات المجحفة. تقدم أبيه من الجد وانحنى ليقبل يده لكن نفض جده يده عن فم ولده الأصغر المحبب إلى قلبه رغم شروده عن العائلة لصاحبة الاسم الغريب وليس ذلك فقط فقد نكز الجد أبيه في كتفه بقوة بالغة للخلف حتى كاد أن يهوى أرضًا ثم صاح به:

- إيه اللي جابك يا ابن أمك، كنت فاكرني هرمي لحمي في الشارع وجاى تلمه؟!
-ما عاذ الله أظن في حضرتك كده وبعدين ما هنا فتنت زي عوايدها وقالتلك على اللي فيها، أنا كنت خايف عليكوا أنتو الإتنين وقولت لما تهدى حضرتك أفهمك و. . . .

صاح به الجد مقاطعًا تبريراته:

- في ستين داهيه إنت وهما، وهى.

ثم قام الجد بعصبية ينفض رماد فحم نارجيلته عن جلبابه ورحل عن بهو القصر بل وترك القصر بالكامل وموعد الغداء العائلي وشيك.

- انت لسه واقف ما تعملك هِمّه

صاح به أبوه فور خروج الجد فصعد حسام لغرفته، وجد أخيه يلملم ملابسه بالفعل وكل متعلقاته، سعيد بالعودة للمدنية وكأنه يتذكرها. لما غادرا القاهرة كان حسام بالثانية عشر وآسر بالعاشرة، وكانا تركا من ورائهما جدهم بعزلته وشيخوته التى تأججت فجأة فور موت جدتهما. لم يأتي بحسبانهما يومًا ما قد يكون أسوء من موت أمهم غير أم مكلومة بموت ابنتها، أخذتهما الجدة عنوة من كنف أبيه، يتذكر حسام جيدًا عراك كبير دار فور وفاة أمه لما أراد أبيه اصطحابهما للعيش مع زوجته الثانية ، إلى أن حسم الجدال جده عبد المقصود لجدته من ناحية الأم خوفًا على مستقبل أبيه من بطش جده الذي كان حينها ذا مركز قوي في سلاح الطيران. خرج أبيه من بيت جده مكسورًا إنما داوم على زيارتهما أسبوعيًا تحت رقابة الجدة المشددة التى لما تراها تحسبها حقًا تعمل على راحة أحفادها ولكن حقيقةً صبت غضبها على كل من تسبب بموت ابنتها وهما ما تبقى أمامها من جلال عبد المقصود. أسبوع واحد فقط تلمس به الحنان والرعاية منها ثم إنقلبت أحوالها وتركتهما لحالهما لا تعني بإطعامهما أو

مذاكرتهما، هو ابن العاشرة كان يعد الطعام لأخيه الأصغر ويجلسا معًا لتناول أسوء ما تذوقاه إنما يأكلاه جوعًا. تدهورت أحوال أسر الدراسية ولم تبالي الجدة أو الجد، بغض آسر المذاكرة والبيت وأصبح الشارع ورفقاء السوء ملاذه حتى جاءت عناية القدر وأول الغيث كان موت جدته وحينها طلب جده من ناحية أمه من جده الآخر الاهتمام بهما فلم يعد له طاقة على تربيتهما وكأنه اهتم يومًا. ذهبا للعيش بدمياط وحاوطهما الاهتمام لبعض الوقت حيث حرصت جدتهما عليهما على الدوام، لم تشعرهما بالتيتم من ناحية الأب أو الأم كانت ولا زالت إلى جانبهم دائمًا أو إلا قليلًا فقاهرين مثله ومثل أخيه لا بد أن يشتد عودهما عن طريق العمل بورش العائلة. نزل برفقة أخيه للعمل أولا بالورش ليتشرب صنعة أجداده ولما ترقى ساعد عمه الأكبر بإعداد الصفقات، عمه الاكبر لديه من الأولاد فقط خمس ولكن جميعهم منشغلين وكأنه وأخيه المتفرغين، اعتادا على معيشة دمياط الخشنة فأي شيء أفضل من رفقة عجوزين خرفين.
له أخت، لم يعتاد على الفكرة يومًا ولكنها لحوحة بطريقة مزعجة أحيانًا، فبكل زيارة لها لدمياط تذهب إليه أينما كان بالحديقة أو بغرفته، تأتيه مبتسمة محملة بهدية ورسوم تشبهه من رسمها، كذلك تهدي آسر هدية ولكن بلا رسوم له لأنه يصيح بها على الدوام.
تقف الآن في البلكون الفيلا الغير مكتملة الإنشاء تلوح لهم مرحبة ثم إختفت.
صعد الدرج يرافقه التعجب فلم يتوقع أن غضبة الجد على ولده الأصغر ضهورت أحوال أبيه إلى هذه الدرجة المذرية ويسكن مبنى غير مكتمل الإنشاء وبالصحراء ومن حوله العديد من الفيلات والقصور.
-سلميِ على حسام وآسر يا هنا.
قاطعت تفحصه للبيت الجديد لما ظهرت من عدم بعيونها السعادة، صافحته

منفرد ولم تترك قبضته فقد سحبته من يده بينما تقول:
- تعالي أوريك هنلعب فين.
ترك نفسه مسحوبًا منها حتى غرفة بها سرير واحد كبير وخزانة صغيرة للملابس، لا بد إنها غرفته إنما فيما بعد علم إنها غرفته و أخيه سويا مما جعل أخيه يصيح بعصبية:
- وأنا اللي إفتكرت هنتنطر لفوق أتارينا نزلنا لتحت، الحاجّه هناوه عايشه في العشه إزاى؟!
كيف لا يعلم حقًا، فجدته نيقة للغاية لا تقبل بالحد المتوسط بأى شيء ناهيك عن التدني، فقد كانت سلواها وتسليتها بالحياة التسلط على الخادمات في قصرها وإعادة هيكلته سنويًا بآخر خطوط الموضة التي تخرجها معارض الهنا. بدأ آسر بالاستيطان وأخرج ملابسه من حقيبته للخزانة بينما هو اكتفى بالاستلقاء مستسلمًا للألم الذي تفشى بعظامه من قسوة ما لاقاه اليوم من إرهاق حتى ضحكات صغيرة أعادته لليقظة. نظر ناحية الباب وجد الصغيرة على عتبته ممسكة بإسكتيش كبير للرسم، لا يعرف متى ذهبت عنه متى عادت إليه ولكنه اعتدل للباسمة وقال:
- تعالي يا هنا.
اقتربت منه فتناول منها الإسكتش وطالعه فوجد رسم يشبهه للغاية ولكن هذه المرة ليس وجه فقط فقد كان وجه وجسد مكسي ببدلة الطيارين العسكريين ويقف بجانب طائرة f٤ . قال مشدوهًا لحلم ظن إنه راوده وحيدًا:
- إنت عفريته، عايزه تتطلعي رسامه؟
- لا مهندسه زى كريم، بس ما تقولش لبابي.
- ماشي، عارفه لما أدخل الكليه هركب الطياره زى اللي رسماها وهجبلك أي

حاجه تتطلبيها، قولي بقه عايزه إيه؟
غابت عنها ابتسامتها التى لم تكن تفارقها وقالت بحزن ليس من شيمها:
- عايزه مامي.
- مامي في الشغل؟
بكت الصغيرة بلا أسباب وقال متعلثمة:
-بابا ضضضضربها، وخاااافت ومشيت، وسسسابنتي، بابي كل يوم بيشكني عشان شافني بكلم كريم.
اقترب أخيه لما سمع رواية الصغيرة المريبة وقال:
- انت ملبوسه يا بت ولا إيه، إنت بتقولي إيه؟ وأمك دي فين؟
- إسكت ما تخوفهاش.
مسح حسام دموع الصغيرة بأنامله عن وجهها الملائكي وقال:
-بطلي عياط يا هنا، أنا هجيبلك ماما ومش هخلي أي حد يشكك.
قطع عليهم الجلسة الأخوية الأولى صياح أبيه الغاضب باسم الصغيرة فتزايدت حدة بكائها حتى إنها ارتجفت بين يديه ولم يفلح بتهدئتها. أقبل عليهم أبيهم ولما رأى حال الصغيرة الحزين صاح بهما:
- حد منكوا زعلها؟
قال آسر غير مباليًا:
- أبدًا هى اللي هبله ولا ملبوسه، عيطت لوحدها.
ارتسمت على ملامح أبيه الاستياء من مصطلحات آسر الحادة إنما لم يباشر بالتوبيخ كعادته فقط حمل الصغيرة على كتفه وخرج بها من الغرفة، وتركهما بحيرتهما أين زوجته فقد تأخر الوقت على أى عمل تزاوله إنها العاشرة مساءً ومن كريم هذا. تشارك أخيه معه القلق وقال:

- شكله طلقها زي ما بيقولوا في دمياط وجايبنا نخدم الملبوسه.
نظر له حسام مستنكرًا وقال بمرح:
- خليك على مستوى الحدث، إحنا في التجمع الخامس، أختك في مدارس بريطاني بتكلم تلات لغات وانت لسه بتكلم دمياطي، لو فضلت فلاح مش هتلاقي حد ينام معاك غيري.
تزايد صراخ الصغيرة والآن تهتف بكراهيتها لأبيها وهناوة، خرج من الغرفة باحثًا عن مصدر الصراخ حتى وجده، ثلاثتهم بغرفة الصغيرة الوردية، الجده حددت إقامة الصغيرة على فخذها محتضناها بواسطة ذراعيها بشدة حتى لا تنفلت وتهرب من أبيها الذي يحاول حقنها بالأنسلولين. لما رأته دفعت عنها جدتها وسارعت إليه، ووقفت من ورائه كي تحتمي به كما وعدها. سأل حسام عن ما يحدث جاوبه أبيه بتملل:
- متعبه من ساعة ما جيت بحاول أديها الحقنة مش عارف.
نظر للصغيرة بآسى وقال مشدوهًا:
- عندها سكر؟
- أيوه، تعالي يا هنا.
لم تتحرك بل وأمسكت بساقه بقوة فقال:
- أنا هديها الحقنه.
- هتعرف؟
أكدت جدته لأبيه مهارته بمرحها عند المصائب:
-كان بيدي لعبد المقصود يارتها خيبت.
تقدم منه أبيه ليناوله الحقن ثم خرج يحوقل بينما هو ضحك بشدة فما زالت جدته تستطيع إطلاق النكات رغم ما مررت به من أهوال أرسلتها بالنهاية

للسكن بخرابة كتلك.
تبعت الجدة أبيه للخارج فسارعت الصغيرة لغلق الباب من خلفهما ثم عادت إليه تقول بسعادة:
- هديك هديه حلوه أووووي
تبدو هبله بالفعل ما سر أووووي تلك، تقولها بعصبية قابضة على فكيها بعنف، تركته وغاصت أسفل سريرها ثم خرجت له بقالب كبير من الشيكولاتة ناولته له على سبيل مكافأته فضحك وقال:
- طب يا ستي شكرًا.
شاركها الجلسة على سريرها الصغير وقال:
- بتعرفي تلعبي كوره؟
- أه.
- تلعبي معايا؟
- اوكيه.
- عايزه تغلبيني؟
- اه.
- يبقى لازم تاخدي الحقنه عشان تبقي قويه و تغلبيني.
- extrem dumm .
لم تأتي كلمة واحدة مما قالتها الصغيرة بآخر كورس مكثف درسه لتعلم الإنجليزية للتحضر للعام الأول في الكلية الجوية فأيقن إنها تتحدث الألمانية، ولا بد إنها تسبه.
-بتشتمي صح؟
لم تجيبه فاستطرد:

-إيه رأيك تعلميني ألماني وأنا أعلمك دمياطي؟
قامت من جانبه إلى مكتبها الصغير وجلست من خلفه ترسم في سكون فإتجه لها يقول:
- أنا الحقنه بتاعتي مش بتشك، جربي.
لم تجيبه مرة أخرى فاستطرد مشيرًا للقالب الحلوى الكبير:
- هديكي الهديه وهشتريلك غيرها كمان.
- I am allergic to almonds .
حمد لله الإنجليزية أخيرًا، كل ما فهمه إنها لديها حساسية مما لم يفهم. نظر لقالب الحلوى بيده وجده كتب عليه أنه يحتوى على الكلمة الأخيرة التي قالتها؛ البندق لذلك أهدته طفلة قالب من الشيكولاته لأنها ببساطة لا تستطيع أكلها فقال ياسًا من إقناع من بذكائه:
- آخر كلام هديكي حقنه ما بتشكش وفي المقابل هننزل نلعب كوره في الجنينه وأخدك أجيبلك أى شيكولاته تنقيها.
إجتذبها العرض بعض الشيء فقد رفعت ناظريها إليه بينما تقول:
- بابي مش بينزلني الجنينه.
مضى هذا الزمن مع أخيها الأكبر تطلب تطاع كسائر الأميرات. ابتسمت الصغيرة للولي الجديد بسعادة فطلب منها أن تصطحبه للمطبخ، وحينها قامت على الفور وسحبته من غرفتها إلى المطبخ بينما تستعرض كل ركن بالبيت على سبيل التوضيح للضيف الجديد. بنهاية الجولة السياحية وصلا للمطبخ وحينها فتح حسام الثلاجة وأخرج منها كيس من الخضروات المجمدة يبدو عليه القدم فقد ذهبت معالمه الدالة على نوعه كذلك متجمد كصخرة ثم توجه للصغيرة الجالسة على أحد كراس طاولة المطبخ المهمل المليئ بالأطباق المتسخة وسألها:

-بتاخديها فين؟
رفعت فستانها حتى أفخاذها وأشارت له على موضع الحقن المخبط بالكدمات الحمراء إلى البنفسجية، وذلك ناتج عن إعاقة حركاتها بالقوة الجبرية حتى تنغز بالحقن يبدو إنها مريضة حديثة العهد و لم تولد بتلك الوصمة. أرخى فستانها على أفخاذها وقال:
-ممكن تأخديها في كتفك وبطنك التنويع كويس، عشان، أحسن يعني.
لم تكن لتفهم المغزي من التنوع بأي حال فصمت حتى ضحكات بالغة صدرت عن أبيه فقد كان يرقبهما فأبيه يغار على الصغيرة من كل رجلًا على وجه الأرض.
دلف أبيه للمطبخ وجلس بجانب الصغيرة في انتظار طريقة حسام المبتكرة للحقن كما رددت الصغيرة حتى قبل التجربة.
وضع حسام الكيس المتجمد على كتف الصغيرة فضحكت، وظلت تضحك لدقيقة كاملة لأن كيس المجمدات يدغدغها كما رددت إنما هذا هو المطلوب الضحك حتى الخدر. تخدر كتف الصغيرة من التجمد وحينها حقنها حسام بينما عيونها المتعجبة على الحقن الذي لا يؤلمها كما اعتادت. شاركها التعجب أبيه حيث قال:
-مش فاهم إزاى ما جتش في دماغي، جدع يا حسام عقلك حاضر هتبقى طيار كويس، هنا اللي إتنبئتلك حتى قبل ما أعرف النتيجه.
انتهى من حقن الصغيرة وأعاد الأنسولين للثلاجة بينما يقول:
-دي حاجه بسيطه عرفتها من الدكتور بتاع جدي.
عاد إليهما وشاركهما طاولة المطبخ واستطرد:
-الحقن الصغيرة قِدمت طلع قلم بدون ألم من أكتر من سنه، إشتريه أحسن.
تخللت أصابع أبيه شعر الصغيرة المبعثر وقال بابتسامة انكسار لإخفاء ضيق

اختاره بمحض إرادته لما فضل الإغتراب للقاهرة مع الطبيبة:

- إن شاء الله، أول الشهر.

- أنا معايا فلوس هجيبه لهنا هدية.

- أنا معايا يا إبني، بس إحنا ماشيين على ميزانيه.

صوت جدته الغاضب أتى من الخارج يصيح:

- يا حسام، إنزل هات القلم لهنا دلوقتي.

وتضخمت الجلسة العائلية لما خرجوا جميعا للجدة بوتيرة بطيئة أو هادئة فيما عدا الصغيرة فقد هرولت من بينهما حتى قفزت على حِجر الجدة مباشرة ثم باشرت بجذب مصاغ جدته الوفير بمرح لم تكن تقبله الجدة من أقرب أحفادها وليست ابنة الطبيبة من سرقت ولدها الأصغر منها وأوعدته القاهرة بعيدًا عن عائلته. وبين محاولات الجدة لإبعادها قالت لأبيه:

- أنا شفت القلم في الصيدليه بتاعت مرات صاحبك وأنا بجيب السم

- سم إيه؟

سأل حسام أبيه بريبة فنظر أبيه لجدته بحدة وقال:

-سم فار، كان عندنا فار.

إثر تصريح أبيه المكذب لقتل الجد على يد الجدة ضحكت هنا والجدة بشدة ولما انتهيا من الهمس والضحكات طلبت الجدة من هنا أن تجلبها لها حقيبتها الجلدية المباركة التى تحوى آلاف الجنيهات دائمًا، بالله كلما رآها شعر براحة بالغة لِما يسقط بين بيده من رخاء بعد حلولها. سحبت الجدة منها أربعة ورقات من فئة المائة جنيه وناولته إياهم لشراء الازم للصغيرة الآن وبلا تأخر فلبى بلا تذمر فالمعدات لن تتعدي المائتين جنيه إذًا البقية في؛ جيبه. تشبثت به الصغيرة تذكره بوعده فسمح لها بمرافقته ولكن كان للأب رأيًا أخر.

-خليكِي مع نانا.
صاحت الصغيرة:
-اوف بقه أنا زهقت منكوا، أنا عايزه أروح مع حسام.
قام أبيه غاضبًا وتوجه للصغيرة بينما يقول:
-وبعدين معاكي، هذبي أسلوبك وإلا والله.
أوقفت الجدة أبيه عند هذا الحد وطلبت من حسام مرافقة الصغيرة للخارج وشراء كل ما تأمر به أميرة دمياط ووريثة جدتها بكل شيء خاصة صلابة الرأس.
خرج حسام بالصغيرة من المنزل بعدما نال منه التعجب هل تفهم الصغيرة كلمة مما قالها أبوها وما يثير التعجب أكثر وبعضًا من السخط المعاملة اللينة التى تتلقاها من أبيه فحسام لا يتذكر إن صوته علا بوجود أبيه أو سب أو سخط على أي شيء ولكن الصغيرة لها مطلق الحرية وعند ضرورة تهذيبها يلجأ أبيها للعربية الفصحى والتى قد لا تفهمها تلميذة المدارس البريطانية المكلفة، إنما بعد نظرة واحدة للصغيرة الباسمة وللنقاط الغائرة بكتفها بموضع الحقن الأخير تذكر إن لديها ما يكفيها من المعاناة للأبد.
أشارت الصغيرة إلى صيدلية كبيرة تقف منتصبة باعتزاز بين صروح الأبنية الفاخرة المكونة من ثلاث طوابق بحد أقصى. من أمامها الأشجار المقلمة في أشكال مخروطية بديعة داخل أصص جبسية، الورود والرياحين تشكلت وتلونت مغطية سياج واطئ من حول المبنى الصيدلي لزوجة صديق أبيه الدكتورة علية كما كتب على يافطة الصيدلية بالنيون. تثلَّج قلبه واقشعر جسده من رياح باردة اصطدمت به لما دلف للصيدلية الفاخرة للغاية بل وأكثر من اللازم فمكيفها الهوائي يعمل بقوة مائة حصان على ما يبدو، أرفف وأدراج كانت حوائط الصيدلية، عوارض تحمل مستحضرات التجميل النسائية وغيرها،

الصغيرة من جديد تسحبه من ذهوله حتى البائعة التي تجلس من خلف مكتب صغير. ضمت البائعة أخته وقبلتها بمودة ثم نظرت له متسائلة وحينها أشارت أخته له وقالت بفخر:

-حسام أخويا طيار بطل زى بابي.

قامت البائعة من خلف مكتبها وتوجت للبطل مشدوهة بينما تقول:

-ما شاء الله، كبرت يا حسام وبقيت شبه جلال الخالق الناطق كأنكوا توأم، إزيك يا حبيبي؟

نعم بالفعل فمن يراه بماعية أبيه يحسبهما إخوة وليس أبًا وولده فأبيه تزوج بالحادية والعشرون من عمره أي فور تخرجه في من الكلية الجوية.

ودع البائعة الودودة التي اتضح إنها صديقة مقربة لزوجة أبيه كما أن زوجها زميل مقرب لأبيه كذلك بعدما إبتاع لهنا المعدات الازمة وخرج من الصيدلية لأكثر المشاهد إثارة في حياته القصيرة، سيارة حمراء مكشوفة بداخلها فتاة جمالها النادر بندرة وجود بورشا في مصر مثل السيارة التي تقودها بحرفية كبيرة. استمر بالسير من خلفها حتى وصل لقصرها المقابل لخرابة أبيه، إنما لا داعي للتشاوم فخرابة أبيه الأقل بكل شيء بين مثيلاتها بالحى الراقي بل والمثير للسخرية أمام بيت أبيه قصرًا يناطح قصر دمياط تقف أمامه البورشا الحمراء وصاحبتها التي تشير له. لا بد أنه يحلم لأنه لم ينم منذ يومان ألا إنه أفاق من الحلم للواقع البهي فأخته تهتف ميرا وتركت يده وسارعت للشقراء الجميلة ذات العطر الفواح الذي دفعته الرياح عن مسافة شارعين إلى أنفه ليتغلل إلى نفسه الفقيرة التى لم تقابل كل هذا الكم من الجمال مجتمع بامرأة واحدة.

توجه الأخ لأخته كما المرجح وانتظر منها تقديمه للمرة الثانية ولكن لم يحدث فبارد هو:

- حسام جلال؟، جاركوا.
- إيه بعرفك خي هنا الكبير، هلا فيك.
لذلك جميلة؛ إنها لبناية، قالت أخته:
- فين كريم؟
- سافر حبيبتي.
حزن وجه أخته ثم قالت:
- طيب، قوليله الشوكليت اللي جابها مش حلوه، عايزه اللي كان بيجبهالي الأول.
- ماشي هنا.
- هو راجع إمتى؟
- مو بعرف.
بدى على أخته خيبة الأمل فقال لإختراق الحوار:
-كريم ده أخوكي الصغير؟
ضحكت الجميلة ثم قالت:
- لا خيي الكبير بيزنيس مان. . ثم كمشت بأناملها الرقيقة وجنة أخته وأردفت.
. خطيب هنا.
وحينها شاركها الضحك والآمال، لأخته خطيب لبناني ورجل أعمال وقد لا يمانع خطبة أخته لساكن خرابة سكنتها خطيبته. زوجة المستقبل اقتربت منه للغاية وهمست له بعدما تحول ناظريها عنه لقالب الشيكولاته الكبير الذي بيد الصغيرة:
-أنا اللي ببعت لهنا الشيكولا اللي مو بتحبها مشان الديابيتس، بليز ما تشترلها شيكولا مهما لحت عليك.

صاح بخلفيته الدمياطية بحماسة زائدة:
-أه طبعا طبعا.
وحينها فزعت الرقيقة ضاحكة على تخبطه ثم قالت:
- دِقي على هنا. . باى. . باى حسام.
باى. . راقبها تغادر حتى تلاشت ولم يتلاشى عطرها الذي سكنه، هذا العطر الغريب أشعره للوهلة الأولى بأنه من أمام محال للحلوى الغربية وكل ما تمناه الاغتراف لو لقطعة واحدة من الكيك بالكريمة فهي تحب العطور ذو الطابع السكري. سحبته أخته من إحساس التنعم بسكنة التجمع الخامس لما قالت بخبث:
-دخلت خلاص، مش هنرووح؟
أماء بالموافقة، هم للمغادرة فاستطردت:
-ما تقولش لبابي إننا سلمنا على ميرا.
أماء بالموافقة مجددًا ثم قال بحبور:
-أبوكي عرف يختار جيرانه بصحيح.
عاد بالصغيرة وبالمعدات الجديدة للحقن والتى بالرغم من سهولة التعامل بها إلا أن أبيه ألزمه بحقن الصغيرة بها بغير وجوده. نام لليوم التالي حتى الثالثة عصرًا لأول مرة منذ ولد تقريبًا، لم يوقظه إلا صوت تحطم ثم صوت الصغيرة يأتي ضاحكًا من الخارج:
-بابي هينفخك.
خرج من الغرفة وجد البيت منقلب رأسًا على عقب، كراس المائدة ملقاة أرضًا على الجوانب، أغلفة الشيبس والحلوى بكل ركن بالردهة، وإطار كبير من الزجاج مهشم على الأرض كان يحوي أحد شهادات أبيه. تجاهل كل فوضى

أضرمها الأخوة ورفع شهادة أبيه من بين الزجاج المتكسر وتوجه للأخ الأرعن قائلًا بحدة:

-عجبك اللي انت هببته ده؟!

أجابه أخيه ببرود:

-هى اللي كانت عايزه تلعب كوره.

عاد أبيه من عمله الخامسة عصرًا ولم ينفخ أحد أو يوبخ إثر تحطم الإطار الزجاجي فقط حمل شهادة الدكتوراه خاصته ووضعها بحقيبتها ثم دعاهم لغداء اليوم المقرر من الطعام الجاهز أما عن زوجته لا أثر لها حتى الآن.

تحلقوا من حول المائدة للغداء فقال أبيهم موضحًا:

-انا وفدوى إتطلقنا من كام شهر لكن الحمدلله إتصافينا و راجعه إنهارده ، مش عايزكوا تخافوا من أي شيء فدوى مسئوليتها الوحيدة هنا إنما لو طلبتوا منها أي شيء ماظنش هترفض أبدًا.

# [ مالك مراد ]

آخر من خرج من فيلا الزمالك شاب يدعون أنه يملك عينين خضراوين رغم إنهما بالله أقرب للبنية عند سطوع الشمس، أبيض البشرة إنما زال بياضها لسمرة جذابة اكتسبها من تدريبات كلية الحجيم تحت الشمس الحارقة.
سبقاه والديه للمرسيدس ليقلاه للكلية كما يحدث بعد انتهاء كل إجازة له، سعيدين فرحين متفاخرين بإنجازهما العظيم بعدما خدعه أبيه وطلب منه التقدم للالتحاق بالكليات العسكرية.
أنا مالك مراد نجل رجل الاعمال البارز مراد المنشاوي من يملك أقسى قلبًا بالوجود ليفعل بولده البكر ما فعله بي.
لم يكن ليذهب إلا إرضاءً لأبيه فهو كان على يقين أنه ضرب من المحال أن يقبلوا شاب قامته نحو مائتان سنتيمتر ليكون طالب بالكلية الجوية. ألم يكن بالسابق الطياريون الحربيون قصار القامة ماذا حدث للأيام السوداء التى تزداد قحالة يومًا بعد يوم ولكن ليس للأيام القاحلة أي صلة بعذابه وفهو ولد وعلى رأسه لعنة تسمى -سوء التوقيت- ويومًا بعد يوم يتوالد السوء فقد كان سوء تقدير منه ومنه الجميع متطلبات الكلية الجوية لأن الكلية طلبت بتلك السنة خاصة مواصفات مختلفة لدفعة مميزة يعدوها لشيء ما علمه بالسنة النهائية، وسوء استيعاب منه لعقل أبيه الماكر الذي علم بكل ذلك وأخفاه عن ولده البكر لخداعه، وبالطبع سوء خاتمة لأنه أكثر ولد لأمه أثقلها بمشكلاته التي لا تنتهي. أجبر على ترك أحلامه؛ موسيقاه؛ فرقته؛ وفتاته المسكينة التى يعولها وباقي الفتيات الاتي لا يتحملن فراقه؛ وكان هذا جزاء بر الوالدين بالدنيا.

منذ وطئت قدماه أرض الكلية شعر بضآلة لم يستشعرها في حياته فأغلب الطلاب على معرفة وثيقة ببعضهم البعض ونصفهم جاءوا من عائلات عسكرية أو شرطية. أما هو مالك مراد مالك معشوق النساء الأوسم والأفصح بين أي جمع، إنما بكلية الحجيم أمسى الفاشل الطبال المتوقع رفضه قبل انتهاء العام الحالي بإذن الله وتوفيقه. لا يعلم فيم رغبة الجميع الملحة بالإلتحاق بالشُعب العسكرية استيقاظ من الخامسة صباحًا الخامسة ونصف الإفطار السادسة إلا ربع طابور الصباح المسود ثم تمرينات رياضية تحت الشمس الحارقة وأعلى الأسفلت المتلهب منها لبداية اليوم الدراسي. محاضرات بلا فاصل لدقيقة ولا بد أن يكون بها بكامل عقله وإلا سب هو وأمه وأبيه وعائلته فردًا فرد.

بالعسكرية كل شيء لا بد أن يتم بسرعة ودقة ومنه الأكل والاستحمام والاستذكار والنوم أيضا وأهًا من النوم بعنبر به عشرون طالب أثاثه بالكامل من الحديد الصلب أسِرة مزدوجة حديدية، خزائن حديدية، مراتب حديدية حتى الملابس كانت على الأغلب حديدية، أيضا كل ما حوله يحمل طابع القسوة فالجدران رمادية موحشة توحي بتوحدك بأنك الأحمق الوحيد الذي نجح للوصول للجحيم سالمًا لتنعم بموت متجدد. كان آخر من التحق لينال بفخر السرير الأثير بجانب دورة المياة، وهو من أصحاب النوم الخفيف المتقلقل وكلما نوى زميل دخول الحمام حف الأرض بشبشبه للحمام ثم السينفونيات الغير المنتظمة وأخيراً شفيتم.

بسنته الأولى كان شهيرًا للغاية ولكن ليس بطريقة جيدة، الأطول والأوسم أيضا ذا العيون الفذقية ثم لقّب نهايةً بكلوديا تيمنًا بالعزيزة كلوديا شيفر عارضة الأزياء العالمية الأطول قامة بين كل نساء الأرض. كان أبشع عقاب سقط عليه من أمه كان بكائها أما أبيه اعتمد على قطع مصروفه بخلاف الإغلاق على آلاته

وآلات الفرقة بجراج الفيلا ثم يطرد من المنزل ليلًا أو نهار للطرقات أما بالكلية اتخذ العقاب أشكال أخرى لم تجول يومًا بخياله الخصب ومنهم حرمان من الطعام، تقشير أجولة البطاطس والبصل، تنظيف المراحيض والأروع الوقوف بلا حراك بالساحة الكبرى للكلية حتى يفقد الوعي بعد خمسة أيام وهنا علم لمَ قبل بكلية الجحيم. لديه قدرات خارقة تميزه عن باقي البشر جسده يجدد نفسه أفضل من عشرة رجال. بنية عظامه أصلب من ثمان رجال، نظره حادًا ثاقب حتى في الليل، لديه قرنية تملك ثلثي قدرات منظار الروية الليلة، لذلك فضَّل مجلس الكلية اختياره حيث عمر الطيار أقصر من الشخص العادي نظرًا للظروف القاسية التى يواجهها بالطيران على مختلف المستويات من الضغط الجوي والتى تجعل أعضائه الحيوية أكثر عرضه للتهالك. وفرحتاه، ليس مكانه ليس المستقبل الذي يرجوه، حلم ليس له، تبدل طموحه لأنه الابن الأكبر لرجل صعيدي يستنكر وجود مطرب بعائلته العريقة.

بكل إجازة يعود لفرقته وموسيقاه ولكن ليس وحيدًا لفيفًا من المخنثين من زملائه بالكلية يحاصروه أينما ذهب، يأتون للاحتفال فينقلب عليهم شر احتفال. يأتون للبحث عن الرفقة الناعمة وحينها يمنع عنهم كل رفقة ليقضوا الليل بصحبة ما يستطيعون دفع ثمنه من الخمور الرديئة. زعيمهم ابن كبير المعلمين جلال عبد المقصود، تصادف أن يكون أيضًا الأول بصفه للسنة الاولى، يقترب من المسرح ليراقص إحداهن فابتدت استجابة رغم تعليماته الدقيقة من حول الاقتراب من هذا الجمع الطائر وحينها أرسل لها فتاته لتمنعها عن حماقتها فابعتدت على الفور وحينها عاد حسام في خزيه. دقائق من المشاورة بينه وبين لفيفه حتى اتخذ القرار والطريق للمسرح، وضع ابن كبير المعلمين يده على ألته الموسيقية (الأورج) فتوقف مالك عن العزف بعد أن تخربت نوته

حد النشاز.
-دقنا حاجه بلدي.
قالها ابن كبير المعلمين ثم أخرج أكبر ورقة مالية رآها في حياتها ووضعها داخل جيب سترة مالك، ولمزيدا من الاستهزاء نظر حسام بشغف – لفتاته - المطربة ذات الوجه المليح والصوت الناعم وأردف:
-لو عايزها ترقص عليها أدفع كام؟!
أخرج مالك العشرون جنيه من جيب سترته ثم قال بهدوء:
-كده، أنت، غلطت في البيوت، وهتضطرني أغلط فيك.
ابتسامة تهكمية كانت الإجابة ولا بد من استجابة رادعة، ففاجأه مالك بلكمة تفاداها حسام ببراعة فصرعه بالآخرى إنما تفاداها كذلك ثم قال حسام والابتسامة تتسع على ثغره:
- إللي يعند علينا يبقى لا مجنون لا أهبل، لك حق الاختيار.
بهدوء آسر بصق الحسام الكلمات الأخيرة وخرج من الليلة الضائعة مثل مثيلاتها، لم ينعم بتذوق النعومة التى يبحث عنها ألا يكفيه التفوق هو ولفيفه. كل دفعته منكبين على دراستهم بكل حماس وترقب لليوم الذي سوف يستطيعون به الصعود على متن طائرة حقيقية أما هو كل آماله وطموحه الصعود على متن طائرة أيضا ولكن مدنية لتنقله لعالم آخر أكثر مدنية. ماذا حسب الحسام يجعله سخريته ويتركه بلا عقاب وهذا كان أول عقاب حط عليه؛ سوف يظل بمعزل عن عالم الديب مالك مراد. انتهت السهرة بلا أجرهم بسبب عراك حسام الذي لم يكتمل حتى، فلملم المعدات على نغمات السخط من أعضاء فرقته أما هى لم تنبس بكلمة واحدة. أخرج كل ما بجعبته من نقود وناوله لها وقال:
-مشّي نفسك بيهم لحد ما أتصرف.

وضعتهم حبيبته بشطنتها النسائية الامعة التى جلبها لها من آخر رحلة له لأمريكا:

- ماضيقش نفسك ولا تشيل همي، أنا لقيت مكان عايزين فيه.

قاطعها بعصبية:

-عايزين رقاصه، مفيش حفلات من غيري يا ماهي.

أماءت بالموافقة وانتهت من حزم متعلقاتهما في هدوئها المخلمي؛ كم هو في حاجة إليه. لم تنتهي السهرة لابن كبير المعلمين، ينتظر عقابه برفقة ثلاثة من زملائه، لا ضير معه الغلبة أعضاء فرقته خمس وسوف يتغلبون عليهم ليصبح بالغد الحسام كلوديا عوضًا عنه. تقدم منه مطرب الفرقة محذرًا:

- الواد بتاع السيرك ناويلك على نيه.

كتوم مهرج السيرك ذا التخفي المدهش من اللكمات؛ لم يجازف بعراك داخل حانة قد يتطور وتتدخل الشرطة، وحينها يذكر بملفه المشرق أنه غير منضبط، ومالك أيضا لطالما كان كتومًا إنما بلا تبعات مستقبلية.

نظر مالك لحسام منتظر خطوته فقال حسام من أعلى سيارته المتهالكة:

- قول للحريم اللي معاك تروح عشان عايزينك فى مصلحه واللي عايز برضه من الحريم اللي عامله رجاله تروح بما فيهم إنت، يروح وأنا مسامح.

- جيت لقضاك.

تمسكت حبيبته به كعلقة أمازونية تحثه على المضى تاركًا ثأره فطلب منها بحزم العودة لمنزلها وبالغد احتفال القصاص، تركته على مضض والخيبة تنضح عن وجهها بينما توصيه بالتروي ولو لمرة واحدة بقرار اتخذه في حياته. غادرت الفتيات وبقى الرجال فتقهرر حسام للخلف كما المتوقع وترك صديقان من أصل ثلاثة يتقدما بينما يقول:

-روقوهم وسيبولي الطويل فيهم.
وهذا كان مراده بأي حال مواجهة الحسام وحيدًا. سارع مالك للحسام المتقهر إنما سارعه أحدهما بلكمة قوية أسقطته أرضًا، لا ليس ذلك فحسب، اللكمة جعلته يحلق بالسماء إلى أن تكوم أرضًا يبحث عن قبرًا يكرم مسواه الأخير، نفس الصديقين تناوبا على باقي أصدقائه حتى سقطوا واحدًا تلو الآخر، خمسة رجال أسقطهم رجلين بأقل من دقيقتين وحينها نزل الحسام عن السيارة وتقدم منه على وجهه الابتسامة الحالمة. . يجذب مالك من سترته ليقف لمواجهته. . يهندم له ملابسه الممزقة إثر العراك. . أصابعه تكمش وجنتاه بمرح ثم ناوله ضربة رأس رنحته بل جعلته يري الليل البهيم نهارًا مشرق عجزت عيناه على استيعابه على حين غرة وعندما عاد الليل من جديد حاول مالك التماسك من جديد كما حاول أن يصرع الحسام بلكمة ماكرة تعيد له ما تبقى من كرامة جرى هدرها على الإسفلت إنما أمسك حسام بقبضته ولوى ذراعه بالكامل للخلف فأصبح سجين ذراع الحسام الأيسر الذي إلتف من حول عنقه كثعبان مكير ينوي الفتك به، ضاق الخناق أكثر، تقلصت ذرات الأوكسجين من الهواء، ثوان ويذهب للقدير ألا إن الحسام ألقى به أرضًا ليسقط على معدته ويفترش الأرض، وبالنهاية توالت الضربات من حذاء حسام لمعدته حتى فقد الوعى تمامًا. لم يتذكر شيء بعد ذلك إلا وجوده بمشفى عام نقل إليها برفقة أصدقائه ثم أبيه وصياحه مندداً باستهتاره الذي سوف يفقده حياته ومن ثم تموت أمه حزنًا عليه.
عاد لكلية الحجيم قبل أن تندمل جراحه المتعددة التى كست وجهه وأصبح الآن رسميا Hosam›s bitch ينهي اليوم الدراسي الطويل ويعود لعنبر النوم مباشرة لتجنب الاستهزاء على حالته المذرية حتى بيوم أتاه الحسام وحيدًا.

جلس على السرير الذي يليه بصف الأسرة وليس له ثم قال بتهكم:
-إزيك يا فنان؟
لم يجيبه وأكمل صف ملابسه بخزانته الخاصة فأردف:
-إنت إيه اللي دخلك الجويه وإنت طبال؟
أغلق مالك خزانته بعنف صدع الأجواء وقال:
- وإنت ما لك يا ابن العميد.
- بص يا فنان، الكليه دي، بيخشها رجاله وبيتخرج منها أبطال وإنت شكلك ولا راجل ولا زفت، أنا لو منك أخدها من قاصرها وأسيب مكاني لواحد يستهله وصدقني ملايين يتمنوا مكانك إللي مش عجبك.
- هتعرف أنا راجل و لا لاء قريب.
ابتسم حسام وقال:
- لا يا سيدي راجل وسِيد الرجاله كمان، أنت خدت علقه مُكن واحد غيرك كان زمانه ميت وشيّلني ذنبه وأنا مستعد أساعدك عشان تبقى راجل بحق وحقيق.
لكز مالك حسام في كتفه بعنف ثم قال متوعدًا:
-إتكل على الله لحد ما أعرفك مقامك.
لم يهتز الحسام لكلماته وخاطبه بهدوء:
- مقامي ومكاني أنا عارفه كويس وأديني فيه، هعمل معاك صفقه، تظبطنا هظبطك.
- ماليش في الشمال.
بادله حسام التهكم قائلًا:
- خف على نفسك بدل ما أكمِّل عليك وتتخرج من الخدمه في الكليه و الكباريهات، إحنا شفناك كذا مره في كذا حته وشفنا البنات عامله عليك إيه

وبصراحه معندناش وقت نظبط و نحب، عايزينك تظبطنا وإحنا نحب بالجامد,
- ماليش في الشغلانه دي، بس شكلك فاهم فيها كويس، ما تلعبها لحسابك
ترك حسام الهزل بحزم القول:
-إسمع، إنت درجاتك هتخرجك من الكليه بالكتير أوي السنه الجايه وتترفض لو مش عايز ده يحصل إسمع الكلام، أنا مش بقولك اشتغل إريـال أنا بقولك عرفنا بدل ما تقطّع علينا مطرح ما نوروح ، وأنا هساعدك وهخليك تتخرج وتفرح أهلك بيك وصدقنى معايا مش هتخسر.
كل ما جاب عقل مالك حينها دموع أمه ونعيها لابنها الأكبر الذي يحرق مستقبله ولا يستطيع أحد ردعه، لومها لنفسها لأنها لم تهتم به كفاية وتركته لأهوائه التى قد تقضي عليه وبالنهاية تقضي عليها، أخيه الأصغر بسنته الثالثة بالجامعة بينما هو ما زال بسنته الأولى متعثراً.
-ماشي، بس أول حاجه عايز أعرفها، إزاى عرفت تضربني الضرب ده كله من غير ما ألمسك.
ابتسم الحسام بنصر وقال:
-إنهارده عاملين إستدى جروب تجيب كتبك وتيجى قاعه حداشر عندنا إمتحان شفوى كمان اسبوع ، سلام يا مالك قلبي.
اللعنة على عمر دياب الذي جعل من اسمه مزحة جديدة. لمَ لا ليجرب أليس الطيران حلم الجميع لمَ ليس حلمه. تبع حسام للحلقة الدراسية المنعقدة بقاعة الدرس الخاصة بالطلاب فبدأت المجموعة بالتهامس فور رؤيته، أشار له حسام ليجلب كرسي وينضم إليه فقال أحدهم:
-فين كتبك ولا جاى تعمل نمره يا كلوديا؟!
ضحكت الحلقة الدراسية ثم قال حسام وهو يشير تباعًا على أفراد الحلقة

معرّفًا:
-أمجد، نور، حسن، مايكل. . ثم نظر إلى مالك وأردف معرفًا. . كلوديا.
فعادوا للضحك وحينها هم مالك للنهوض من الحلقة منهيًا تلك المهزلة إنما من يدعوا مايكل أمسكه من ذراعه وأجلسه مجددًا وقال:
-بص معايا ولما ترجع العنبر إبقى راجع من كتبك.
صاح من يدعوا أمجد بمايكل:
-والمسيح الحى طيبة قلبك هتضيعك.
وبدأت الحلقة الدراسية، كل ما يدرسوه إلى جانب المواد العسكرية كانت الفيزياء واتضح أن الفيزياء أم الرياضة، ولم يكن يعلم صلة القرابة تلك بينهما فطالما كان بارع بالرياضيات، وتصادف أيضا أنه بارع بالحفظ فقد كان في وسعه حفظ نوتة موسيقية كاملة فور سماعها رغم أنه ليس دارس للموسيقى و الآن وجد نغم جديد ليحفظه برأسه وكانت القوانين المتعددة التى شملت كل المواد المدروسة بمنهجه الثقيل. علم لاحقًا أن المجموعات الدراسية اكتملت بدونه لأنه ببساطة لم يتقدم لأيًا منهم وأقوى المجموعات من ضمته يناءً على توصيات ثلاثة معلمين لمحوا به النبوغ وكان على رأسهم أبا حسام وهو كذلك من دفع ولده لصداقته.
لا يزال مالك للأن لا يجلب كتبه للحلقة الدراسية فجميع الكتب مكانها رأسه، وبُهرت المجموعة الدراسية بقدراته بالتساوي بمعلميه ثم حدثت مفاجأة زلزلت الجميع وهو من ضمن من تزلزل؛ اسمه درج بين الخمس الأوائل بدفعته. جاء ترتيبه العاشر، في الحقيقة لا يكون هناك عشرة أوائل مجرد خمس لكن نجاحه في عامه الثاني صدمة مدوية.
راقت له الفكرة طالب مجتهد في انتظاره مستقبل مشرق مضمون، أيضًا لما

علم أبيه بنجاحه أدمعت عيناه جزلًا وأمر بذبح الذبائح وتوزيع العطايا ومن العطايا سيارة جديدة ومفتاح شقة خاصة ببناية يملكها أبيه بالزمالك أصبحت الآن ملكًا له ولكل رفقه يرغبها. انتهى عصر قطع المصروف ليحل محله عصر الوفرة بكل شيء مال، نساء، ورفقة. أصبح مدعوا لكل حفلات والده برفقة أصدقاء الكلية ليكون أكثر الشباب شهرة. ذاع صيته وأصبح الجميع يتودد إليه أصدقائه، رفقائه بالكلية فمعه مفتاح العالم المفقود بل عدة مفاتيح أولهم (المُكنه) وأخرهم النقود. ولكن برغم كثرة الاصدقاء كان الأقرب إلى قلبه واحدًا فقط، الحسام، طيب القلب غير مرائي مثل الجميع لم يبخل عليه بمعلومة داخل أو خارج المنهج الدراسي، نصبه أخيه الأكبر حيث كان يكبر دفعته بثلاث سنوات لأنه الوحيد الأوحد الذي رسب بالثانوية العامة لثلاث مرات، مالك أيضًا لم يبخل عليه بمعلومة ولكن بتخصصه الآسر.

دخل حسام عليه مكتبة الكلية وقطع قرائاته للطبيعة الجوية بـأسيا. جلس بجانبه وقال:

- عايزك فى حاجه كده.

- مش هشرحلك ميكانيكا ريّح نفسك إنت بقره.

حدجه بغضب:

-تصدق انك كلب مش عايز منك حاجه. . ثم عاد للتوسل. . أنا كنت عايزك تشرحلي حاجه غير الميكانيكا.

ربت مالك على كتفه مهونًا:

- سيبك من المذاكره يا حسام يا أخويا عيش حياتك، عندى ليك حتة نساوين هتموت عليك وإنت ولا هنا.

- بتكلم على مين؟

- يارا يا زعيم وخلي بالك جايه فى أى حاجه.
- مش دى صاحبتك؟
- أنا أصاحب الاشكال دى ! هى ليله والمصلحه قضيت وعايزاك إنت بقى عشان مصلحه جديده.
حدجه حسام بإشمئزاز:
-بلغها أسفي الشديد.
لم يفهم مالك فيما اشمئزازه من أبلغ الفتيات بمركز الزمالك الثقافي وقال:
- إسمع مني دى بت يالهوي حكاايه هتنسيك اهلك.
- شكرًا خليهالك تنسيك اهلك انت.
- مش فضياتى يا حسام دى فياضة الكل ما جتش على صاحبك.
حدجه حسام بغرابة:
-نفسي الحريم تسمعك وانت بتكلم عليهم كده عشان ولا واحده تبص فى وشك أنا مابحبش أعرف واحده كانت مع صاحبي مش عشان فياضته عشان لما بشوفهم سوا بتخيل كل القرف اللي عملتوه أدامنا من غير خِشى.
وما الضرر إن كانت إحدى الساقطات لا تنتشي شبقًا إلا إن راقبها جمعًا من الرجال وأثنوا على أدائها المدهش وأداء من مكنها للانتشاء ولكن الحسام رجل عذراء أو أعذر ترى ما الذي قد ينسب للرجل من ألقاب إن لم يمس امرأة من قبل.
نظر له مستنكرًا من فضت عذريته منذ عقدًا من الزمان وقال:
- إتحرق هباسيها لأمجد يمكن يرضى يدينا ملزمته، كنت عايز إيه؟
- بص أنا شفت واحده وعجبتنى ومش عارف أدخلها إزاى.
- حلوه؟

أغمض حسام عيناه بشغف ثم قال بتمهل التأمل العميق:
- عمبتعقد.
- لبنايه يا واد يا لعيب، اسمها إيه؟
- وانت ما لك قولي أكلمها ازاى وخلاص.
- وهو إنت محتاج شرح، الحريم بيجوا عليك وإنت مديهم ضهرك إديها وشك وعرّض الباى وأنفخ التراى.
- ما عملش معاها حاجه.
- قوتلها إنك جويه؟
- عرفت وعادى.
- إمممم لبنانى حلو وتقيل، هو إنت شفتها فين؟
- بنت الجيران.
- طيب سهله أنطرها وهى خارجه وهى داخله وحاكيها تاني.
- ما هو أنا مكلمتيهاش أولاني دي تعرف أختي الصغيره.
- إنت ليك اخوات بنات يا حس وأنا معرفش إحجزهإلى أكيد شبهك وأنا مش عايز أكتر من كده.
- ياعم خلينا فى اللى إحنا فيه قولى أعمل إيه؟
- دى حاجه سهله جدًا خلي أختك تعرف خط سيرها وإعمل قابلتها بالصدفه مره واتنين والباقى عليك إنت.
وانتهى الدرس. ترك الفرقة قهرًا حتى يتراجع عنه لقب الطبال ومارس هوايته داخل أسوار الكليه فقط إن وجد الوقت، إنما الشيء الوحيد الذي لم يستطع التراجع عنه رغم رفض أبيه كانت ماهي؛ حب حياته. ابنة الجيران، زميلة الصف التى نمت أسرع من قريناتها حتى طالتها نظرته المميلة لمعشر النساء

أجمع وكان ما كان، أهدته كل ما تملك أيام عمرها الضائعة بلا أمل، حب لا ينضب رغم نزواته وهفواته، وأخيرًا أصبحت زوجة يطلبها وقتما يشاء لما يشعر ببرودة لا يسكننها إلا صدرها الدافئ.

انسحب أعضاء الفرقة واحد تلو الآخر وكلًا اتخذ طريقه وحيدًا أما هى أجبرها على ترك الغناء وألزمها دراستها في كلية الأداب قسم الفلسفة والذي لا تفقه به شيء على الإطلاق إنما من أجله تركت حلمها وتوسدت أحلامه. أكبر مطلب لها بالحياة هو تتمة، خاتمة لتلك القصة العاطفية الشائكة، مجرد خطبة بعد أن علم الجيران وأمها وأصدقائهما إنها له أما هو انتظر الوقت المناسب حتى أخبره أبيه برغبته بتزويجه ليتكلل نجاحه طيار ومتزوج رغم أنه لا زال بالسنة الثالثة فطلب عروسه وحينها أجابه أبيه بكلمة واحدة تفيد النفي لا بد الدهر:

- إنسى.

ولكن مالك لم يتراجع بهذه السهولة، قال وأوضح ونهاية استعطف أبيه حد الإذلال، ذكر لأبيه محاسن ماهي وطيبتها، أمها المسكينة المريضة، إنما لم يصلح مع أبيه أيًا من الحيل حتى أنه أنهى فكرة الزواج برمتها للحين وضاعف مصروفه واستبدل له سيارته بآخرى موديل السنة لإلهائه عن الوفاء بالوعد وحينها ناول ماهي ما تضاعف عن مصروفه علها تشعر بشيئًا من الأمان.

قطع عليه حسام مرة أخرى قرائاته وجلس بجانبه يقول:

- حبيبي.

- حياتي.

- قابلتها.

استرعى الحديث اهتمام مالك حتى أنه أغلق كتابه والاختبار الشفهي بالغد وقال بحماسة:

-فرحني، هتيجبها المركز إمتى؟
نظر له حسام باستنكار:
- مركز ايه يا واطى دى بنت ناس وخرجت معايا بالعافيه بعد ما أختى قطعت نفسها عليها وهى ربع ساعه ومشيت وسابتنى قفايا يقمر عيش حتى ما أخدتش موبايلها.
- كاورك.
- أختى قالت لى كده برضه.
- أختك تمن سنين بتقول كاورك لا أخطبهالي.
- لخّص أعمل إيه؟
- إحكيلى كل اللى حصل بالظبط.
لقاء عابر بضغط طفولي من أخته الصغيرة، اصطحب به جارته الحسناء لمول حديث الإنشاء بالقرب من حيهم الجديد بالتجمع الخامس ، كانت تتحدث بالكاد خاصة لما تركتهما أخته وذهبت للعب مع أقرانها، الجميلة تدرس بالجامعة الأمريكية ، تركب البورش، وتسكن قصرًا يقبع على الناحية المقابلة لمنزل اللواء جلال المتناهي البساطة إنما هناك بارقة أمل للحسام فالجميلة ليس لها أصدقاء أو أخوة وحيدة إلا منه وأخته الصغيرة.
نظر مالك لحسام بثقة وقال بقين:
-البت دى حلوه أصلي صح؟
أكد حسام كلماته بحماسة شديدة:
- دى حلوه حلاوه ما تتوصفش.
- عشان كده ملهاش إصحاب الولاد بيعاكسوها والبنات بيغيروا منها يعنى وحيده ودى فرصتك، تخش عليها صديق وطبعًا الصديق وقت الضيق سيبك

من الحب والرغى لما تلاقيك باصصلها عادي هتستغرب بس هتثق فيك وبعدين الحب هيجى وتيجى الزمالك.

- أبو الزمالك اللي شغلاك وهصاحبها إزاى بس، بتقطم معايا على طول.
- أختك أم لسان طويل هى اللى هتجرها.
- ربنا يعافيك لسانها أطول منها.
- قول لأبوك إنى جاى الجمعه الجايه أخطب وأشبُك هو ده إللى بدوّر عليه.

## {حسام جلال}

وكانت تلك من أحط حفلات مالك وأبيه. الليلة ذكرى ميلاد الفقيد الذي تركه فاقد الوعي بغرفة نومه مسجي عاريًا على سريره بين فتاتين. تقريبًا هو الوحيد الذي حافظ على وعيه حتى يستطيع العودة بأخيه وصديقه أمجد للمنزل، ألقى الثاني أمام درجات بنايته بمدينة نصر علل أحد المارة يتعطف بإدخاله لغرفة البواب ثم استأنف رحلته للتجمع الخامس فلم يكن ليجازف بسماع لوم بخلاف لوم أبوه وليس أم صديقه. بدأ الحفل ببار أندريا الزمالك، الدفعة بأكملها دعيت ما عدا غبي لا يقدر المعنى الحقيقي للاحتفال على الطريقة المالكية وعلى الأغلب لم يخلق هذا الغبي بعد. البار بالكامل مؤجر بعماله وخموره وركلامه لذكرى ميلاد مالك نجل رجل الأعمال مراد المنشاوي الفرح المتفاخر بنجله الوحيد رغم وجود آخر لا يحمل من أخيه ملمح؛ قصير، حيي، مهذب حتى أنه لا يشرب الخمر مثل أخيه وللعجب أنهى دراسته رغم أنه يصغر مالك.

الحفل لم يكن هدية مالك الوحيدة فقد كانت الأولى فحسب والثانية سيارة موديل هذه السنة والثالثة والرابعة سوف يأتوا تباعًا إذا ما كان مالك في حاجة لهديةً أخرى. الطبال صاحب الحظ الأوفر تحول بشهور قلائل من مطرب فاشل لطالب مجتهد مرشح وبقوة للبعثة لأمريكا ويااليت الحظ السخيف توقف عند هذا الحد، فمالك محبوب من الفتيات والسيدات بمختلف أعمارهن، أبوه لا يعصي له أمرًا، كل طلاب الكلية رهن إشارة من يده ليتكرم ويتعطف كي يضمهم لمجموعته حتى يكونوا من رفقاء الديب ولكن للحق لم يختار رفقة غير رفقته هو - صديقه الصديقي - كلمته السخيفة لوصف الأقربون. مالك لم ينكر

فضله عليه يومًا بعدما جذبه بالقوة الجبرية من حياة الليل لحياة أمجاد أبطال السماء. يقترض من مالك المال وما شابه ويسمح له بالسداد على أقساط وبرغم من ذلك لم يتعالي عليه يومًا رغم تعاليه على كل من حوله.

الساعة الآن الرابعة فجرًا ترى أمه بانتظاره أم غلبها النعاس وتركته لليلة سوداء سوف ينصهر سخامها على رأسه. ترجل من السيارة ثم تحول لأخيه لإنزاله من السيارة أو حتى إفاقته من حالة السكر البين تلك ولكن لم يستطع فالاحمق فاقد الوعي بدوره بعد هجوم فيض من الفتيات عليه واغتصابه منهن ومن ثم جرعات النصر من الفودكا التى شربها مثل السفن أب. تركه مجددًا بالسيارة لحين تفحص حالة البيت ومن ثم العودة لحمله كيلا يراه أبيه بهذه الحالة المذرية ويقوم بطرد كلاهما من المنزل للطرقات. تمسك حسام بكل ما رآه مشوشًا وهو بطريقه للمنزل، الحوائط الترابزين حتى الباب الذي بحمد لله لم يكن موصدًا من الداخل. فتح الباب بتمهل ودلف بهدوء فوجد الحفل انتقل لمنزل أبيه أم أنه ثمل للغاية ولا زالت تطارده الرؤي الناعمة لنساء آل مالك.

ضحكات أكثر خلاعة وصوت متغنج يهدر:

-ماليش دعوه يا جو عايزه جبنه قديمه دلوقتي.

أجابها جو:

-إنت بتتوحمي كفايه البيض والجبنه الرومي.

عاد الصوت الناعم لمزيد من التغنج:

-يرضيك أنام جعانه.

يبدو أن أبيه أو جو كما تناديه الصغيرة أحيانًا استثقل المسافة من الشقه بالطابق الثالث للطابق الثاني الذي تضع به أمه مؤن المنزل وبلاص المش الذي لا تستغنى عن جدته ولكن جو تخلى عن التكاسل بعد ليلته الخميسية الموفقة

وأجاب بحماس:
- ما يرضنيش يا بدر الدجى.
كم قديم أبيه كما تنعته الصغيرة وعليه جديًّة أن يقوم بزيارة عاجلة لمركز الزمالك ليجد مصطلحًا جديد بخلاف بدر الدجى، خطوات سريعة متلاحقة ترفض ما يقوم به جو حتى ظهر محدثها برداء نوم أحمر يشف القوام المياس، اللعنة وأماه هذه المشهد لن يفارق خياله ما حيى ياللتقزز فقد سهي أن الأمهات نساء كذلك.
شهقت أمه متفاجأة بوجوده بالمنزل ثم عادت للاختفاء بمرر الغرف مجددًا ثوان وخرج جو عاري الصدر مترهل المعدة وهذه سابقة فأبيه يرتدي كامل ملابسه صيفًا كان أو شتاء.
-حمدلله على السلامه، أخوك فين؟
كل ما أراد حسام فعله هو الضحك بشدة ولكن تماسك وأجاب أبيه:
-بيركن العربيه وطالع.
-أظن أنا وضحت اكتر من مره مواعيد العوده، الساعة كام معاك؟
جاء صوت أمه الحازم من الداخل تصيح ببابي فصاح بابي بدوره متململًا - حاضر - ثم نظر إليه وأردف. . طيب نتكلم الصبح، خش نام.
أنقذته أمه مرة أخرى لتضاف لمئات المرات، نِعم أم رغم الأحمر الكاشف.
دلف لغرفته للحظات وسكن حتى يتثنى له مماطلة أبيه للنزول مجددًا للأخ الساكر بعرض الطريق. مزيدًا من السكون إلى أن سمع أمه تخاطب جو بأنها نست جلب زجاجة المياة ليستكملا سهرتهما على ما يبدو بينما هو حبيس ليلة خميس لن تنتهي بالقريب.
طُرق بابه لا بد أن أبيه أراد بعض السكينة بعيدًا عن زوجته عن طريق

مجادلته فجرًا، لم يكن أبيه بل زوجته وقد ارتدت مئزرًا ثقيل من أعلى الأحمر الكاشف وتقول معاتبة:

-ينفع يا حسام أربعه الفجر؟

-معلش يا ماما آخر مره.

-والخمره برضه آخر مرة زي ما قولت قبل كده.

-أصلي كنت في حفله وشربت حاجه بسيطة.

حدقت بعيناه الحمراوتين لتكذب إدعائه ثم قالت:

-فين آسر؟

نقل لها حال أخيه بلا مغالطات سوف تكتشفها بأي حال فعادت للحدة:

-كمان، طيب إنزل هاته براحه من غير ما حد يحس، تصبح على خير.

أمسى عليها فذهبت لتحويل انتباه أبيه عن ما يحدث وانتهت الليلة طيبة كما بدأت. باليوم التالي استيقظ أبيه متأخرًا عن عادته ولم يذكر سبب أو تأنيب لِما حدث أمس. شيئا يدعو للحيرة ، فمنذ عادت زوجة أبيه للمنزل مكثت بغرفتها ابنتها لشهور عديدة وليس بغرفة زوجها كما جرى العرف، لا تربطهما أي علاقة بخلاف توبيخ أبيه لها المستمر والذي تتقبله بكل هدوء وبلا تعقيب ومرة واحدة لباس نسائي فاضح وسهرة لأطراف الصباح مع جو؛ لا بد أن ترسبات الطلاق بنفس الزوجين لم تتنصل إلا الليلة، فكما يردد مالك دائمًا أن ليلة مولده ليلة عيد.

صعبت على نفسه أن يقول لقاتلته أمه، أمي بل وحسب أنه سيق إلى حجيم آخر؛ جحيم زوجة الأب ولكن تفاجأ بأم بديلة تفوقت على الأم الحقيقية التى انشغلت بالكيد وأهملت أبنائها وبالنهاية ذهبت وتركتهم لدروب عسرة.

عملت فدوى على راحته وراحة أخيه، سهرت معه في ليالي المذاكرة الطويلة

والمرض، أعادت أخيه لمساره الصحيح بالدراسة حتى استطاع الإلتحاق بأكاديمية الشرطة، تغاضت عن لهجة آسر الحادة المتهكمة من كل فعل يصدر منها أو من ابنتها فحفيدات الإتربي باشا ليلًا نهار بكامل زينتهن وكأنهما مدعوتين لحفل راقص لا يغادر المنزل وذلك أنزل الريبة بقلبه وحينها نقل ريبته لأبيه ليقوّم نسائه ويعدل من سلوكهن إنما لما سأل أبيه متبرمًا عن السبب الذي يجعل فتاة لم تتعدي الثانية عشر من عمرها بكامل زينتها ومساحيقها التجميلية أجابه بأن أمها تعدها لتكون امرأة جميلة ترضي زوجها مستقبلًا، كما أن العطور والمساحيق والملابس الجميلة تبدل من مزاجية النساء للأبهج دائمًا ولذلك أمه رحمها الله كانت عكرة المزاج على الدوام. ضحك حسام حينها وشاركه أبيه حتى قال:

- انت كبرت دلوقتي يا حسام وبقيت راجل وفاهم الفرق بين ست بجد وست عقبال ما تفرج.

بين ضحكات حسام التي تزايدت قال:

-والله أمي كانت طيبة.

-طيبه يا سيدي وست الستات ما قولناش حاجة بس انت – صمت أبيه لبرهة ثم أردف بخجل. . أكيد فاهمني يعني ما إنت وسخ والبطال بقه دمك.

-فاهم يا بابا.

ومن حينها بات هو الآخر من يشتري لجميلات البيت العطور والفساتين المبهجة من كل سفرة ليتألقن ولكن بالمنزل. دام الهدوء في البيت الجديد إلا من بعض المنغصات كان مسببها آسر وانغلاقه الدمياطي المنشأ الذي أدى لصفع الصغيرة بمرة لمجرد إنها دخلت غرفته لتصفح الإنترنت لأنه أصر أن لا يكون لفتاة إنترنت خاص بها. لم يحدثها لم يعاتبها حتى وصفعها على وجهها مباشرة فسارعت إلى

أخيها الاكبر للشكوى وليس لأمها، لم يتحمل بكاء الصغيرة وذهب إليه وتشاجرا فجاءت فدوى لتحتوي شزرات الشجار وفضت النزاع وقالت لا شجار بين إخوة تحت أى بند وطلبت من الصغيرة ألا تخبر أباها بما حدث وامتثلت الصغيرة فكافأها بإنترنت خاص بها رغمًا عن أنف كل دمياطي. كذلك هنا لها معزة خاصة بقلبه ويشعر بالأسى حيالها فهي مريضة سكري وتعاني كذلك من مرض نفسي مميت يدعي متلازة إيذاء النفس حيث تجرح نفسها بأجسام حادة حتى ينزح عن جسدها الدماء كلما رأت شيء لا يرضيها أو يثير حنقها و أبرز تلك الأشياء عراك والديها الدائم.

-قوم يا بني إنت ميت، قوم بقه.

ثم الدغدغة التى أيقظته رغمًا عنه فإعتدل ونظر للصغيرة المزعجة وقال:

-عايزه إيه؟

مالت لأذنه هامسة:

-ميرا بترن عليك من الصبح.

انتفض عن السرير ونظر لمنبه غرفته وجد أن الساعة تجاوزت الرابعة والربع ولديه موعد بالثالثة. سارع لخزانته وأخرج ملابسه وشرع بارتدائها بينما يقول:

-أبوكي فين؟

-خرج مع ماما، ما تاخدني معاك؟

-خدك عريس وريحني منك، هاتي الفلوس إللي معاكي.

صاحت به:

-يووووه بقه إنت ما بترجعش اللي عليك.

-هرّجع والله روحي ياللا.

ضربت يدها بجيب بيجامتها بتملل وأخرجت النقود وناولتها له بينما تقول:

-لما تجوز ميرا، خلي كريم يطلق الست الرخمه دي و يجوزني.
-أه منك يا خررابة البيوت، ما ينفعش يا نوننا كريم صغير عليكي شوفي حد قدك.
أكمل ارتداء ملابسه ثم أردف:
-ما تخرجيش لوحدك مع شيري أنا لما أرجع هفسحكوا.
خرجت وتركته يسكنها الغضب والدليل القاطع تلفظها بـ - أوف بقه - بوجهه.
تريد التزوج من رجل يكبرها بعشرون عام ومتزوج والتنزه مع صديقاتها الاتي أصبحن فتيات متكملات البلوغ قبلها بمفردهن ليتثنى لكل مراهق بالطريق مشاكستهن، أين ذهبت أحلام الفتيات الوردية المصاص والشيكولاتة ودراجة حمراء مزينة بالأشرطة لا تستطيع ركوبها حتى الآن. ماذا عن الجميلة ببلكون فيلتها تنظر له بتوعد فأشار لها بلقاء في التو لتهدئ. اتخذ طريقه إليها وما أصعب طرقها بالبداية مصادفات لم تؤدي لنتيجة حقيقية فاضطر للإستعانة بالصغيرة، وهى من مهددت الطرق الوعرة للجميلة الغاضبة بسيارتها البورش.
ركب بجانبها وقال:
-راحت عليَّ نومه.
نظرت له والغضب بعيونها الخضراء وقالت:
-أكيد، راجع وش الصبح، بدِّل.
ترى سهرت الليل في انتظار عودته أم نقلت لها الصغيرة مساره الخاطئ ولكن عند عودته تكون الصغيرة نائمة والجميلة ساهرة ببلكون غرفتها. ترجل من السيارة وتوجه للجانب الآخر ليتولى القيادة عن الجميلة الساهرة وانطلق للرحلة اليوم. ما إن إنتزع رقم محمولها أمست الليالي أشد بهاءًا فصوتها الغنّاء يسحر سامعه الوحيد، شكواها بالحياة بسيطة وحيدة بدورها منذ ماتت أمها

أما أبيها وأخيها شاغلهما الشاغل العمل الذي بأغلب الأحيان يكون خارج البلاد. ليس لها أصدقاء غيره حتى الآن ولن يكون فكل من يراها طامع بجمال يأسر العيون ومال لا حصر له. كل ما استطاع التكفل به رحلات للواقع المصري الذي لا تعرف عنه الجميلة الكثير لتملأ فراغها وتضحك كما لم تضحك من قبل. اليوم رحلتهما لحي الحسين بعيونها الحزينة بعض الدهشة لتشابه الحى بآخر رأته بجنوب لبنان إنما تهدم إثر الهجمات الإرهابية الأخيرة.

أكملا طريقهما بخان الخليلي لتفقد باقي الشواهد الأثرية فسألته عن الفيشاوي بعدما سمعت الاسم يتردد بين زملائها فقادها إليه. ومن أجل صداقة الديب المثمرة سارع إليه النادل ورحب به بحفاوة شديدة تعجبت لها الشامية إنما لم تتعجب كثيرا بل وإستوطنت وطلبت من النادل – تفاحة وشاي بالنعناع – مما جعل النادل يصيح للتلبية – أرجلتين وكاستين شاى بالنعناع وأيد ع الديب. هذا ما ينقصه التجريس من النادل.

-شكلك مضياقك؟

بالطبع حانق ولكن قال مغايرًا:

-لا أبدًا، بس الشيشا مضرة جدًا والشاي برضه وعيب أصلًا.

عبس وجهها الرائق من تدخله فيما لا يملك وإن كانت تعي ما يعانيه وبرغم من ذلك تزيد من أعبائه بتجاهلها المستمر لمشاعره الناضحة. حاول التماسك وأرخى ملامحه الغاضبة وقال:

-انت حره أنا بنصحك، انتي زي هنا بالنسبالي.

أومأت باستحسان لم يرقى لتفهم وراحت تداعب جديلتها الشقراء على كتفها الأيسر حتى أتى النادل بالنارجيلة وكاسات الشاى، تناولت الجميلة العليمة بالنارجيلة اللاي من النادل ووضعته على شفاها المكنتزة بالرحيق، وسحبت

أنفاس طويلة المدى عابرة للقارات ثم زفرتها للخارج ليضطرم حريق قلبه أكثر فأكثر وقبل حسابات العقل للتروي سحب اللاي عن شفاها بعصبية قد لا تحمد عقباها وقال بتجوس:

-ميرا عايز أقولك إني، ميرا أنا.

أجابت تعلثمه:

-أنا مطلقه.

حدجها بتعجب انتظرته فقد رقبت بهدوء قسماته التي انكمشت وبسطت لعشرات المرات من وقع الصدمة غير المتوقعة بالمرة، بالهدوء ذاته من ناحيتها سحبت اللاي من يده مجددًا وعادت لتدخين نارجيلتها على مهل فقد ضربته الصدمة بكل هول كما أرادت وكما انتظرت إنما نطقها قلبه دون عقله:

-أنا بحبك.

أجابته ببرود تلفظ أدخنتها بوجهه:

-بس أنا مقدرش أحبك، على الأقل الحب اللي شايفاه في عنيك

- ليه يا ميرا؟

لأنها لن تكوت عشيقه وتعي جيدًا أنه لن يتزوج بمن مثلها، تزوجت من قبل، تكبره بسنوات عديدة وبالنهاية قصة مفزعة تجعل من عائلتهما ألد الأعداء، لذلك أخته دائمًا تهمس اسمها حتى بغير وجود الوالدين وترسم خطيبها بالخفاء من بعد العلن وانتهت مرة واحدة كل المعاملات المادية بين أعمال جده وشركات الدويري.

-حتى لو لسه ما حبتينش محبش حبيبتى تشرب شيشا.

قلتها للجميلة برعونة وبلا تحسب لعواقب وحينها ضحكت وتركت النارجيلة بملأ إرادتها إنما تجاسرت الحبيبة ومدت يدها لكوب الشاي ولكن كان لها

بالمرصاد:

-ولا شاى من هنا ورايح مش هتشربى غير توت.

-التوت، عصير فدوى هانم، ماشي حسام.

بعيونها الإجابة وتبخل أم الخوف ألزمها الكتمان حتى يوم لا خوف به وإلزام. البداية تأتي صحيحة عبر التعارف الواجب لباقي عائلتها ولم يتبقى لها مخلوق غير أخيها، لذلك انتظر عودة أخيها من الخارج واصطدم به بدوره وتم التعارف وتمنى أن يكونا صديقين وحدث ما تمنى فأخيها وحيد بدوره فأغلب رفقائه بالخارج وباقي الرفقة ليست رفقة في الواقع فما يربطه بأي مخلوق هو نشاطات العمل والمال التى لا تستلزم صداقة. وكما تمنى تسحب الحب على مهل وجاءت شروط الحبيب، التوقف عن ملابس الجميلات الملفتة وتلزم الجينز إلى أن تلتزم بالحجاب فهي مسلمة لأبيها وإن كانت أمها مسيحية، هذا الشعر الأشقر البراق لا يسدل إلا برفقته هذه العيون الفذقية الامعة صنعت لها نظارات طبية وشمسية تخفي هذا البريق الأخاذ، الدراسة لا بأس بها ولكن بكل خميس يذهب إلى جامعتها الأمريكية المنشأ والصنع ليُنبه الجميع أن الجميلة معه وله بلا منازع وعيونهم المحدقة تلك تلزم أحذيتهم المكلفة التى لا يستطيع ارتدائها إلا ديب.

الديب نائم بأول محاضرة والمعلم يناديه ولا منادي. ولأنه صديقه الأقرب نكزه بكتفه فإستفاق ووقف منتبهًا وقال:

-أفندم؟

سأل المعلم مالك:

-كنا بنقول إيه؟

أجابه بريبة:

-أنا ماقولتش حاجه.
قال المعلم بحدة:
-أنا كنت بقول إيه يا طالب؟
-والنعمه يا فندم كانت على لسانى بس نسيت.
-نسيت ولا كنت نايم، إنت ايه يا بنى اللى دخلك جويه ما كنت إشتغلت مع أبوك أضمن؟!
-عشان أشوف حضرتك كل يوم أصلك مثلى الأعلى.
-و كنت ساهران إمبارح ليه، أأأأه، أكيد ماما أخرت العشا مع انى خليتها تروح بدرى، أكيد كان وراها مصلحه تانيه.
ضحك الطلاب وهو معهم فأردف المعلم بجدية:
-أنا مش فاهم إزاى واحد حمار زيك من أوائل الكليه ركز شويه يا مالك لو عايز تتخرج.
-تحت أمرك يا فندم.
-إتنيل أقعد.
وبحمد الله لم ينهي المعلم المحاضرة لانه قطع استرساله مثلما يفعل أبيه مع أي شغب يواجهه بالمحاضرات لو احتسب ما يفعله الطلاب المساكين شغب. انتهت المحاضرة وخرج المعلم فتفاجأ حسام بضربة يد أعادت هيكلت أحشائه من معدته لحلقه مما جعل الألم يتموج بقفصه الصدري ومحدثها يقول بعصبية:
-إنت صاحبي يا أخي تضحك عليَّ زى بقيت الزباله!
تقدم منهما أمجد وقال بحدة:
-إكلم على قدك يا اسمك إيه.
-إسمي الديب يا قطه وأتكلم على قد ربنا ما أداني وأخرك هاته.

مناوشات معتادة بين الزملاء رغم الصداقة التي تربطهما إنما كلاهما مبتلى بمزاج صباحي سيء بعد سهرة أمس التي امتدت لأطراف الصباح ويتوقا لعراك داخل المدرج ليتم حبس كلاهما سويًا بالإجازة الأسبوعية القادمة إن لم ينتهي المطاف بأحدهما بمشفى الكلية، إصر ذلك اضطر حسام لسحب مالك خارج المدرج حيث أمجد أصلب رأسًا ولا يترك جدال أبدًا. تمشيا بالممر حتى المدرج الآخر للمحاضرة التالية فقال مالك بحنق:

-أنا عايزك تشوفلي حل فى العميد مدحت مش كل ما يشوفنى يجيب سيرة أمى.

- إمشى عدل وهو ينساك.

-هو أنا فتحت بُقى؟!

-انت كنت نايم يا جدع كنت عَايزُه يعمل ايه ! ده لو أبويا كان علقك خميس وجمعه.

-مش كنت سهران إمبارح وإنت معايا.

-وإفرض ما أنا صاحى أهوه إشمعنى إنت؟

نظر له مالك بتعجب وقال متسائلًا:

-أه صح إنت فايق إزاى كده؟!

مرفهه الزمالك العتيد ماذا يعرف عن الحياة غير النساء والخمر أما هو عمل منذ الرابعة عشر ومررت عليه أيام بلا نوم ليتحصل على راتبه والمكافآت من عمه الأكبر إنما أجاب مرفهه الزمالك:

-ده سر المهنه أنا واخد على كده، إنت اللى عيل.

قال مالك بابتئاس:

- ما تشوفيلى حد يتوسطلي عند العميد مدحت عشان يحل عنى؟

- و تشوف ليه حد غريب مش أمك بتروحله وصيها هى.
نظر له مالك بغيظ لثوان انتهت لما حمله بين ذراعيها لأعلى إرتفاع ممكن ومن ثم هم بإلقائه أرضًا من على مسافة مائتان سنتيمر؛ قامة مالك الفارعة. فقال حسام متوسلًا رحمته:
-لا يا طويل لو رمتني هكسر الله يخرب بيتك، أمى أنا اللي بتروحله.
ألقاه من بين يديه نترًا وقال:
-خلاص وصى أمك أنت بقى.
-يا إبنى الراجل بيحبك ده دايمًا يحكى عنك للدفع الجديده ويقول مالك ده أنا اللى عملته راجل ، كان داخل مَرَه و أنا خليته راجل ومن أوائل الكليه ركز إنت بس و هو يسيبك فى حالك.
يا لها من كلمات ملهمة تشعره بالفخر والصبر والسلوان على ما ابتلى جزاء بر الوالدين كما يردد دائمًا سبب انتسابه للكلية الجوية ألا إنه نظر لحسام بضيق وقال:
- مَرَه ذوق منك ومنه ومنه لله اللي كان السبب، كان يوم إسود يوم ما دخلت جوية.
كان أقرب لضعف ووهن النساء بالفعل إلى أن اشتد عوده وصلحت أحواله بعدما انتظم مثل باقي زملائه لكن من يعترف بحق أو فضل. أنهوا المحاضرات وهناك ساعة باقية تكون خاصة بالطالب، له بها مطلق الحرية لاختيار نشاطه والديب لا يهدر وقت لإصقال عضلاته البارزة منذ رآه للمرة الأولى لذلك ذهبوا لقاعة الألعاب الرياضية لمزيدًا من الإصقال وكأن التدريبات اليومية التي يقوم بها طلاب الكلية لا تكفي ولكن ذلك ما يرجحه الديب لأن النساء تنجذب دائمًا للأكبر، للأطول، للأضخم ونهاية للأكثر ثراءًا كما الديب تمامًا.

-هتلعب إيه؟
كان الديب يتسائل فأجابه حسام:
-رِجل.
-انا هعلب رجل وضهر، سحر، خيال مع بعض.
-خف على نفسك خطر الرجل مع الضهر.
-وأضيع صحتى فى إيه؟
بدء التمرين لحسام ثلاث دورات من خمسة عشر تمرين أما مالك خمسة دورات، راقبه حسام متحيرًا من قدرته العجيبة على التحمل فمالك لا يكل أو يمل أو يمرض وإذ حدثت المعجزة ومرض يمرض لساعات قليلة وينام ليلته ويصحوا أفضل مما كان عليه، أقوى من رأى لكن أقلهم حيلة فعصبيته الشديدة تذهب عقله ويسقط أسرع من مثيله السوي القوى على حلبة المصارعة إنما للحق لا يسقط إلا بعد تأكده من تهشيم عظمة أنف زميله لتكون تذكارًا جديدًا من التذكارات التي يجمعها من أجساد زملائه لمجرد إذلالهم فيما بعد.
توقف الديب لالتقاط أنفاسه ومسح زخات العرق المتصبة على كامل جسده بينما يقول:
-خطيبتى عامله ايه؟
-خطيبتك مين، إنت خطبت؟
-إختك، إنت نسيت؟
-ماليش إخوات بنات أخويا الوحيد آسر.
-هى اسمها إيه؟
-آسر.
عاد مالك لتمرن ثم قال:

-ماشى براحتك، أنا ممكن أخطفها وإجوزها بس عامل حساب للعشره.
ضحك حسام ثم قال بمرح:
-تمام خلّص الخميس بدرى وروحلها الحضانه إخطفها، أصل أنا اللى بجبيها كل خميس، بس أوعى تنسى أمك تعملها الرضعة
قال مالك مستبشرًا:
-يا صلاة النبى، فى الحضانه كويس جدًا يعنى على ما أرجع من البعثه تكون إعدادى أخطبها على طول.
لم يكن مالك مستشبرا بل متهكمًا فأجابه حسام:
-بطَّل تتكلم فى الموضوع ده يا مالك مفيش هزار فى البيوت.
-والله ما بهزر أنا عايز أخطبها فعلًا و مش عارف إنت مش راضى ليه؟
-صغيريه يا مالك فى كي جي وإنت مستعجل.
-كداب، الواد عادل صبي القهوة قالي إنك بتخرج مرة واحدة مع إتنين شقر واحدة لبناية والتانية مصرية وآسر أشقر يعني الحلوة التانية تبقى أختك، حد في الدنيا يخرج أخته مع صاحبته مش خايف تقلد؟
-تقلد إيه أنا هجوز ميرا.
-برضه غلط أنا حريمي ما يروحوش في القهاوي.
-ده بعيد عن شنبك لقّط بعيد ولا روح للبت اللي فضحتها ولمها تاخد ثوابها.
أجاب مالك بسقم قلة حيلته أمام أبيه فقط:
-أنا لو وقفت على راسي أبويا مش هيجوزهإلى شافها فى شقة الزمالك ودماغه قديمه ومش مصدق إنى نمبر وان.
-يعنى هتسيبها بجد؟
زاد مالك من أثقال جهاز الساقين ثم جلس عليه يقول وقد انتفخت أوداجه

لحمل الوزن الجديد:
-أنا ولا هسيب ولا همسك سيبقى الحال على ما هو عليه وقولتها أى وقت تحب تشوف حالها تحت أمرها تقبض تخيط وترجع أحسن من الأول، بس هى بتحبنى ومصره تكمل، المهم هتاخدلي ميعاد من أبوك إمتى؟
وكان الصمت أبلغ جواب للصديق الحقير معدوم القلب والأخلاق، ما هي تلك كانت عذراء وهو من أفقدها عذريتها، أحبته الفتاة لسنوات بلا قيد أو شرط ولم تطلب غير إصلاح ما تلطخ، لا زال على علاقته بها وبآخريات والآن يريد خطبة أخرى إرضاءًا لرغبة أبيه الآمل بتزويجه من فتاة من عائلة عريقة أصولية مثل عائلة اللواء جلال أو أيًا من الأخيار، أما عن ما كسر يلقوه من وراء ظهرهم وإن إبتغوا نظرة للوراء تكن نظرة خاطفة مع حفنة من النقود؛ لكلا عقله كما يرد أبيه بسقم عند المصائب.
انتهى التمرين ويليه نصف ساعة للعشاء والاستحمام ثم إلى العنابر رأسًا للنوم ولكن لأمجد ثأرًا مبيت لدى الديب ويريده اليوم لذلك تقرر نصب طاولة البوكر. جلس ثلاثتهم إلى الطاولة ثم صاح مالك بطلب خادماه مازن ورأفت فقال حسام:
-زمانهم ناموا يا إبني سيبهم حرام.
-أومال مين اللي هيخدم على القعده إنت؟
صمت حسام فوجهة نظر الديب في محلها كذلك هما خادميه وله مطلق الحرية لتقرير مصيريهما. تقليد سخيف لم يتبعه حسام؛ طلاب السنة النهائية يتخذوا من الطلاب المستجدين خدام لهم مقابل شرح ما صعب عليهم من دروس أو إشراكهم في أنشطة تثقل مهاراتهم لتيهيأهم للسنوات القادمة. أغلب الطلاب بالسنة الأولى والثانية يعرفهم تمام المعرفة فمنهم من مسقط رأسه بدمياط

ومنهم أبيه صديقًا لأبيه مثل رأفت ومازن المسكينين والعديد من المساكين المسخهرون لخدمة طلاب السنة النهائية، هو الوحيد تقريبًا الذي لم يقوى على إستغلاهم ونشر مجهوده بينهم بلا مقابل والأجر على الله.

جائا خادمي الديب يتمموا على طلبات سيدهما متثابين فقال الديب:

-إعمل إتنين شاى يا مازن و هات الآيش.

سأله مازن بريبة:

-عايز الآيش في إيه؟

إفتتح مالك الورق للعب ثم قال:

-هنسمّع القوانين.

-ما لحقتش أحفظهم يا مالك بيه.

-سمّع اللي حفظته بترتيب الكتاب ومتنساش الآيش.

نظر مازن لحسام مستجيرًا به فقال الثاني:

-ما تسمعوا كده من غير آيش الجو ساقعه.

قبل مالك شفاعته فذهب مازن مسرعًا لعمل الشاى وحينها نظر أمجد لمالك مستنكرًا وقال:

-وأنا؟

-ما تبعت الواد بتاعك أنا بحافظ على ولادي. . ثم تحول مالك لرأفت وأردف. . هات كريم المساج و تعالالي.

وبعد نظرة كراهية شديدة من أمجد لمالك سارع رأفت بدوره لتنفيذ أمر سيده الذي بدى أخيرًا من البشر وأرهقه التمرن حتى أنه تأوهه ألمًا بينما يقوم بتوزيع ورق اللعب عليه وعلى أمجد.

جاء الشاى لكلاهما فتذوق الديب كوبه ثم قال:

-سمع قوانين الديناميكا يا ميزو.
ما إن بدأ مازن بإلقاء أول قانون حتى صاح أمجد:
-إحنا في كُتّاب؟! مش عارف أركز.
قال مالك بهدوء:
-مصلحة الطالب أولًا وبعدين إنت بتعمل عملية قلب مفتوح، مش عجبك قوم روّقنا.
صمت أمجد وأكمل لعب بين الصخب في امتعاض لم يأبى مالك له، مازن يلقي قانون بالفيزياء ثم يتبعه رأفت بآخر حتى أتى الشاى الثالث لأمجد من خادمه المطيع عمرو الذي انتصب واقفًا بجانب أمجد في انتظار أمرًا آخر فجاء أمرًا منكرَ اتهز له وجدان حسام، صفعة نزلت على قفا رأفت لأنه أخطأ بقانون مما جعله يقول بينما يمسح على قفاه المصفوع بتوجع:
-خف إيدك يا مالك هتعمي.
قال مالك بقلب أبًا رحوم:
-عشان تعرف إن قلبي عليكوا، مش كان الآيش أرحم؟
ظهرت الدموع بعيون رأفت من قوة الضربة فقال حسام أسفًا على حاله:
-كفايه يا مالك خليهم يروحوا يناموا كان عندهم تدريب إضافي الصبح وزمانهم هلكانين.
لم يبالي مالك بكلماته مجددًا وعاد للعب حتى انتهت الدورة الأولى لصالحه فصاح جزلًا:
-تخسروا إيديكوا على السُبيب.
صاح أمجد بعصبية:
-إنت هتخم يا طبال؟

-إنت كل مره تخسر تعمل الحبتين دول، طلّع الفلوس بالأدب.
نهض أمجد بعصبية كادت أن تطيح بالطاولة وقال:
- نلعب تاني وأنا هفوقلك المره دى.
-فلوسك الأول و إلا مفيش لعب وبرضه هاخد فلوسي.
قال حسام ملول:
-إدفع يا امجد.
لم يستمع أمجد لنصحه بل صاح:
-ابن الحراميه ده ما يتضحكش عليَّ.
أجاب مالك بهدوء:
- أهو إنت يا وحش، إنت ما تعرفش إن الأباحه بتلف و ترجع لخالتي أم أمجد.
تكالبت على أمجد الخسارة والآن الإهانة وحينها أمسك بتيشرت مالك بعدائية وكاد أن يلكمه ولكن أمسك حسام بقبضته قبل أن تلتصق بوجه غريمه وقال:
-انت اللي غلطان، أقعد بقه فى ليلتك دى.
نزع أمجد قبضته من قبضة حسام وقال بحدة:
-ده حرامي، خمّام.
وبعد قصيد من السباب الذي كاد أن يؤدي لعراكً بالأيدي بين الزميلين العزيزين لولا تدخل باقي الزملاء المتخوفين من الجزائات التي قد تسقط علي الجميع إن وصل صوت العراك للضابط النوبتجتي لتلك الليلة، هدأ الخصمين واستأنفا اللعب المتقلقل. أحمقين وهذا أقل ما يصفهما من صفات فقد عادا للعب الورق مرة أخرى بكل أريحية، السخفين لا يتوقفان عن العراك لأتفه الأسباب وأسخفها وسبحان الله المانع المانح بلحظة أخرى يتفقا على آخر ويذيقاه الويلات فطالما شكلا ثنائي غير جامع.

أخرج أمجد النقود من جيبه بحذر شديد وناولها للديب الذي قال:
-سمعتوا شريط حبيبي الجديد عامله فيه بس تلات أغاني.
لم يحدث على الإطلاق فالمطرب الفاشل فاشل بحق، حيث يمتلك حنجرة تتربع على عرش النعاق العربي وإن كان عازف لا بأس به كذلك ليس في وسعه تأليف المقطوعات الموسيقية وعندما عرض على صديقه المطرب الشهير المساعدة في ألبومه الجديد سايره ألا إنه لم يتلف لإرشادته أبدًا.
-إنت هتنخع، عمرو مصطفى إللي عامله كله أدامنا.
قالها أمجد مستنكرًا بشدة فقد كان ثالثهما لما إجتمعوا بالمطرب الشاب بغية انتزاع توقيعه لمعشوقته هنا، رحب بهم المطرب بحفاوة لأنهما من صحبة الديب وجعلهم بكل الفخر ينضموا لمجلس الإعداد لألبومه القادم واستمعوا للألحان الحالمة وصوت المطرب الشجي ونهاية اعتراضات مالك على كل شيء.
قال مالك مؤكدا كذباته:
-ساعدته يعني، ما يعرفوش يعملوا حاجه من غيري، لولا القدر الأسود كان زمان حماقي بيغني ورايا. . ثم أشدى بصوته المزعج. . أحلي حاجه فيكي. . حتى المقطع الثاني الذي قاطعه أمجد لما ألقى ورق اللعب في الهواء بسقم وقال:
-هنام، إتخرس الله يخرب بيت أم حنجرتك.

# { ميرا الدويري }

أنه الحب أنه الحياة أنه الدافع وراء الحياة، أم هو الشفق الذي هزم الظلام، ليس بخنجرًا نفيس وأرصدة بنكية أو نفطية إنما بكبسة زر سافرت من هاتفه لهاتفها، هى له كنوز الشرق وحكم الغرب، بعيونه نقية بريئة كأطواق الياسمين لها القدرة على الإزهار بعيدًا عن نسيم قد يجرحها. ألعاب لم يتقنها مارسها عليها وإدعت تصديقًا، صديقًا كان أو حبيبًا أصبح لم يعد يهم فكلاهما إلى جانبها. لا تستطيع، لا تريد، لا تتمنى صديقًا أو حبيب فاستحلفها البقاء كما تريد. فاجأهما الحب أم داهمها فكل ما يراه بالحياة؛ حرب، خسارة وربح ومعها كل طرق لا تؤدي إلا للخسارة إلا إنه رآها ربح لأن أنقى القلوب لا تدنسها أطماع لم تنبت بنفسها بل غرست بها عنوة. زواجها نكبة وطلاقها رحمة وعودتها معجزة وافقها على ذلك فقد انتظر معجزته منذ عقود وهاهي الآن أمامه لا ينقصها إلا تصديق العالمين عليها، لا يعرف أن العالمين إن علموا لشقوا بينهما قارات وبحور هو على أتم الاستعداد لخوضها ليلقاها بنهاية الطريق.
كانت جارية حتى أُعتقت على بوابات صدره فأيقنت أن الحرية بداخلها ساكنة لا ينقصها إلا ثورة على كل من طغى. هى القمر ترك السماء واستوطن كتفه فباتت النجوم تحسده لا يدري أنه الشمس أنه الغذاء لكل ضوء وهجاج.
علمها الحب علمها أن جمالها رقراق زاده جمالًا، جمالًا يكفي كل النساء وتمنى أن تكون امرأة عادية في مقدوره إخفاء لهاثه المحموم كلما التقاها. دعاها لترك طبقة يحسبها رقي متخلية عن عطورها وملابسها الفرنسية وسيارتها الأمريكية لتشاركه غابات الأرز بدمياطه وبرزخ جمع البحر يلتقيان حيث الصباح الفتاح

بلا صخب المدن والضجيج. ليس لديه باع بالمصممين ويكره الشوكة والسكين وطعامه هو الحنين وكل ما تملك هو انصياع الجنين لحبلًا سري أمده بالطمئنين.
إلى أين حبيبي ألم تختار وجهة بعد فيردد أن وجهته معتمة لا ينيرها إلا حطب حطام عائلة هى كل ما يملك إنما من زرع حصد ومن التقى أحب ومن سبح طفى ومن تفائل بالخير وجده ومن تنبأ بشر لم يمنعه عنه إلا القدير.
عادت للصفوف البشر لما وجدها بين الأنقاض، أنقاض عاشت داخلها حتى سهوا عنها وبنوا من فوقها حصونهم عازفون راقصون فارحون بإنجازهم الصديم لما وجدوا من قبرها منفعة. أبيها أراد العديد من الأولاد وأمها لم تستطيع إنجاب غير ولد واحد وهى. أخ عاشت بظله المعتم لسنوات بـبيت يسكنه أشباح الماضي وثلاثتهما، كريم شارد بين تعليمات الأب وحزن الأم وصمت الأخت الدائم، فأي حديث قد يربطهما.
منذ سنوات بعيدة نزلت من سيارتها الخاصة التى تقلها لمدرستها الثانوية ودلفت لمنزل الموتى، أمها بحزنها الذي تفاقم اليوم وأبيها سعيد بإنجاز ما، عندما رآها تهلل وجهه لأول مرة فقد علمت من كريم لما كانوا أطفال ويكيدون بعضهم البعض أن أبيها لم يريدها لأنها من تسببت بمرض أمها لأن أمها أثناء ولادتها انتابها نزيفًا دموي شديد فنقل لها على وجه السرعة دماءٍ ملوثة بالإيذاء الدائم ولذلك تمنى أبيه أن يتخلص من الإيذاء المتمثل في فتاة له لأنه لا يحب الفتيات أبناء ويحبهن عشيقات فقط والسنوات صدقت على كلمات كريم.
يبشرها أبيها ببشرة سارة فرصة لا تأتي بالعمر إلا مرة واحدة فقد أتاها بعريس رجل أعمال شاب ملياردير، قاطعت وصفه المفصل:
-إنت وعدتني تتركني أنتسب لمعهد الفني بروما، نسيت.
-عريسك هيخليكي تلفي الدنيا ويمكن يفتحلك معهد لحسابك.

تم كل شيء بيسر وسرعة مدهشة زفاف أسطوري في قصر عجائبي ببيروت، زوج بعمر أبيها وحنانه المزيف جعل من جسدها منفضدة لسيجاره، كان حيوان سادي يجد بآلامها نشوته، بالنهار زوج مثالي حنون يسعد عروسه الصغيرة وعند الليل تتمثل به شياطين العالم السفلي أجمع ويجمع كل صنوف العذاب ليرى الصفاء حيث فكرته الشيطانية عن الجنس أن المرأة لا يظهر معدنها الأصيل إلا عند الألم الحقيقي. هربت مرة فأعادها أبيها لقصر زوجها آسفًا على تصرف الصغيرة المتهور ووعده بأنه لن يتكرر وللعجب لم يغضب زوجها وأهداها القصر الذي تسكن به وردد أمام أباها بلا حياء أن الصغيرة أكثر امرأة أرضته ولا يبغى غير رضائها ثم طلب من أبيها أن يسوي عقد الشراكة الجديد مع محاميه، كانت تلك هي مكافأة أبيها لما أعادها للحجيم طوعًا.

سمعت أن لكلًا درجات، للجنة درجات وللجحيم دركات وعند هذه المرة سكنت الدرك الأسفل وكلما تحملت كلما حصدت حتى حصدت الكثير فقررت الهرب مرة أخرى. لم تعود لأمها ليعيدها أبيها مرة أخرى للزوج المجنون وسافرت لنيويورك وبحثت عن أخيها حتى وجدته برفقة أخرى تشاركه السكن، تفاجأ بها بالطبع ثم طلب من صديقته الذهاب للتسوق ليختلي بصديقته من بيروت وليس أخته فذهبت بعيونها الشكوك. قالت مباشرة:

-بدي إياك تساعدني، معي مصاري كتير.

أجاب ملول:

-بعرف، لكن البابا من وراك وراح يردك لزوجك.

- ساعدني كريم مشان الله راح موت.

لم يبدي اهتمامًا فخلعت كنزتها ووقفت أمام أخيها نصف عارية لأول وآخر مرة، جعلته يشاهد ما حصدته بخمس سنوات برفقة سادي من عمر أبيها.

وضع يده على جبهته بسقم فقد تحسست عيناه من جراحي ثم زفر بضيق وقال:

-ألبسي اواعيكي، راح ساعدك.

وجاءت المساعدة عبر إخفائها عن العيون حتى يأس أبيها من البحث عنها والزوج طلقها ليتزوج بأخرى أما هى كرهت كل ما ربطها بالماضي لبنان، أبيها وأمها الضعيفة فقررت العودة للقاهرة لترى المخلوق الوحيد الذي يجعل من أبيها بشر. يتذلل لها يركع تحت قدميها وترده خائبًا بكل مرة وتعود لزوجها الفقير الذي يسكنها مسكن غير مكتمل الإنشاء ويقود سيارة متهالكة إنما يتذكر ذكرى ميلادها وزواجهما ويهاديها بالكتب الشعرية والنثرية لكاتبتها المفضلة غادة السمان وإن كان لا يفضل الأدب النسائي النحاب. السمان أصبحت المفضلة لها أيضا بعدما أعارتها فدوي كتبها لترفع من معنوياتها الحضيضية وتعلو بوعيها المغلق على ما عانته.

تركها منير وشأنها ولم يعد يلح عليها بأزواج أخرين بعد توصية من فدوى زادتها هى بأن أودعت ما حصدته من عِشرة السادي بشركته على هيئة أسهم لتصبح شريكة ومالكة قدرها وحبها وحبيبها.

شاب أسمر وسيم يحبها غير عابئ بما حصدته أو تملكه، يحصيا السنوات معًأ لتقترب النهاية السعيدة ضابط طيار وحبيبته، أقنعها بعدم الحاجة للدراسة أو العمل يكفيها انتظار حبيبها يومًا بعد يوم ليتغلب الشوق على قلبها كما قتل قلبه وأحياه. لم تبخل عليه بمعلومة عن ماضيها وحاضرها أبيها بلطجي عتيد ورجل أعمال مشبوه أمها راقصة معتزلة وهى كانت لآخر من قبله فجاءت أجابته مفاجئة:

- محدش بيختار أمه وأبوه، ميرا كانت إيه ما يمنيش اللي يهمني ميرا بقت إيه.

أجابته بقين:
- مع حسام.
ابتسم برضا وأمسك بيداها ثم قلبهما يمنى ويسرى وكأنه يراهما لأول مرة ثم اتخذ القرار لما بسط راحتها داخل راحته وقبلها بينما يقول:
-بحبك.
لم تبادله الحب فقد أسكتها الخوف ثم نطق عنها:
- بس انت ايه اللى يجبرك تكون مع واحده زيي؟
- اللى يجبرنى اكون مع واحده زى الملايكه زيك إني بحبك، مش انتي بس اللى عندك عقد أنا مليان فيونكات من كل لون، محدش كامل.
ملاكًا، يراها ملاك بعدما كانت ابنة غير مرغوب بوجودها ثم كلبة مطيعة إنما الآن أمست فتاة عادية لها حبيب يراها الأمل الذي يصبو إليه، يملك قلبًا صغير كسنوات عمره ويخشى عليها ومنها ومن جمالها الذي سلب عقله ويخشى أن يسلب عقول أخرين، كيف بعدما تنازلت عن كل جمال بدون حضوره الطاغي وارتدت ملابس قبيحة من اختياره، تركت سيارتها وركبت إلى جواره سيارة أبيه المتهالكة التي يسحباها أكثر مما يركباها، تأكل وجبة لا تكلفه أكثر من عشرة جنيهات وتلعق مثلجات بخمسة جنيهات ثم ينتهي مصروفه لليوم ويعودا للمنزل لمزيد من الأحاديث التي لا تنتهى، سنوات مراهقة ضلت منها وبحث لها عنها حتى أعادها لقلبها الممزق.
يريد لها السجن المشدد فهو يغار من نظرات من يحسبهم مدققين بجميلته، فلينظرون ألا يعلم إنها لا ترى إلا عيناه حتى عندما تنظر بالمرآة لا ترى إلا وجهه الباسم. عامًا بعد عام تنتظر نهاية القصة المأساوية لفتاة لا تليق بإبن اللواء جلال عبد المقصود صاحب الصيت الطيب الكريم، طالب الكلية الجوية

المتفوق، أمه ليست راقصة أو زوجة أبيه الحالية ولكن تسابقت السنوات ولا زالت بعيونه النظرة الحالمة ذاتها وأخته الصغيرة تترقب زفافهما لتصبح صديقتها معها بفيلتها والجيد لم تعد تسأل عن كريم فقد استيقظت أخيرًا من أحلام الطفولة وبات لها حلمٌ صغير مثلها يلوح لها من أسفل البلكون بالخفاء لما يزور والده والدها وهو برفقته ثم تنظر لها بسعادة منيرة وتشير لها بأن هذا هو المختار فتهنئها على خيارها الموفق.

الذكرى الثالثة لميلادها بين يديه ولم ترد منه مكالمة أو رسالة وحينئذ جابت الشكوك عقلها المسود من ماضي لا خلاص منه. ترى استيقظ أخيرًا من غفوته ووجد ما يناسبه أم أشغله عنها شاغل أكبر. الثلاثاء الأربعاء الخميس موعده ولم يأتي فأيقنت أنه وجد ما بحث عنه بعيدًا عن دروبها المعتمة. الجمعة رسالة - مستنيكي- ارتدت ملابسها على الفور ثم خلعتها مجددًا لتتخلى عن ذوقه المريع بالملابس ليجعلها بشعة للجميع حتى يرى الجمال وحيدًا ولكن اليوم مختلف وسوف تذيقه الويلات التي أذاقها لها بمرارة الانتظار. فستانٌ قصير ناعم أحمر اللون لأنه يحب الأحمر وقد أرخت شعرها الذهبي على ظهرها واكتسبت المزيد من السنتيمرات لما ارتدت حذاء عالي لتناطح قامتها قامته ويحترق قلبه كما احترق قلبها بلوعات الفراق. وثبت على درجات الفيلا ومنها للطريق العام بعيدًا عن صراع العائلات فهما حبيبين خفيان قصة حبهما سرية حتى معجزة من السماء.

وجدته تحرك بالسيارة للطريق العمومي ولم يلحظ الفستان بعد فركبت بجانبه في صمت يحمل العديد من الكلمات إلا أنه لم يرهف السمع لكلمة واحدة ولثم وجنتها بقبلة ثم قال:

-وحشتيني.

حدجته بإذراء ولم تبالي بوحشة وافتقاد هو من تسبب بهما فأردف ببرود:
- إتفلقي.
ثم انطلق بالسيارة ليومها الجديد. صمت لا نهائي لا أعذار ولا تبريرات عن سر غيابه بأهم الأيام إليه، هو من قال بمرة سابقة. شوراع قديمة، بنايات متقاربة بل تكاد أن تكون متلاصقة، سفارات مترفة لأكثر من دولة أجنبية، حراسات تجوب الشوارع، يبدو حيًا قائم بذاته إنما لا تذكر إنها مرت به من قبل. مررا على النيل ومجموعة من البنايات الممتدة على أطرافه حتى توقف وصف السيارة أمام إحدى البنايات وقال آمرًا:
- إنزلي.
- إحنا فين أصلًا؟
وبمزيدًا من البرود قال:
- إنزلي.
زفرت بضيق وترجلت من السيارة ترخي فستانها على ساقيها فالتفت ناحيتها وقال متهكمًا:
- هو كده طوِل يعني؟! يايلا همشيها إنهارده عشان عيد ميلادك.
لم تبالي بكلماته وانتظرت وجهة سحبها إليها سحبًا. كانت بناية جانبية لا تطل على النيل الذي مررت من جانبه، بوابة جسية عتيقة وليس زجاجية كسائر البنايات الأخرى، دلفا منها وحينها انتفض البواب الأسمر النحيف عن مقعده الرخامي المثبت بالحائط الرخامي بدوره كما سائر حوائط المدخل وحيى حسام بيه بحفاوة، يبدو أنه زائر عتيد، وكفاها انقياد له. توقفت أمام المصعد وقالت:
- إحنا رايحين فين؟
- ممكن تبطلي كلام.

- مش هتحرك قبل ما افهم.
- هخطفك، هغرغر بيكي، انتِي خايفه مني؟
- مش خايفه ياللا بينا.

صعدا سويًا حتى الطابق الرابع ثم شقة مفتاحها بحوزته ولم يصرح من قبل أنه يمتلك عقار، يدعوها لكابوس حسبته حلم السعادة الأبدي، الشقة ليست له ولصديق، سوف يقضيا بها يومهم المميز بلا منغصات، لم تصدق ما تراه لو يظنها ما يطلب الآن فيم انتظاره لثلاث سنوات من العفة المقنَعة، أهذا الحب أهذا الحلم أهذا التطهر الذي انتظرته، على انقيادها منذ علمت أن للحب مكان بهذا العالم الكاذب أكمل سحبها من رسغها لداخل الشقة المعتمة رغم النهار فالظلام أفضل لكل دنس.

اختفى بالظلام الدامس ولم تعد تشعر به إلى جانبها، هنية وأضيئت الشقة بالكامل مرة واحدة، مجرد شقة قديمة الطراز إنما يبدو عليها فخامة تسعينات القرن الماضي، أطقم مريحة للجلوس، صالون مذهب واحد مزهريات صينية وبورتيهات مقلدة تغزو الحوائط وبالنهاية سحبٌ حنون إجتذبها من تفحص باقي الشقة الخالية من رواد حتى المائدة ويافطة معلقة بين عمودين أسطوانين طبع عليها بالأحمر البراق - كل سنه وأنت طيبه يا ميرا. . تجوزيني؟

هربت الأفكار والشكوك لما رأت قالب الكيك بالفاكهة المفضل إليها وعصير التوت وبلاهة تملكتها جعلتها تقول:

- أنا مش فاهمه حاجه؟

نظر لليافطة ثم تحول لها متعجبًا وقال:

- أه إفتكرت، ثقافتك لبناني.

اتسعت ابتسامتها لتهكمه الذي لا ينتهي على منشأها ثم تحولت عن اليافطة

له وحينئذ جثى على ركبته اليمنى بصعوبة بينما يقول بتألم:
- تدريب الأسبوع اللي فات كسّحني إيدك معايا يا بنتي.
ناولته يدها ليستند عليها فأردف جثي ممسك بكلتا يداها:
- أنا بحبك يا ميرا تقبلي تجوزيني وتعيشي في فيلتنا المتواضعة وتركبي لادا وتسيبى البورش.
أومأت بالموافقة بسعادة مطلقة فهذا كل ما تتمناه بالحياة، أن ينتفض عن كل معرقل ويضمها إلى صدره بقوة أذابتها بين ضلوعه، ساكنة غلبها السهاد لسنوات بدونه، لم تعود إلى أن أطلقها وعانق ذراعه خصرها بينما يخرج ولاعته ليضيء الشمعة التى تحمل رقم ثلاث بالإنجليزية نسبة لذكرى ميلاد حبنا وقال:
-جبتها فاكهه زى ما بتحبي هتكليها كلها.
انتظر إجابة لم يجد فقد تاهت الكلمات أى تعبير بالعالم يصف سعادتها التى اكتملت لما تلمست شفاه جانب جبتها بقبلة حانية ومن ثم بدأ بإنشاد عيد ميلاد سعيد وحيدًا حتى توقف فجأة وقال:
- مش هتغني معايا؟
أسعد عيد ميلاد لها، امتلكت العالم لما أصبحت له، لما فقدت وجودها إلى وجوده لما توقف عن الغناء وأجلسها على رأس المائدة وهو إلى جانبها يقول:
- كل سنه وانتي طيبه و معايا، طبعا هتسالي على الهديه، هقولك القناعة كنز هندور عليه سوا، اليافطه والتورته خلصوا على المصروف واستلفت من مالك وهتموَّنى العربيه واحنا مروحين.
-انا بعشقك.
صمت لهنية ثم جمع كلماته التى بعثرتها عشقها وقال:
- انتِ عارفه ظروفي وعارفه مستوايا، مش هقدر ولا بعد مييت سنه أعيشك

فى نفس مستواكي والله أعلم هيكون رد فعل بابا إيه لما أفاتحه فى موضوعنا وعايزك تجهزي نفسك لكل الاحتمالات.

- إحتمالات ايه؟

- لو بابا ما وافقش مش هيكون عندنا مكان نعيش فيه ويمكن يقطع عني المصروف ونضطر نعيش على مرتب الجيش فقط يعني عيش حاف وخيش، موافقه؟

تحسست أناملها ملامحه القلقة وقالت:

-انا معايا فلوس كتير، بتاعتي مش بتاعت البابا.

- دى نقطه تانيه عايزك تفهميها، أنا مقدرش أخلي مراتي تصرف عليَّ معلش قديم بس مقدرش أكون غير كده، هتقدري تكملي؟

لا تستطيع إلا تنسم أنفاسه الدافئة، تحسس شفاه النحيلة التى احتوت شفتاها، الرسو على ساقيه ليضمها إليه وتشعر بنبض قلبه المتسارع، ترخي ثقلها عليه ليحملها لغابة الأحلام البعيدة المنال، ويلقي بها لنهر الحب ليشرب عبر كفيها، وجنتيها، نهديها حتى يهنأ، هذا هو التلامس الذي لم تشعر بلوعته الحارقة ولو لمرة بحياتها، الحرارة التى لم تنعم بها وعششت البرودة بثناياها إلا جانب الألم، العرق الخالص من عطور باهظة لم تستطع إخفاء رائحة الجثة المتفسحة التى عاشرتها لسنوات، دموع لم تستطع منعها أو إخفائها عنه لما شعرت برجفة تلف جسدها الضعيف أمام هذه الجسد الفتي الذي يعصف بها، ومن ثم آخر الحقائق التى أخفتها عنه ظهرت لعيناه التى لم تتنعم بقدر ما تألمت لحالها.

شرعت أنامله بتحسس حروق السجائر وضربات السياط بتحسب وكأنه يخشى إيلامها من أنامل كانت الدواء.

-طليقك اللي أذاكي؟

قالها بتأثر بالغ فأبعدت عيونها عن عيونه المتلهفة ولملمت شعراتها المتناثرة عن كتفه وقالت بهدوء القبور:

- أيوه.

قال متعجبًا:

-ده مش بني أدم، إيه المتعة في كده؟!

لم تستطع تأكيد أو إنكار ما قاله فقط نظرت إلى النافذة المغلقة بغرفة النوم لتهرب من حصار الشفقة بعيناه، نافذة كانت ملاذها لم تراها قبل ساعة أو ساعات منذ دخلتها محمولة على ذراعيه.

- كان بنى أدم غريب ده لو كان بنى أدم فعلًا، ما كنتش أول زوجه كان في قبلى كتير وفى منهم ماتوا لكن أنا إتكتبلي عمر جديد بعد كل مره. . صمتت فقد شعرت بالخجل بالجهر على مسامعه بما كانت تفعله قبله فتنهدت بعمق واستطردت:

- آخر مره هربت مقدرتش أستحمل الألم كريم خباني لحد ما يأس من رجوعي فطلقني.

عيونه يملأها التعاطف والأسى على حالها وليس الاشمئزاز الواجب لمن وقعت أسيرة زواج المادة ولكن قالت رغمًا عن ذلك:

- أنا أسفه.

-أسفه على إيه؟!

ضمها لصدره وأردف بحنانه:

- برضه بحبك.

# [ هنا جلال ]

عارفه أحلى حاجه فيكي إيه. . لا تعرف البعض يقولون عيونها الزرقاء، خطيبها الخائن كان يقول أن أفضل ما بها كل ما بها ثم تركها وسافر للخارج وتزوج من فتاة جميلة أحضرها معه لمصر هذه المرة. تبدو أجنبية رغم شعرها الأسود القصير المسترسل وبياضها المبهج وهذه الإغ بكل كلمة تصيح بها بوجه كريم، فرنسية بكل تأكيد لا تستطيع تعلم تلك الإغ؛ عليك اكتسابها. هذه المدعية لا تسعد كريم تتشاجر معه دائمًا، كريم لا يضحك أبدًا أو يبتسم أو حتى يبادلها التحية لما تلوح له عندما تلقاه ببلكون غرفته، فهو يدلف لغرفته مباشرة ويتركها عالقه بقصة حب لا تكتمل. إذًا. . خلاص بقت عاده تتقل وتتمادى. . وقد تتحمل من خطيبها كل شيء إلا أنه تزوج بأخرى وأنجب منها طفلين جميلين لا يشباه البتة وعليها الآن البحث من الجديد كما نصحتها أمها. تبدأ خطة البحث بمظهر مختلف يجدد توق الأنظار إليها وينبأ بنضوج فاتها وحيدة دونًا عن كل زميلاتها. نظرت للمرآة وجدت شعرها المجعد الكثيف يغطي كامل ملامحها وقد يغطي أيضا الفستان الرائع المعد من قبل طنط بشرى والدة صديقتها شيري وأعظم مصممة أزياء بمصر الآن. الحل الجذري؛ الكاريه فهو صرعة هذه السنة بقصات الشعر. أخرجت مقصًا من أحد أدراج تسريحتها وشرعت بقص خصلات شعرها من الأسفل إلى أن اهتدى لأكتافها. ابتسامة واسعة لهذا المظهر المبهج تلقتها من شفاها، كم كان شعرها فوضاوي غير مطوع إنما الآن تبدل الأمر، ترى هل هناك حلفاء قد يثنوا على هذا المظهر، بالطبع هناك أمها شعرها قصير منسق على الدوام ورغم ذلك أبقت شعر ابنتها بهذا الإهمال. ذهبت

للبحث عن والدتها حتى وجدتها بالمطبخ تساعد الخادمة بإعدادات الغداء. .

- إيه رأيك. . حلو؟

لم تكن لتترك أمها قدرًا يغلي على النار وتولي اهتمام لشيء آخر وإن كان ابنتها الوحيدة إنما المشتتة دائمًا من نظرت لها وصاحت بفزع. .

- يا مصيبتي.

اللعينة ملك مدبرة المنزل من نقلت فزعها لأمها التي نظرت إليها وقالت بهلع:

-- يا نهارك إسود. . فين شعرك؟

- - قصيته.

- - ليه؟

- - الكاريه موضه.

صرخت أمها بعصبيه وجذبتها من يدها للخارج حتى ردهة البيت المجتمع بها العائلة للغداء وصاحت:

- - شفت بنتك عملت في نفسها إيه؟

تسمرت أعين أبيها عليها من الصدمة ولم ينبس بكلمة ثم ابتسم آسر وقال:

-- أحسن كان محليها و مخلي فيها الطمع. . فاكره يا هنا الفيلم اللي شفناه سوا. . ما تعملي قَصة البطله هتبقى عليكي تحفه.

يريدها أن تحلق شعر رأسها مثلما فعلت ديمي مور بفيلم جي أى جون فصدرت لفكاهته الإذراء ثم تحولت لأخيها الأكبر وقالت. .

-حلو يا حسام؟

أجابها بحزن. .

-حلو يا هنا. . ما تتصرفيش من دماغك تاني إبقي اسالي ماما الاول.

صاحت أمها. .

- بدل ما توبخوها على اللي عملته. . عاجبكوا شعرها اللي بوظته.
نظرت لأمها بتعجب وقالت. .
-ما إنت شعرك قصير.
صاحت بها مجددًا. .
-عشان ما بيطولش زى شعرك يا زفته.
انضمت جدتها للحدث. .
- يا عيني عليك يا جلال يا إبني وعلى بختك. . إلا ما فيها عِدله. . طول عمرك ترضى بقليلك.
هدّأ أبيها أمها الفائرة بالعصبية وقال. .
- خلاص يا فدوى ما تزعليش نفسك هيطول تاني. . ثم نظر لها بحدة وأردف. . وإنت يا عقربه روح ساعدي ملك. . ماما أعصابها تعبت من عملتك.
ولا تكفي مليون أوف بقه لتخرج الغيظ الكامن بداخلها. عادت للخادمة التى من المفترض أن تخدم كامل العائلة وليس فرض مساعدتها على الجميع وأولهم المسكينة هنا. ملك تربت على كتفها مبتسمة وتثني على جمال شعرها قصيراً كان أو طويل، إنما رأي ملك لا يعنيها البتة وحينها تنزل يدها الرابتة بحنان عن كتفها وتعود لإعداد الغداء ثم إلى باقي الإعدادات فملك هانم لا ترتب أسرِة أو غرف إلا بيوم واحد في الأسبوع وباقي الأسبوع مسئولة عن الطعام الذي تعده أمها بأي حال. . لا يهم. . أراء الجميع بالية عتيقة فأبيها لا يرى جميلة بالعالم إلا امها وكذلك حسام أحب ميرا على ما وجدها عليه وأمست كل النساء بعينيه. لا يهم مرة أخرى تبدو جميلة وسوف تبهر كل من دُعي للزفاف الكبير وصديقاتها الاتي لم يصدقن إنها سوف تقدم على قص شعرها أو ارتداء الفستان الرائع حقًا كما توقعت تمامًا. أخرجته من خزانتها وتفحصته للمرة

المائة وجدته كما أمسى أفضل ما حصلت عليه على الأطلاق أو إلا قليلا فحردة الخصر تظهر خصرًا رشيقًا ولكن للريبة فهي نحيفة للغاية، أما عن التقعيرات المفترض وجودها بفتاة كانت مسطحة ولا تنبأ بنضج أبدًا، حتى ذراعيها أبيضيين شاحبين لأنها تخلت عن السباحة حتى أمست شبحًا أمهق مثل جاسبر إنما تملك وجه جميل ملائكي كما يقول من تقبل العزاء بأنوثتها التي تأخرت لأمد، أكملت المظهر الأخرق لما أسدلت شعرها المصفف بسلاسة على كتفيها ومن ثم بعض الرتوش التي تتمنى من الله أن يلاحظها مجلس الحرب، أثقلت رموشها البنية بالماسكرا السوداء مع بعضًا من مورد الخدود ولكن إلى البنية قليلًا لأن وجهها يملك حمرة لا تذهب أبدًا تجعلها خرقاء خجلة أغلب الوقت. أبوهم يلح عليها بالخروج لأنهم تأخروا على الزفاف وحينها سحبت شهيقًا عميق لرئتها ثم زفرته وخرجت لملاقاة العائلة. .

- - إنت ما خلصتيش. . يله غيري هدومك عشان نمشي.

نظرت لفستانها بتعجب ثم لأبيها وقالت. .

-انا لبست خلاص.

قال آسر بحدة. .

- أمشي غيَّري الفستان ده.

قالت بهدوء. .

-لاء. . ثم أشارت لفستانها وأردفت. . ده اللي هروح بي الفرح.

قال أبوها متوسلًا. .

-هنا يا حبيبتى أنا زمايلى و رؤسائى كلهم فى الفرح و ما يصحش حد يشوفك بالمنظر ده يله غيرى هدومك.

- روحوا أنتو أنا مش رايحه.

تركت العائلة المقيتة وعادت لغرفتها لتتحضر لسخرية صديقاتها منها بعد أن أذلتهن جميعًا بتصميم فستانها المدهش، لا يصدقن إنها قد تستطيع ارتدائه أو ارتداء أيًا مما ترتديه الفتيات من أقرانها لأنها ابنة اللواء وكل ذلك الهراء الذي لا يكف عنه أبيها. كم من مرة وعدتهن بفعل الكثير ولم تفعل لا كثير ولا قليل، بالصف الثانوي ولا زال يقلها الأتوبيس المدرسي مع الأطفال بينما أقرانها يقدن سيارتهن للمدرسة وللتنزه وللنادي وهى تصطحبها ملك أو أمها أو كلاهما، كانت وستظل تحت الرقابة المشددة منذ ولدت حتى تموت قهرًا ابنة اللواء.
طرقات على الباب سمحت على إثرها للطارق بالدخول جلست بجانبها على السرير وقالت. .

- ما أنا قولتلك التصميم المفتوح. . قومي يله غيّري. . مش عايزه تشوفي حماقي؟

- - مش هروح خلاص. . هقعد مع نانا.

زائر آخر طلب من فيفي الذهاب للتهيأ للحفل ثم جلس بمكانها وقال. .

- مش عايزه تروحى ليه؟

نظرت لأبيها والألم يقطر من كلماتها. .

- يا بابى اصحابى كلهم هيلبسوا سورايه اشمعنى أنا البس سموكنج.

ضحك الأب وقال. .

- انتِ احسن ولا اصحابك. . مين اللى بتتطلع الاولى على المدرسه. . مين بنت اللواء جلال. . مين فيهم مصريه وعنيها زرقه. . مين أميرة دمياط والدنيا كلها؟

ضحكت وقالت. .

-ما تضحكش عليَّ يا جلال. . اصحابى هيزئونى. . يرضيك؟

قال بحزم. .

-كُل اللى يعجبك والبس اللى يرضى ربنا يا هنا هانم مش يرضى اصحابك ، و

فستانك العريان ده ما يرضيش ربنا ولا انتِ شايفه حاجه تانيه؟
صمت لبرهة فتلمس قناعتها بوعظه الذي لا يمله وحينها قام وقال. .
- البسى الفستان الازرق اللى بحبه.
وخرج وتركها لتبدل ملابسها للحفل المحزن. مقنع جلال ولا جدال قد تموت الليلة داخل فستانها الوردي من التل المزكرش وتزف به لجهنم. قامت للفستان الذي جلبه لها أخاها الأكبر من تركيا، فستان طويل من الجينز تحمله حمالات رفيعة، حسبكم ليس ذلك فقط أعلاه جاكت صغير (بوليرو) من نفس خامة الجينز السميكة ولم ينسى حسام أنه لا زال جزء صغير منها قد يظهر ألا وهو رقبتها واشترى لها من القاهرة فلنة قطنية رجالية ذو رقبة عالية يبدو أنه لم يجد ما يغطي وجهها أيضا. ارتدت الجينز والجاكت والقطن بصيف أكتوبر وخرجت على صوت آسر بينما يقول لأبيه بسقم. .
-ما بلاش هنا يا بابا. . خليها ممكن تبرد و هى حساسه.
توجهت لأخيها مرهف الحس وأمسكت يداه بيديها بحنان ونظرت لعيونه القاسية على الدوام وقالت بود:
-- ربنا يخليك ليَّ. . يا حبيبي يا أخويا. . هروح غصبن عن عينك.
ضحكوا جميعًا وهو أكثر من ضحك ثم سحبها من رقبتها بمرح حتى السيارة.
. لا بأس بحفل الزفاف زفافها سيكون أفضل منه، فستان العروس لا يتماشى مع ستائر وكسوة مقاعد القاعة غير الفاخرة بالمرة، الشموع على الطاولات استخدمت لألف زفاف، مساكين من أقاموا هذا الزفاف فالمشروبات بالحفل مشروبات غازية وليست عصائر طبيعية ترى ما سوف يكون الطعام، الشطائر. العروس ممتلئة كيف سوف يكون مظهرها بعد أول حبل، لماذا لم تتبع حمية قاسية قبل زفافها حتى تجد فستان زفاف يناسبها عوضًا عن الذي سوف يتمزق

عن جانبيها الممتئلين. مساحيق العروس الثقيلة تتساقط من الآن يبدو أنها تبكي أو أدخنة قاعة الحفل الكثيفة أعمتها للبكاء. العريس قصير للغاية يبدو أنه أخطأ بقياس بدلته مثل عروسه فهى ضيقة أكثر من الازم. المطرب صاحب الصوت الأجش يرتدي أفخر بدلة بالفرح والبنات يرقصن من حوله بلا حياء حتى قبل أن تعتلي العروس المسرح لتفتتح الرقص، معهم كل الأعذار فهو شديد الوسامة بقامة خطيبها الخائن أو أطول قليلًا إنما عريض المنكبين إلا أنه عجيب بعض الشيء شعره بني داكن وذقنه الخفيفة صفراء يا له من مزيج غريب. أحاديث العجائز شملتها الآن وعليها الابتسام بلا توقف للمجاملات الغير مبررة. كبرت العروس وصارت أجمل، وتحتاج لقيد جديد يثقل حركتها وعقلها وعيونها عن كل ما ترغب به أيةُ فتاة فهى أقل من أي فتاة وكل ما تصبوا إليه هو تنسم الرياح المارة على سفح النيل لتنقل إلى روحك المهاجرة الوطن الذي تعيش به ولا تراه، هل تستطيع الهرب الآن من القيود فقد تحرك قيدين وانضما لباقي زملائهم وبقى القيد الأكبر يربت على كتفها ويردد، أن لا كلام عن خطبة أو زواج لحين انتهاء الصغيرة من دراستها في كلية الطب رغم أنه لا يحبذ سبعة سنوات من الدراسة ثم التدريب العملي لسنوات الأخرى ويفضل الصيدلة للفتيات ليفتتح لصغيرته صيدلية أسفل منزله وتظل بسجن الأب الحنون للأبد. اتسعت ابتسامتها للحد الأقصى حتى ظهرت أسنانها الأمامية الكبيرة بلا أدنى حرج، لا يعلم أبوها المفاجأة التى بانتظاره فهي لم تنتسب أصلا للقسم العملي الخاص بالأحياء وانتسبت وتدرس القسم العلمي للعلوم الرياضية لتكون مهندسة رغم أنف أى قيد وكل قيد. أين النيل اللعين هل جاءت كل هذه المسافة لتستمع لمطرب مزعج ونساء لم يكتفين بخطبتها فقط لابنها الأبله بل وتريد أيضا أحد الأخين لفتاتها القبيحة. مسكينات لا يعلمن أن حسام يحب ميرا وآسر يحب

صديقاتها شيري، وكلاهما ينويا الزواج ممن أحبا. وأخيرا أنقذتها السماء شيري تقترب لتحيي عائلتها فقامت معها على الفور وحينها قال أبيها. .

- رايحه فين يا هنا؟

- هسلم على إصحابي.

- ما تروحيش بعيد.

أومأت بالموافقة وسارعت لصديقاتها المجتمعات بأحد الأركان بعيدًا عن الشغب الترهيبي الذي مارسه طلاب الكلية الجوية العازمين على اصطياد كل فتاة بالحفل. الصديقات جميعًا متبخترات بفساتينهن الجميلة على أحدث الصرعات وهي اتخذت من ثقافة الهيبز صرعة بعدما ارتدت الجينز بحفل زفاف، أسخف الصديقات وأكثرهن أناقة كانت بسنت طلت بفستانها الأسود المرصع بالماسات، يكشف ساقيها، ذراعيها وصدرها اللعين مسار عيون كل رواد الحفل وطلاب مدرستها، لماذا بسنت دونًا عنهن جميعًا نمى لها هذا الشيء، أين العدل بهذه الحياة، ألم يكن من المفترض على أوفر الفتيات قامة مثلها أن يكنَ أكثر نضجًا ولكنها أكثرهن بأي حال فهي أكثرهن صبيانية.

تحدجها ذات النهود باستخفاف وتقول:

-- فين الدريس الوهمي يا نوننا

أوجدت لها شيري حجة مقنعة لما قالت. .

- نوننا هتلبسه في عيد ميلادها. . مامي ما لحقتش تخلصه.

ضحكن لم ييبتاعوا كذبات صديقتها الأقرب ووجب الاختفاء. .

- أنا هخرج بره اتمشى هتيجى معايا يا شيري؟

همست لها صديقتها. .

-آسر قالي متحركش من هنا. . سوري يا نوننا.

أومأت موافقة باستحسان وخرجت وحيدة لحديقة الفندق المكلف على النيل الهادئ. ما أجمل أمواجه وتموجاته الهادرة كمثل خصلات سوداء إلى رمادية عائمة على رأس إحدى عرائسه الاتي دفنّ به للتضحية، لولا ظهور الإسلام لأصبحت وبكل الحب من هؤلاء العرائس بلا أي توق لحياة لن تأتي، تبا تستطيع السباحة بإحترافية ولن تغرق بنيلًا ضحل حتى حلم الانتحار ذهب عنها أي نحس يشمل حياتها. جلست أعلى إحدى طاولات الموازية لجمال النيل تراقب العشاق السرمديين السارحين الهائمين في العشق يجوبون ضفاف النهر ذهابًا وإيابًا ضاحكين متهامسين ترى فيمَ يتهامسون، تبًا مجددًا لن تعرف أبدًا فيمَ التهامس,
-لو سمحتي يا أنسه.

التفت للخلف رأت شاب متوسط القامة حليق الرأس وذلك دليل على أنه أحد الطلاب، خمري البشرة، يرتدي قميصًا كارو أخضر وسروال أزرق من الجينز وحذاء رياضي بحفل زفاف يبدو أنه أحد عمالة الفندق وليس من طلاب الكلية الجوية. لا تعلم لمَ توقف عن الكلام لما رآها واكتفى بالتحديق بها للحظات وكأنه رأى مسخًا ثم أردف. .

-البوابه التانيه بتاعت الفندق منين؟

أجابت. .

- مش عارفه.

اقترب منها مبتسم:

- - أنا أقولك تمشي يمين على طول وبعدين شمال هتلاقي حوض ورد لو شافك هيحزن على حاله ويشتكي الجنايني ويترفض بسببك. . الفنادق معندهاش رحمه.

احتقنت ورود وجنتيها لهذه الإطراء المبتكر ثم ابتسمت فعاد الفتى للصمت

ومراقبتها وجهها الباسم. هنية وقال مشدوهًا لا تعلم مما. .
- اللهم ما أصلي على كامل النور. . إنت بجد؟!. . انتي بتنوري في الضلمة.
عودة للوراء لم يراها مسخًا فقد تعجب فقط من جمالها الآخاذ فعادت للضحك مجددًا، بادلها الضحك ثم قال. .
-مازن مصطفى اسمك إيه؟
انتظر منها التعريف عن نفسها فلم تبوح واختفت ابتسامتها تدريجيًا حتى ذهبت فقال. .
- - ممكن أعزمك على حاجه من جوه الفرح أنا معزوم فيها. . أصل كلام في سرك معاييش فلوس.
نزلت عن الطاولة وهمت للمضي فلا جدوى من سماع إطراء أو تقبله ولكنه لم يقبل ومشى بمحازتها يقول:
-- انتى زعلتِ أنا كنت عايز اسليكِ أنا مش بعاكسِك.
سارعت الخطى قبل أن يراهما أحدًا ويزف الخبر لأحد الأخوين وتصير عروس حقًا للنيل بعدما يقتلها أخويها ويلقيا بجسمانها به. بطريقها للعودة استوقفها مجموعة من الرجال متجمعين من حول المطرب الوسيم ويوسعوه ضربًا بينما المطرب يضحك بجنون ولا يطلب حتى النجدة، بل والمدهش يبتسم لها ويقول بنعومة:
- أموت غرقان في بحور عنيكي الزرقا.
وتحققت أمنية الأخرق لما عركله أحد الرجال وأسقطه أرضًا ورغم سقطتها الشعواء لا زالت عيناي ساقطة على صاحبة العيون الزرقاء. تركت هنا عينا المطرب المجنون المثبتة عليها لما أفزعها مشهد الدماء التى انتفضت من وجه المطرب وحتى حذائها لما مخلوق لا يملك من الإنسانية أيةُ مقدار ركل المطرب

بوجهه فصاحت بهلع:
-- حرام عليكوا. . هيموت.
ترك المجموعة أحد الرجال وتقدم منها يقول بدونية. .
- إمشي يا بت من هنا.
صاحت به. .
- بت في عينك يا قليل الادب. . أنا هجيب السيكوريتي.
تقدم منها الرجل بعصبية مضاعفة بينما يقول. .
- إمشي يا بت بدل ما أمد إيدي عليكِ.
الأفاق المختل يتقدم منها ليدفعها بعيدًا عن العراك قبل أن يتثنى لها إنقاذ المطرب إنما كان بانتظاره يدًا أخرى رددته للخلف بقوة ثم تقدم صاحب اليد ذو الشجاعة غير المسبوقة لمواجهة الأفاق غير المهذب بالمرة الذي كان ينوي الفتك بها رغم إنها فتاة.
صاحب اليد الرجالية يدعى مازن التقاها منذ ثوان والآن يدافع عنها رغم إنها لم تستجيب لإطرائاته الناعمة ويخاطب الأفاق قائلًا. .
- عيب كده يا أستاذ تضرب المطرب اللي نورلك الفرح وتشتم بنت حلوة كده. . إنت عديت الاصول بكباري.
لم يجيبه الرجل إلا بلكمة كادت تسقط مازن أرضًا فصرخت دون إرادة منها للحظات وأتى الأمن الغافل بهذا الفندق وتجمع من حول المجموعة الهمجية تلك وأنقذ المطرب ومازن. تدافعت جموع المدعوين ومنهم أخويها الأكبر سارع للمطرب الغارق بدمائه والأوسط نظر لها بحدة وأشار لها بالعودة لقاعة الحفل فذهبت بلا كلمات. جلست بجانب أمها التى ألقت على أذنها على الفور كلمات التأنيب واللوم لتأخرها والتسكع وحيدة بلا قيد إنما اعتادت

تلكم الكلمات ولم تعد تكتثر لها كثيرًا كما كانت تفعل بالسابق. انتهى الحفل مبكرًا ويبدو على العروس البكاء وعلى عريسها الغضب، الحقير الأفاق تذكرته؛ العريس هو من كان يريد ضربها حتى أنقذها منه هذا المازن الشجاع ترى ما القصة وكيف للعريس ضرب مطرب حفل زفافه ولكن لم يروي أبوها من القصة إلا كلمتين المعلون مالك. منذ خرجوا من الحفل حتى وصولهم للمنزل لم يتوقف أباها عن سب ولعن شخص مالك ويدعو من الله أن تمر الأيام سريعًا حتى يتخلص من الثلاثي القذر عبر سفرهم لبعثتهم بالخارج. أمام عصبية جلال يختفي الجميع إلا أخيها الأكبر استوفقه أبوهم وصاح به مأنبًا

-- ترضاها لأختك. . ترضاها لنفسك الفرح بقه جنازة؟؟

- - يا بابا وانا ما لي بس.

-- مالك ما يتحركش خطوة من غيرك يا رئيس العصابة. . إنكر براحتك. . عقابكوا هيكون أشد مما تتخيل.

أنهى أبوها المشادة ودلف لغرفته بينما حسام لم يتحمل هذا الكم من الغضب وخرج من المنزل بهذه الساعة المتأخرة. سارعت لهاتفها النقال لتهاتف أخوها وتسأله عن وجهته وجدت هاتفه مغلق فسارعت بالاتصال بشيري لتقص لها ما حدث لها الليلة بالحفل البهيج حقًا وإن بات بهيج لها فقط فقد أصبح لها معجب سري أخيرًا مثل باقي زميلاتها.

سعدت من أجلها شيري وتسائلت قائلة:

-- أمُّور يا هنا؟؟ شغال إيه وعنده كام سنه قولي بسرعة؟

-- هو أمُّور جدًا. . اسمه مازن وجوية.

-- هتشوفيه إمتى؟

-- مش هشوفه خالص الموضوع خلص على كده أصلا.

-- ليه يا حمارة؟؟ هو مش عجبك؟؟ ده إتضرب عشانك وهو ما يعرفكيش أصلا,
. الإجابة، الخوف، الخوف الذي اقترب ودخل غرفتها بدون إذنًا مسبقًا وسحب الهاتف من يدها واستمع لبضع كلمات من شيري ليتأكد إذ ما كانت أحدًا آخر ثم قال. .

-- أقفلِ دلوقتي يا شيري. . بقولك أقفلِ.

أنهى المكالمة ووضع هاتفها على مكتبها وقال. .

- إيه اللي خلاكي تسيبي الفرح وتقفي عند الخناقه؟

ازدردت ريقا وقالت بخفوت. .

-إتخنقت وخرجت أشم هوا.

قال متهكمًا. .

- وعجبك الهوا وسط الرجاله و الخناقه؟

رآها بكل تأكيد مع مازن ويتلاعب بأعصابها لتعترف بما لم تقترفه فقالت منهية مشادة جديدة:

-- أنا عايزه أنام لو سمحت.

أمسك رسغها واعتصره بقوة بين أصابعه بينما يقول. .

- تعرفِ مين يا بت و خرجتِ و سيبتِ الفرح تصيعِ معاه.

حاولت التملص من يده لم تستطع فقالت. .

- سيب إيدي. . معرفش حد. . كنت واقفه لوحدي

توقفت الدماء بذراعها إثر اعتصاره بكامل قوى أخيها حتى أن الألم أبكاها ولكن لم تردعه دموعها وقال:

- كدابه سايبه اللمه والناس واقفه فى الهوا. . أنا هعرف. . هعرف. . قولى مين يمكن ارحمِك.

صرخت بأمها للغوث فأخرسها بصفعة على وجهها وظل على اتهاماته الظالمة

إلى أن دخل أبيهم فترك رسغها على الفور لأنه جبان ولا يملك بينة ليدينها إدانة صحيحة أمام أبيهم. سارعت لها أمها وضمتها لضلوعها لتؤمن لها انتحاب آمن بينما صاح أبوها. .

- بتتخانقوا ليه؟

تركت حضن أمها وأشارت للجاني باتهام. .

- آسر ضربني.

تحول أبيها لآسر قائلا. .

-ضربتها ليه؟ أنا مش نبهت عليك مليون مرة ما تعصّبش هنا عشان ما تزعلش ونزعل كلنا يا غبي؟

قال أبي تلك الجملة بريبة لم أفهم معناها إنما تلك الريبة لم تنال من آسر وقال:

-كانت واقفة في الخناقة بين الرجاله وهي اللي صرخت وكسرت المرايات والترابيزات.

صاح أبيها بآسر موضحًا:

-اللي كسر المرايات صوت السماعات العالي يا غبي للمرة التانية ولا إنت فاكر نفسك في فيلم هندي.

قالت أمها متعجبة. .

-و اللي خلالك تضربها وقفتها وسط خناقة !!!!

جاوب آسر أمها مبررًا حجته الكاذبة. .

-- اكيد تعرف حد منهم و اومال سابت الفرح و حماقى اللى دوشانا بيه ليل ونهار ليه؟

وعلى الفور ساند الرجال الرجال كالعادة منذ بدء الخليقة فقد حدجها أبيها بالاتهام بلا سؤالها فدافعت عن نفسها قائلة:

-- كداب يا بابي والله. . . . أنا ماعرفش حد وما كسرتش حاجة.
لم تجد بعيون أبيها تصديقًا لقسمها إلا أنه أمر الجميع بالعودة لغرفهم، لم يذهب عنهم غير آسر بعدما تحقق من تنصيبها مذنبة لليلة بغير ذنب أما أمها ظلت لتساندها حيث قالت لأبيها بعصبية:
- - ابنك هيفضل يلطش في هنا لحد إمتى يا جلال؟ الموضوع بقه خطر وهيكون في نتايج أخطر؟
-- روحي على أوضتك عايز أتكلم مع هنا. . تصبحي على خير.
- - يا جلال ما ينفعش كده لازم. . .
قوطعت دفاعات أمها لما قال أبوها. .
- لو سمحتي. . تصبحي على خير.
مسحت أمها على شعرها بحنان وغادرت فأغلق أبيها الباب من خلفها مما زاد من تخوفها تجاه تلك الليلة الطويلة الكاحلة التى لا تبدي نهايات قريبة. تقدم أباها فتقهرت للخلف فقال مطمئنًا. .
- ما تخافيش تعالي يا هنا.
اقتربت منه بتحسب فأردف. .
- إيه اللي خلاكي تخرجي من الفرح و تقفي في الخناقه وسط ناس مانعرفهمش؟
قالت تسارعها دموعها
- - و الله يا بابى أنا اتخقت من الفرح بعد مع اصحابي اتريقوا على لبسي وسيبت الفرح ومشيت وقعدت لوحدي بره ولما جيت ادخل الفرح تاني شفت الخناقه ووقفت اتفرج من بعيد. . بس والله.
طب و إيه اللي خلاكي تصرخي؟
- متوحشين يا بابي. . كانوا نازلين ضرب في المغني الرخم ده وكانوا هيموتوه

وكنت عايزة أنقذه.

- وإنتي لما تصرخي هتنقذيه إزاي؟

- السيكوريتي هيجي وينقذه لما يسمع صريخ أصله مجنون ما كنش بيصرخ كان بيضحك.

يضحك أبي ثم يقول:

- أأأأأأه. . طيب. . وجهة نظر منطقية برضه. . تاني مرة يا سوبر هنا لما نكون كلنا فى مكان سوا تفضلي معانا عشان ما تتحطيش فى الموقف ده تاني. . فاهمة؟

أومأت بالموافقة فعاد للنصح الأبوي إنما المرح ولا شك فكل كلمة تخرج من فاه إما تلفيق وأبوها لم يكن يومًا كذابَ إما هزئ من سذاجتها حيث قال أن أخويها يحباها بشدة حتى الجنوح أحيانًا لذلك تحدث بينهم هذه المشاجرات، لتنسى ما حدث الليلة وسوف يعوضها بالغد وبالغد أيضا يكون هدأ أخيها وسوف يأسف لها كالعادة، جفت دموعها وابتسمت كما طلب منها أبوها حتى تشرق شمس الغد مبكرًا إنما لجلال فقط. اعتادت تلك الصفعات والاتهامات الناتجة من الحنان الأخوي الذي تحصل عليه هي وحيدة دونًا عن كل أخوات العالم بكل عائلة وأجبرت عقلها على التصديق بكلمات جلال حتى لا يفترق شمل الإخوة كذلك بالغد هدية سوف تكون بانتظارها جزاء صفعة إذًا صفقة أكثر من عادلة. تدفقت الدماء متخبطة بكل خلية في جسدها إلى أن ضربت رأسها دفعة واحدة رغم التصديق أو التشبه به وأصبحت كل أطرافها تنبض بالألم ، تتطالب بالراحة عبر نفض بعض الدماء للخارج علها تأتيها ببعضًا من ضحكات المطرب المجنون الذي كان يضرب حتى الموت ويضحك بسرور. سارعت لتسريحتها وأخرجتها مشرطها الطبي وخطت اسمه على كتفها حتى سالت دماء الراحة. . مازن.

# {مالك مراد}

إلى متى أيها القدر تقودني، متى أتعلم قيادتك، يبدو أنه أبدًا، بالبداية ترك الحلم لحلم ليس له وتعوَّد أن يحياه من أجل إرضاء الوالدين ثم ترك حبه حياته للسبب ذاته والآن عليه التزوج إذ أراد الذهاب إلى بعثته مكرم وليس محرم عليه كل متع الحياة بل وضرورياتها. أبوه ألزمه الزواج وإلا لن يرسل له ما يعيله أثناء بعثته وليعتمد على راتب البعثة الضئيل والسكنة بقاعدة حربية أمريكية تجعله مضغتها التالفة ومن ثم بصقها أرضًا ودهسها بالأقدام.

امتثل بالطبع لأراء أبيه وقام بخطبة ابنة أحد مدرسي كليته إنما حدثت بعض الخروقات وفسدت الخطبة اللعينة وأفسدت عليه خططه المستقبلية. ذهبت الخطيبة الأولى؛ سميحة بنت العميد مدحت بلا رجعة ولم يعد أمامه غير ابنة اللواء جلال كما نصحه أمجد فقد رآها المغفل رضيعة لما جاءت برفقة أمها واللواء لواجب العزاء حيث مات أبا أمجد منذ سنوات طويلة في حادث مروع ألهمه للغاية بل جعله يتأكد من أنه هالك لا محالة فخروج العلم من أمريكا غير مرجح، مات أبو أمجد في الحادث الشهير الذي يحمل اسم طائرة العسكريين أو لإمعان الدقة الطائرة ٩٩٠ التابعة لمصر للطيران التي سقطت في المحيط لأطلسي على بعد ٩٧ كم جنوب جزيرة نانتوكيت بولاية ماساتشوستس، وأسفر عن مقتل جميع من بها ومن ضمنهم ثلاثة وثلاثون ضابط أنهوا تدريبهم على أحدث نظم الأسلحة الحديثة في أمريكا وثلاث خبراء في مجال الذرة وسبع في مجال النفط إنما أمجد يردد دائمًا أن أبيه لا زال على قيد الحياة وباقي العلماء بل ومحتجزين من قبل الأمريكان لأسبابًا شتى، وحينها يربت اللواء جلال على

كتف أمجد مهونًا ويردد أن الدعاء خيرًا للفقيد سواء حيًا أو ميتًا أما هو بالكاد يتكتم على ضحكاته من الحالم بعودة ميت فيصفقه اللواء على قفاه ليصمته، بأي حال رحمه الله وأسكنه فسيح جناته، قد يكون برأ عن كل ذنب اقترفه بحياته على الأرجح بعدما إحترق عن أخره ولم يجدوا حتى رفاته بين رفات الطائرة، ياله من مصير لا يتمناه لمخلوق فيما عدا أمجد ذاته، متواكل، طفيلي لا يتوانى عن قتله حريقًا ولو من أجل درجة زائدة على مجموعه الكلي ليصير أول دفعته كما يتمنى من قاع قلبه.

عودة للرضيعة يقولون شقراء زرقاء العيون، ذات شعرٍ بني متكتل تشبه إلى حدٍ ما كبير أخيها الأوسط الأشقر بدوره وليس الأكبر الاسمر شبيه أبيه كما إدعى حسام ليبعده عن خطبتها خوفًا عليها من زئر نساء مثله، لا ضررٌ وضرار فالمال له الكلمة والأولى بكل قصة واليوم كلمته العليا كما أن اليوم نبتطشية اللواء، إذًا يوم الهدوء والسكينة وإلا، إذًا إذا جفى اللواء النوم يجافيهم بدورهم لأنه يدور بالعنابر بحثًا عن ممنوعات وإن لم يوفق يوقظ الطالب على سؤال ملح بأي علوم وإن لم تكن بالعلوم التي يدرسها لهم وتحتسب أعمال السنة، إذًا موعظة بعد صلاة المغرب والعشاء الإجبارية من خلف اللواء، إذًا عشاء على نغمات التفاخر بنجتله الوحيدة التي تكون بكل عام من أوائل مدرستها، إذًا التسابق من باقي المعلمين وضباط الكلية على مفروشات تنتجها نساء اللواء، فقد نمى لمسامعهم أن اللواء متزوج من ثلاث نساء دفعة واحدة إنما علم من حسام إن للواء زوجة واحدة الآن لأن الأولى وافتها المنية والثالثة هي ابنته الوحيدة ولكن لها سطوة زوجة على قلب اللواء، انتهت المفروشات وهناك من لم ينل حصته وبدأ التذمر فأجابهم اللواء بأن صغيرته بتلك الأيام منشغلة بامتحانات منتصف العام وليس لديها وقتًا شاغرًا لصنع مفروشات

منزلية وعليهم بالصبر. يالا الفقر المدقع تعمل نساء اللواء من المنزل لإعانته قد يكافأ بالجنة إن تزوج بالفتاة المسكينة مطرزة المفروشات وأرخى عن كاهلها عناء العمل اليدوي لصالح اللواء. ارتدى ملابسه العسكرية للنهار رغم حلول الليل للتأنق للخطبة الميمونة وأكمل هندامه أمجد وصاحبه حتى مكتب اللواء برفقة الشاويش عفيفي المسئول عن فرقتهم. طرق باب اللواء أذن له بالدخول ثم نظر له منتظر سبب الزيارة فقال:

-كنت عايز سيادتك في موضوع عائلي.

تعجب اللواء من كلمة عائلي تلك فكل ما يربطهما علاقة المدرس بطالبه المشاغب ألا إن اللواء أشار له بالجلوس ثم أردف:

-عائلي إيه يا إبني، أنا مش قوتلك مِييت مره ماليش في سهرات أبوك.

أجابه بلهفة:

-لا يا باشا، أنا كنت عايز حضرتك في موضوع تاني.

أشار له بالاسترسال فقال:

-انا بعد إذن سيادتك، بطلب إيد كريمة سيادتك.

زاد تعجب اللواء وقال:

-وإنت شفت بنتي فين يا صايع إنت؟

-انا عمري ما شفتها ولا حتى أعرف اسمها، أنا بطلبها على السيره.

ضحك اللواء ثم قال:

-بنتي عندها أربعتاشر سنة يا مالك ومعنديش غيرها شكلك جاي غلط.

حقًا صدم من صغر سن الفقيدة فلم يكن يكذب أخاها إذًا ولكن قال:

-لا يا باشا أنا جاي صح وبعدين وماله نعمل خطوبه ولما أرجع من البعثه كتب الكتاب والجواز.

-لما ترجع من البعثه بعد أربع سنين هيكون عندها تمنتاشر سنه، حتى اللي فى الأرياف بطلوا يجوزوا بناتهم في السن الصغيره دي.

قال مساومًا:

-شوف يا باشا، أنا الحمد مستور بالأوي، وأبويا مستعد يدفع من مييت ألف لمليون ولو سيادتك عايز أكتر مش هنتخلف.

قال اللواء بصبرٍ نافذ:

- إرجع على عنبرك يا مالك.

قام عن كرسيه وتوجه إلى اللواء من خلف مكتبه وجثي على ركبته ممسك بيده اليمنى متوسلًا بينما يقول:

-أبوس إيدك يا باشا، ما ترفضش، إعتبرني حاجزها و لما تحب تجوزها أى وقت أنا تحت أمرك بس الخطوبه تتم قبل ما أسافر.

سحب اللواء يده وقام وقال بعصبية لا تبشر بخيرًا البتة:

-إنت مجنون يا بني، تحجز إيه! إمشي إطلع بره.

اعتدل مالك ووقف في حضرة اللواء وعاد للتوسل:

-إسمعني يا باشا، كل اللي سيادتك هتأمر بيه حضرتك والعروسه حضرتها أبويا هينفذه من غير نقاش.

صاح به اللواء:

-إنت بترشيني يا كلب، إمشي إطلع بره قبل ما أنهي مستقبلك بجرة قلم.

ثم نادى مردفا:

- عفيفي، خد الواد ده من أدامي.

دخل عفيفي على صوت اللواء الغاضب وسحب مالك من ذراعه بينما يردف اللواء بغضب مروع:

- عفيفي، مش عايز أشوف كلب بره عنبره وإلا والله حبس شهر.
قد يفعلها اللواء فقد فعلها مع ولده، السند، البكر وكل هذا الهراء لم يشفع لحسام لما فتش العنبر بوقتًا سابق وتم ضبط سجائر عادية معه فالاحمق سهى عن إخفائها بعمود سريره المفرغ كما المتبع. خرج بصبحة الشاويش عفيفي وأغلق الباب على مكتب اللواء وعلى أماله العالقة بكلمة منه. فقير متعفف مثل ولده، حسام يستدين منه الالآف ويعيدها عشرات وعشرينات رغم أن مالك لا يبالي بسداد بل وأجبره حسام أيضا على كتابة مستند على هيئة أقساط يسددها على مسار السنوات. لم تتوقف الإستدانه عند النقود فقط فقد إقترض حسام سيارته وشقته بالزمالك وبعض البوكسرات لكلفن كلاين لما أضحى له صديقة راقية وخشى أن ترى وصمة الإمبراطور على مؤخرته والآن يتبجح أبيه ويرفض الديب.
هدّأه عفيفي واصطحبه للخارج حتى السماء السوداء بلا نجمات الدليل مثل أقداره فوجد نفسه ليس وحيدًا تحت السماء كما الحال فالسخفيين يتضاحكا عليه ساخرين ويقول أخو العروس مأكدًا:
-قوتلك مش هيوافق.
قال عفيفي متسائلًا:
- أنا مش فاهم عايز تجوز ليه وأنت صغير ما تصبر لما تِحْرش.
حدج عفيفي متعجبًا من المصطلح الفيومي من نفس منشئه وقال:
-أحرش !! كوز دره أنا؟! مش أنا اللي عايز أجوز أبويا اللي عايز، داهية تحرق النساوين كلها. . فاكرني هروح البعثة ومش هرجع ومتخيل إن الجواز والخلفة اللي هيرجعوني؟
أكملوا تضاحك على حاله البائس فقرر مشاركتهم بمصيره المظلم ومصيرهم

بالقريب:
-أبويا حلف بالطلاق لو ما أجوزتش قبل ما أسافر هيقطع عني المصروف، يعني كلكوا هتتلطتوا معايا.
صاح أمجد بريبة:
-يا نهار طين يقطع عنك المصروف! يعني هنعيش فى القواعد الأمريكيه أربع سنين.
ثم تحول لحسام وأردف:
-لازم تقنع أبوك يا حسام انت مش عارف عيشتهم عامله إزاى، هيطلع عين ابونا.
وببرود الدمايطة المشهر قال حسام:
-الدفعه كلها لو باست على إيد ابويا مش هيوافق، بذات أنه عارف مشيك الوسخ.
أشار مالك بيده لملك العفة بغير اكتراث يبدو أنه سهى أن مفتاح شقة الزمالك بجيبه سرواله الأيسر، والحبيبة اللبناية الحسناء زائرة مبجللة بكل عطلة أسبوعية، ولمزيدًا من قلة النخوة يرغب حسام بتزوجها بعد تلك العلاقة المشينة.
عرض عفيفي المساعدة قائلًا:
- أنا عندي عروسه غير بنت جلال باشا، بس ليِّ الحلاوه.
أجابه مالك بلهفة:
-الحلاوه و البقلاوه كمان، مين؟
-بنت العميد جاد عروسه كبيره وفي الجامعه.
قال حسام ممتعضًا:
-يا راجل إتقى الله، سعاد!

نكز أمجد كتف حسام بعنف ليسكته وقال:
-الله ينور عليك يا فيفي، هي سعاد الأجازه الجايه هعرفك عليها
نظر لي حسام و قال:
-انا نفسي أفهم إنت سيبت سمييحة بنت العميد مدحت ليه بس؟
-عشان فقريه.
ابتسم أمجد وقال لحسام:
انت ما تعرفش هو عمل إيه؟
-لاء.
-ظبطته في حمام الحريم اللي في النادي مع ندا شلح.
سعاد وليكن، الخطيبة الأولى كانت قصيرة ممتلئة تافهة وبالنهاية تركته لسبب واه. لم تتزوجه بعد وشعرت بالخيانة لما رأته بحمام السيدات يتعامل بكل براءة مع صديقتها الأقرب ، لم تكترث حتى لعتاب وألقت بوجهه خاتم ماسي لن تراه ما حييت من غيره وردت له كل هداياه وقبل أن يتكمل الأسبوع على فض الخطبة تمت خطبتها على صرصور كان يطاردها وهي من ترفضه إنما زال التمنع الآن لمجرد كيده وكأن ذلك قد يحدث بيومًا من الأيام؛ أن تكيده امرأة.
الخميس خرجوا من الكلية إلى النادي ليعرضوا عليه تلك السعاد، جلسوا ثلاثتهم على نفقته كالعادة وطلبوا الغداء والشاى والساقع حتى ظهرت العروس برفقة بعض الفتيات من ضمنهن أخت أمجد كانت لتفي بمقتضيات هذه المهمة لولا أن خطبتها تمت علي زميل أخر.
قاموا إلى مجموعة الفتيات فأشار له أمجد مقدمًا على الفتاة ذات الشعر الأسود الامع المجموع للخلف على هيئة ذيل يتمشى بنعومة حتى خصرها، قوامها متناسق ليست مثل من سبقتها بدينة معالمها الأنثوية كبالون مملوء بالجيلي

الفاسد مترامي الأطراف. تقدم الركب أمجد وبدأ بالتعريف عنه للمجموعة وحينها إلتفت الفتاة المنشودة وحسبي الله ونعم الوكيل لِمَ الأقدار تصر على إذلاله. العروس عيونها ضيقة دائرية إحداهما تنظر تجاهه والأخرى لا يعلم تنظر إلى أين، بيضاء بصخب لا يتخلل وجهها أى حمرة ولا حتى مصطنعة بفعل مستحضرات التجميل، الشعر الأسود اللامع لم يكن لها فقد كان مجرد أنشوطة من الشعر المستعار البلاستيكي الرديء وشعرها المذهل كان بني جاف مجعد، كهرباء جسدها المضطرب جعلته ينتصب مثل حقول القمح. نحيفة للغاية لا تظهر بها معالم أنثوية لا تستطيع الجزم بكونها عمود إنارة بالنادي أم عسكري أمن مركزي هزيل وبالنهاية قالت:

-اتشيفت بمعيفتك يا مانك.

لدغاء خنفاء سويًا. لا، يكفي إذلال ليعيش بالقواعد الأمريكية ما حيى. ترك الجمع وصديقاه الخائنين وسارع لطاولته متعلل بأنه نسى سجائره إنما ترك سجائره الأمريكية فئة إثنى عشر جنيها مصري وبطريقها للمزيد من الغلاء وقداحته الفضية التي لا تقدر بإثمان لأنها كانت لمالك المنشاوي جده الأكبر وأطلق ساقيه للريح لكن من ورائه صديقاه فقد أمسكا به قبل خروجه من النادي للهرب.

حسام يتكتم على ضحكاته بالكاد بينما يناوله سجائره وقداحته أما أمجد يقول متبرمًا:

-إيه اللي هببته ده؟! مش هتتعرف عليها؟

حدج أمجد بغضب ثم بصق بوجه فهذا أقل ما يقال:

-أنا مالك مراد مالك المنشاوي ، الديب، أجوز خنفا!

أخرج أمجد منديلًا ورقيا بحوزته ومسح شذرات البصاق عن وجهه بهدوء بينما

يقول:

?-إفتكر يا ابن الناس الكويسين لما أبوك قطع عنك المصروف عيشت إزاى

وبدأت الذكريات بالتدافع من الصديقين. التفا من حوله بطريقة درامية غير مرحة بالمرة كما ارتجيا بينما يسردا وقائق مخزية وقع بها لما قطع أبوه عنه المدد.

افتتح الخزي حسام لما قال:

-أكلت تونه مفتته بالشوك بـعيش مدعم بالمسامير.

أمجد:

-لما أبوك رماك في الشارع وسحب مفتاح الزمالك، حسام عمل معاك الواجب وضيفك في عشش راس البر والناموس عملك عشا.

حسام:

- أكلت حواشي بلحم كلاب وقطط وعرس.

أمجد:

-أكلت أيس كريم من عند الراجل اللي بيحط صوابعه العشرة في مناخيره وناولك بولة الأيس كريم وفضلت ترجّع أسبوع.

حسام:

-لما هبّت معاك وجبت بت معفنة بعشرين جنيه من على البحر طلعت مأمله وقعدت تهرش شهر.

يكفي خزى، لم يعد يتحمل، صاح بهما بعصبية:

-يا جدعان دي حوله.

أمجد:

-إبقى إطفى النور.

مالك:

-وخنفا.

حسام:

- إلآه مفيهاش خنفان.

مالك:

-هتجيب عيال شبها.

أمجد:

-مصلحه لو بنات مفيش خوف عليهم.

حسام:

-ولو رجاله الراجل مايعبوش إلا جيبه.

وكانت تلك هي الحُجج والبراهين المقنعة التى لم يقنع بها وأكمل الهرب من صديقاه حتى فيلا الزمالك. صعد إلى غرفة أمه مباشرة وبكي وانتحب بين يداها حتى سقطت رأسه على فخذيها فامتدت يدها الحنونة لتربت على رأسه وكتفه مواسية، طالبة من الله أن يريح قلبه ويهدئ من نفس أباه الهائجة على الدوام.

رفع ناظريه إليها وأكد لها أنه فقط لا يريد الزواج الآن وسوف يعود بعد البعثة ولن يهرب كما خيل لأبيه من هواجس لأنه ببساطة لا يستطيع الهرب سوف تعيده الحكومة المصرية رغم أنفه ليباشر عمله بعد البعثة بالقواعد المصرية العسكرية وإلا يسجن وعند خروجه من السجن سوف يعود للعمل رغم كل منشاوي وإن كان بقواه اللعينة سبب قبوله بالكلية الجوية.

بدى على أمه تصديقًا لكلماته إنما قوطعت توسلاته عندما اقتحم أبوه جلسته مع أمه فقد كادت أن تقنع بمبرراته لتنقلها إلى زوجها العنيد الذي لم تتبد ثورة غضبه منذ انتهاء خطبة البدينة وقال:

-وحياة أمك الغاليه ما مخطي برجللك المطار غير وأنت مجوز ومخلف واد كمان وإلا خليك جنب أمك تكمل دلع فيك

دافعت عنه أمه قائلة:

-خلاص يا مراد هو حر، الجواز مش بالعافيه.

توجه إليه أبيه بعصبية وسحبه من ذراعه من أسفل قدمين أمه وأقامه أمامه وقال:

-إنت من يوم ما نزلت من بطن أمك وإنت مكفرني، مفلحتش غير في الحاجه الوحيده اللى ملهاش فايده ليَّ الكباريهات والجويه، انت دلوقتي قيمتك عندي إنك تجبلي عيل غيرك يمكن ينفعني، بص لأخوك شايف دراسته و شغله و صيته بقى زى الطبل يا طبال.

سلت ذراعه المعتصرة من حدة أبيه وصاح:

-أطلع من هدومي، هو الجواز بالساهل كده، ما على يدك، سمعت كلامك وخطبت وطلعت بنت سرمه وسابتني ونصبت علينا وأخدت الصيغه.

ضربه أبيه على رأسه بقسوة قلما يجابهها معه وقال:

-الصيغه معاك يا حيلة أمك وتلاقيك فرتكتها على المومس اللي كنت عايز تجوزها، وسيبتك بمزاجي.

تحسس رأسه المصفوع بألم ثم نظر لأمه لتتولى الحوار فقالت:

-خلاص نخطبله بنت عمه.

صاح مالك مستنكرًا:

-لاء، كله اللي كده، مستحيل أجوز واحده أكبر مني بيوم حتى مش خمس سنين. . ثم صاح بسقم مردفًا. . والله هرجع والمصحف هرجع، هروح فين يعني هشحت في أمريكا.

ربت أبيه على كتفه بحنان وقال:
-خلاص يا حبيبي براحتك جهّز نفسك الخميس الجاى نروح نخطب سعاد.
خاناه صاحبي السوء وعرضا الخنفاء على أبيه قبل أن يعرضاها عليه لتحسم المعركة، يتزوجها ليشقى بينما هما ينعما بأمريكا على نفقته. ضرب على وجهه براحتيه ثم أنزلهما بهمٍ جاسم وقال:
-ترضهالي، أنا ابنك.
-بكره تعرف إن اللي بعمله لمصلحتك.
أخرج أبيه من جيب بدلته مفتاح شقة الزمالك وسيارته وقال:
-هتاخدهم ولا تكمل نوم في الشوارع؟
مفاتيح العالم بالطبع. عاد لكليته وزف لصديقي السوء نواياه المشينة من حول التزوج بالخنفاء فسعدا للغاية وباركا الزيجة الملعونة. تمت الخطبة على سعاد كما أراد له أبيه وحينها جاءت مكافأة الخطبة رحلة لتركيا بأجازة منتصف العام له ولمن يرغب باصطحابه، سوف يتكفل أبوه بتذاكر الطائرة لصديقاه ويقيما معه بغرفته الفندقية لأن كلاهما حقيرين فقيرين هو ملاذهما للرفاية. كانت لتكون الرحلة شهرًا لولا أن زفاف ساسو سميحة بمنتصف الإجازة وعليه حضوره بعدما وافق أبيها على دفع المبلغ الجزافي الذي طلبه لفرقته السابقة وصديقه الصديقي الذي سرق منه عرش سلطان الغناء العربي.
العروس من ألحت على أبيها ليكون خطيبها السابق مطرب حفلها للانتقام لا تعلم أنه سوف ينقلب عليها شر انتقام. جاء برفقة فرقته قبل وصول العروس ليتهيأ لاستقبالها وبيده جميلة الجميلات ماهي ومن ثم جاءت العروس برفقة عريسها القصير الموصوم بوصمة العائلة الكريمة؛ بدين. العروس متعلقة بذراعه وتنظر له متشفية أو ما حسبت، وحينها أحاط خصر ما هي النحيل بذراعه

وقبل وجنتها الناعمة لتتقد عيون العروس شررًا.
بدأت المراسم ودقت المزاهر يأهل البيت تعالوا فسحب زجاجة الـ ID وشرب ما تبقى منها حتى قعرها ثم ألقى بها للخلف لتحدث دوي غطى على صوت السماعات الغنائية. حمد لله، فبعدما نظر بتمعن للعروس التي دبغت بالمساحيق لتبدو امرأة وجدها لا زالت تشبه والدها وهذا الوجه كان بعدما قدر الله ولطف بعبده المسكين الوجه الذي كان ليراه لما تبقى من حياته.
جلست العروس الحزينة على حالها وأتاه الأصدقاء وانضموا للفرقة كي يساعدوهم بإفراغ معداتهم، أمجد يساعد بحماس مع مازن وعمرو أما الحسام يبتسم برقة لماهي ويقول:
-مساء الجمال.
فبادرت برقتها الفائقة قائلة:
- إزيك بطّلنا نشوفك ليه زي زمان؟
-مشاغل يا غزال مش بإيدي لكن بسمع كل أغانيكي أنا معجب بأي حاجة إنتي بتغنيها.
حدجه مالك بحدة وقال:
-ما تلم نفسك يا بتاع الجمال اللبناني وإلا إنت عارف.
أجابه حسام بينما عيناه مثبتة على الجمال الخاص بالديب وليس سواه:
-عارف، أومال النجم هيجي إمتى؟
-ما أنا أدامك أهو.
- قصدي حماقي.
بالعاشرة فالصديق علا نجمه لأعالي السماء ولديه بخلاف زفاف اليوم ثلاث أما هو علق بمجسم من الفولاذ قد يحلق بعنان السماء وقد يحترق وهو من داخله

وعليه الآن تقدم المسرح لتحية الحضور الكريم بلا عويل. وقف أمام الميكرفون وضرب عليه بيده مرات عديدة أزعجت الحضور فزادهم إزعاجًا، سعل وتنحنح وبالنهاية تثائب ملول ليتصاعد الإزعاج للحد الأقصى وأخيرًا قال:

-مساء الخير على البشوات، معاكوا إنهارده مالك مراد مالك المنشاوي وفرقته المتواضعه وإليكم أولى الفقرات يناءً على رأى الحضور الكريم، بسم الله.

تقدمت ما هي لتعتلي المسرح وتتلقى التصفيق الحاد المحيي للجمال قبل سماعه، ولتحية خاصة للعروس قبّل يد ماهي؛ لا، إلتهم أصابعها الزبدية ثم تركها تشدوا بأغنية اختارها بعناية علها تلاقي استحسان العروس، أغنية قديمة باللهجة الصعيدية تصف فرحته وسعادته بانتهاء ارتباطه بالعهد القديم ليبدأ الجديد ولكن بالرغم من كلمات الاغنية المسيئة للعروس فهى الوحيدة التى تحسست من الأغنية وتساقطت دموعها أما باقي الحضور طرب لصوت ماهي الشجي متغاضيًا عن المعاني البذيئة وهنا قرر الارتجال وبعد انتهاء ماهي من وصلتها الغنائية اعتلى المسرح مطربًا بعدما كان عازفًا ليشكو ويبث حزنه على فراق الجميلة الباكية بليلة زفافها وبدأ بأغنية راجت بالأونة الأخيرة تقول:

سابني وراح يا هوا، كلي جراح يا هوا، سابني، تعبت وهو إراتاح يا هوا. . ترك الطرب ولجأ لأسلوب شعبان عبد الرحيم مشديًا. .

ماتروح إنت الكسبان، بالذمه دي كات نسوان، عالم جعان عقل خيبان، وقعني فيهم الزمان، وإيييييه.

ود كثيرًا لو أكمل قصيدته المرتجلة ولكن أمسك به صديقاه وأنهيا فقرته الغنائية فعادت ماهي للمسرح بين تخبط كل رواد الحفل. سحباه حتى خارج قاعة الفرح وأجلساه على إحدى الطاولات الخارجية بحديقة الفندق، يرتجفا من الآت فكلاهما متوجس خيفة من غضب اللواء جلال الذي أمر بإنزاله عن

المسرح ويتوعدهم جميهم بالعقاب. يلوماه على فعلته متسائلين بحيرة، ماذا لو كان أحبها أو شغلت من عقله دقيقة؟!

للحق لا يعرف لمَ. . كل ما أراده معاقبة من سولت لها نفسها هجر الديب لأي سببًا من الأسباب.

تركاه الصديقين بعدما استحلفاه بأن لا يقدم على فعل كارثة جديدة حتى عودتهما لإيداعه ببيته فلبى بلا تذمر كذلك لم يعد في مقدرته النهوض بأي حال فقد شرب للأن زجاجتين فودكا وعليه انتظار ماهي لتقوده للزمالك لتكتمل الليلة بهانًا. لم تأتي ماهي فقد أتى آخر قصير بدين ومعه مجموعة من أشابهه وأشباه عروسه عله قادم للانتقام رغم أن العروس له والزفاف الذي خرب على نفقة أبا العروس. رفع رأسه لرؤية واضحة للعدد المكلف بتأديبه وجدهم سبع لو كان متزن لتغلب عليهم وأزاح عن عاتق العريس مهمته السامية للخوض بالجيلي الفاسد الليلة. قام إليهم، فلا بد أن ينهض ليتلقى التهاني.

-متجمعين في أندريا على حسابي.

قال العريس:

-انت اللي جبته لروحك هتتعمل معاك الجلاشة.

اتسعت ابتسامة مالك وتقدم من العريس وقال متمهلًا:

- أبويا مراد المنشاوي قالي لما حد يتهيأله أنه هيأكلك الجُلاشة. . عِدْ من واحد لعشرة. . واحد. . إتنين. . تلاتة. . أربعة. . خمسة. . ستة. . سبعة.

ثم صفع مالك العريس بقوة على وجنته المتهدلة ثم أردف بهدوء لحظة ألم وتعجب من المصفوع:

-بضربه بالقلم على خلقته صدقني ما حدش يتوقع القلم عند تمانيه

باءت محاولاته المستميتة بالفشل ولكن ليس الفشل التام فقد نزحت عنهم

الدماء قبله حتى وحدوا الصفوف وأسقوه أرضًا وأوسعوه بركلاتهم. لم يكن يشعر بأي شيء إثر حالة السكر البين التي أحاطته حتى حلم جميل يا ليته حقيقة.

رءى أمامه فستان أزرق مغلق بإحكام من داخله فتاة نمى لها منذ أربعة أيام نهدين أعلاهما وجه ملائكي أبيض اللون متخبط بالحمرة الطبيعية ولاشك، حورية بحار عيونها شاسعة، زرقاء دامعة بالأسى على حاله. إنها الجنة وتلك سكرات الموت يبدو إنه أفلح وهذه سفيرته للدار الآخرة. تصرخ بالعريس بشجاعة لا تملكها نساء لأنها ليست منهن فهي ملاكًا ويأمر العريس بجسور أن يتركه فتبجح عليها وحينئذ آتاها خادمه مازن ودافع عنها وعنه فنال حصته من الضرب المبرح إلى أن تدخل الملاك مجددًا وصرخ مطولًا بصوت رفيع ولكن جهوري مستغرب خروجه من رقبة رقيقة شفافة مثل التي تملكها الملاك الحارس عكس ريقها الذي ازدردته لبدء موسم صراخ طويل اهتز لوقعه الطاولات والكراسي من حول مالك، صراخ كرعد من السماء أسقط المعتدين من حوله أصابعهم بآذانهم من هوله، صراخ لم يسمع مثيله أثار سلسلة من الانفجارات المدمرة فقد هشم نوافذ الفندق الزجاجية وشجَّ طبلة أذنه وقد يصيبه الصمم إن لم يتوقف الملاك عن إنقاذه.

أتى على جلبة الصراخ أمن الفندق وفض النزاع واختفى الملاك الحارس بين الجموع وعاد لمجاورة القمر أم هو من عاد للحياة وما رآه منذ قليل كان هذي من قوة ما تلقاه من ضربات على رأسه. ليس حلم أو موت وهو من حسب أن الأقدار ملّت أخيرًا من قيادته ووجدت شيء آخر يشغلها عن تخريب حياته. حمله أصدقائه وأجلسوه على كرسيه مجددًا وتفحصوا جراحه حتى أتت ماهي على وجهها الخوف تسأله عن سبب ما حدث فلم يقل غير:

-تعالي وصلاني الزمالك يا حب حياتي.
حملاه الصديقان حتى سيارته ومن ثم تسلمت ماهي قيادته لشقته الخاصة.
عاونها البواب على حمله حتى سريره ثم خرج وتركه بين رحمتها ومغفرتها التى بلا حدود.
تصيح بي ودموعها تسبقها:
- لما انت ما بتحبهاش زي ما قولتلي وأبوك غصب عليك عشان تخطبها. . بتعمل ده كله عشانها ليه؟
-هاتي الجاكت بتاعي.
هدأت أنفاسها التي تلاحقها من صراعه شبه ميت ثم جلبت جاكت بدلته البروكس برازرز وأعطته إياه فأخرج من جيبه الداخلي علبة مخملية زرقاء تحوي هدية العروس التى تحسب أنه أحبها دون حب حياته الماثل امامه الآن ويكفكف زخات الدموع عن وجنتاه.
عرض عليها العلبة المخملية ففتحتها على عجالة وطالعت محتوياتها بذهول تحول لسعادة تدفقت من كل طرف وملمح بها:
- باباك وافق على خطوبتنا؟
- حاجه زى كده.

# { حسام جلال }

عاشق على الطريق الشائك سار وصار ما صار، أرادها أن تكون له اليوم قبل الغد الذي لا يبدي تعاطفًا لعاشقين، عِشق مزق قلبه لشطرين متساويين متخاصمين فأحدهما للعائلة والآخر للعشق الملبد بأعاصير الأسى القديم. عشق بالمعشوقة كل شيء ماضي آثم مستقبل مبهم وحاضر مثقل بالضغائن حتى صراحتها المطلقة لم يتملل منها يومًا أو تمنى الصمم قبل سماعها كحال كل رجال. صهرت كيانها الحر بكيانه بلا تملل، شاركته أحلامه وطموحاته وأصبحت غايتها بالحياة رؤيته يعلوا ويعلوا بينما هى مزوية بركن من أركانه غير عابئة بشيء غير اكتمال سعادته.

كان يعلم عن لعنة الزمالك ولكن كانت كل ما يستطع تحمله من كلفة، وبالله يأكل الندم روحه يومًا بعد يوم جزاءً على ما اقترفه، عيدهما الثالث ولم يأتيها بهدية فأهدته هى آخر أسرارها، وشوم الماضي التى حفرت على جسدها وبرغم من ذلك لم يشعر تجاها بغير العشق المطلق، العشق المكذب لمكان الولادة وسنن الأعراف. ذابت بين يديه حتى تلاشت بشفافية عذراء لم تسكن الأرض يومًا، حبيبته وكل أماله الآن إسعادها كما حرصت على إسعاده. ومن أولى درجات السعادة جمع تلكما العائلتين وإن كان من المحال فربين العائلتين أضحيا أعداء الماضي البعيد والحاضر المستمر إنما الحاضر الأني الكريم ابتسم من بلكون غرفته ولوح محيًا للمستقبل الباسم المتمثل بالهنا التي كادت أن تسقط عن أسوار بلكونتها لما تذكرها الحاضر بينما تلوح بحماس متقد لخطيبها رغم أنف أبيها وصياحه عليها بأن لا تذكر الاسم المحظور ببيته. نادت بأعلى صوتها

على أخيها ودعته ليرى مستقبلها وخطيبها المهندس العظيم مثلها وكذلك لتؤكد له إنها لم تخطئ الاختيار كما نسب إليها من قبل أبيها. لم يجد ضير من مجاراة الصغيرة وذهب معها لغرفتها ليرى الشاب الطويل الوسيم المهندس المنسق بكل شيء.

المهندس أومأ له مرحبًا وكأن تربطهما علاقة بخلاف أن أخته الصغيرة عاشقة لرجلًا يكبرها بعشرون عامًا ووجب على الرجل البالغ أن ينهي هذا التعلق الطفولي علّ الصغيرة بالتاسعة من عمرها حينها تتوقف عن رسم البالغ بكراستها وتبدل خططها المستقبلية المتمثلة بالتزوج به والسفر معه للخارج ليتثنى لها بناء هرمها الفوشيا فالخطيب الكريم ثري للغاية ويملك من النفوذ ما يملكه ملكًا والصغيرة بالتاسعة من عمرها تعي هذا بتدبر امرأة بالغة ولذلك تطمع بالثري النافذ القوى وهو من حسبها طفلة حمقاء وقعت بحب ابن الجيران وليست عجوز ماكرة تحلم بالسلطة المطلقة.

للمفارقة الكوميدية أو المأساوية حبيبته كانت بدورها ببلكون غرفتها الملاصقة لغرفة كريم عيونها تثنيه على ما ينوي فعله بخصوص هذا العشق الشاذ إنما فعل ما وجب فعله.

انتهت الصغيرة من سرد أطماعها وأخبرته أن خطيبها الآن بطريقه للعمل لأن حارس القصر يعد سيارة الدفع الرباعي وتلك التي يصطحبها خطيبها للعمل أما البي إم دابليو المكشوفة السوداء للنزهات والبورشا الحمراء لميرا. قبّل الصغيرة العالمة بتدبر مسار خطيبها على جبهتها بغضب دفين وطلب منها أن تعود للمذاكرة ليتثنى لها بناء المستقبل وحيدة بلا مساعدة من أحد أما هو بدل ملابسه بسرعة البرق ونزل للثري النافذ لقتله بعقر داره بعدما لفق لطفلة كل هذه الخيالات الجامحة بلا داع أم هناك داع لم يعرف عنه إلا بعد سنوات

طويلة بطعم الصبر الاذع.
الثري النافذ كان في انتظاره في حديقة القصر يدخن سيجاره المكلف، ويطلب من حارس القصر أن يفتح الباب الخارجي للقصر لحسام بيه، فدلف من بوابة القصر للمحدق بعيونه بتحدي وكأنه من ارتكب جريمة بحقه وليس هو الجاني بعدما غرر بطفلة، بعد التحية والسلام نقل له تخوفه من تعلق الصغيرة برجل يبدو متزوج أليس كذلك فقال:
-إيه متزوج وعندي ولدين يصغروا هنا بسنوات قليله.
-طيب حضرتك يعني مايصحش كده، هنا ليل ونهار مالهاش شغلانه غير رسمك والكلام عليك أدام كل الناس حتى بابا وده بيعرضها لمشاكل كتير.
ثم ابتسامة ساخرة رسمت على ثغر الكريم وإمتدت لعيونه المتهكمة إلى أن قال:
-أطلب تلاقي يا خي حسام بلا منه الكلام الكتير.
- أنا كل إللي بطلبه من حضرتك إنك تتجاهلها لحد ما تنسى.
- من عيوني رغم أنه يعز علي أتجاهل هنا إعتبره معروف وأنا راح أنتطر رده عن قريب.
- يا سيدي رده دلوقتي، إسمحلي أعزمك على سهرة كده على قدي ما تلقكش لسيادتك بس أكيد هتنبسط.
وانبسط سيادته على الآخر برفقة جمع الطيارين فقد كان يصبوا أن يصبح طيار بيومًا من الأيام ألا إنه تحول لرجل أعمال نزولًا على رغبة والده بل كان أيضا يكره مجال الهندسة وترك دراسته منذ سنوات واكتفى بتفيذها عمليًا على أرض الواقع. ونزولًا على رغبة الحبيبة توطدت العلاقة أكثر فأكثر مع أخيها حتى يكون بالقريب من ضمن صفوف المدافعين عن حياتهما القادمة.

جمع الطيارين استصاغ صحبة الكريم، وجدوه طيب القلب مثل أخته الجميلة، ومغلوب على أمره مثلها أيضًا، يتحكم بهما أبيهما بخيوطه العنكبوتية الدويرية ولا أمل من خلاص ولكن مالك رآه أخطبوط متشرنق وفي طريقه للتحول لأشرس مخلوق سفلي على الإطلاق وصدقت السنوات على كلمات مالك.

باليوم الفيصل أرسل للكريم لتبدأ المعركة الخاسرة فقد انتهى التدريب الأخير لما قبل البعثة ولم يتبقى إلا شهرًا واحدًا يليه السفر لأمريكا وهى معه فدونها لا أحلام أو طموح قد تملأ الحياة بأمال عريضة أو متقلصة للتدبير. دعى صديقه الصديقي لدعمه ولكنه بدأ بالشراب الرابعة عصرًا غير عابئ بمهمته السامية والتى تقتضي كامل ذهنه إن وجد يومًا بل ويقول ملول:

-انت واخدنى معاك ليه؟ طيب انت راجل أهبل وعايز يخطب يعنى أنا ماليش القاعده دى.

-أنا غلطان فعلًا أنت أخرك الشقط، أي حاجه شمال لكن العدل ملكش فيه.

-إنت صغير يا حسام ولسه وراك مستقبل تشتغل عليه والجواز هيعطلك، ده أنا ما صدقت جات من أهل سيعه وطلبوا تأجيل الجواز لما تاخد إعفى.

ضحك حسام فشر البلية ما يضحك فالآونة الأخيرة أمسى مالك يتحدث عن خطيبته بصفة المذكر دائمًا ويلقبها بسعد بل ويجد انتهائها من دراستها بالجامعة مشابه لانتهائها من التجنيد.

ترك حسام الضحك و قال:

-انت اللي صغير وبعدين انت ما لك، انت تقعد ساكت ماتفتحش بقك أنا جايبك بس عشان تكملي الكلام لو وقعت مني حاجه.

-ألؤوفك يعني وأسمّي عليك.

-إخرس يا مالك كريم جه خلاص هناك.

لم يكن ليصطحب الديب لهذا الحدث الجلل إلا لتقدير كريم العميق له ولا يعلم الأسباب العجيبة التي جعلت الدويري الصغير بمهابته ومقامه الرفيع يفضل من كل أصدقائه ديبهم، كريم يقول أن مالك خامة طيبة بيضاء ناصعة ولكن بانتظاره الأيام بمرارتها لتحول الناصع لقاتم وحينها لم يردع مالك مخلوق بالعالم ليتسيد هو العالم، كيف لم يبرر كريم واكتفى بما قاله والذي أسعد مالك للغاية حتى أنه لقب كريم بصديقه الصديقي وانتظر تحقق نبوئة تسيد العالم.
تركا البار وذهبا لاستقبال كريم ثم دعاه حسام للجلوس على طاولة جانبية لحديث الأحاديث، جلسوا ثلاثتهم فطلب القهوة إنما اعترض مالك قائلًا:
-قهوة إيه يا عريس أنا عايز فودكا عشان أعرف أنخع على كريم باشا.
ضحك كريم باشا بينما هو نظر للنادل وطلب ثلاث من القهوة المظبوطة فزفر مالك بضيق وأثر الصمت رغم أنه طلب منه أن يستفتح الحديث. ظل ثلاثتهم صامتون حتى جاءت القهوة، ارتشف كريم من القهوة رشفة سريعة وقال:
-بقولك يا مالك إنت تقرب لمراد المنشاوي البيزنيس مان؟
-أبويا لزم.
-ما قوتليش يعني، إيه مش عايز المصلحة تعم على الكل؟
-كان على عيني أبوك شمال منحرف وأبويا يمين معتدل ومستحيل يتقابلوا.
وللعجب ضحك كريم ولم يبدي أى غضاضة من كلمات صديقه الصديقي المشهرة بالدويري الكبير وعاد للقهوة والنظر إليه، منتظر كلماته إنما كلماته بحلق أحمق وجب شق جانبه الأيمن وليس لكزه فحسب ليعود لحديث الأحاديث وليس التمعن بالنادلة الجديدة التي انضمت لأندريا مؤخرًا. من تحدث الكريم حيث قال:
-هنسهر فين الليلة؟

فأجابه حسام لأن الأحمق على انشغاله:
-فى الحقيقه يا كريم أنا طلبت أشوفك إنهارده مخصوص عشان أطلب منك طلب ونفسى ما تكسفنيش، انت عارفني وعارف أهلي كويس ولو شايف فىَّ عيب قولى عليه من الأول.
الأجابة كانت بعيون الكريم منذ رآه لأول مرة ألا إنه ترجمها متأخرًا لأن المزيج الأخطبوطي نال منه وأراه كل شيء معكوسًا حتى الكلمات التي قالها كريم الحين:
-مش أفهم الأول سبب السؤال؟
وقبل أن يصرح لكريم سبب جمعة اليوم والسؤال صاح مالك:
-خدي يا بت.
فاقتربت النادلة الجديدة من الطاولة بتمهلل شديد بينما تطالع مالك بإذراء قابله بكل الحب خاصة لما قال:
-انت جديد يا جميل؟
لم تجيبه الفتاة وتحول إذرائها لدونية عجيبة بعض الشيء فقد إهتز جسدها بتملل أقرب للتفاخر بكل ما يتمايل من قوامها المكتنز الناعم مما جعل الديب يردف بميوعة مسايرًا تعنج الفتاة الجديدة:
-إيه التِناكه دي.
ثم أمسك بيدها وأخرج من سترة كريم قلمه الباركر وكتب على راحة الفتاة بينما يقول:
-تليفوني.
سحبت الفتاة يدها من يد الديب إنما بعدما اكتمل الرقم وطبق عليه مبلغ من النقود وضعه الديب براحتها وقال:

-حق التاكس. . ثم تحول لكريم وأردف سائلًا. . جاى يا كريم تجيب صديقه؟
تفحص كريم الفتاة من الأعلى للأسفل ثم أومأ بالرفض فشعرت الفتاة بالإهانة حيث قالت:
- يا سم.
- عيب يا بت ده الباشا الكبير يقطع خبرك، الليله ها، ياللا روحي.
نطق بها مالك مدافعًا عن صديقه الجديد تاركًا صديقه القديم بجبهة القتال وحيدًا تنهال عليه نظرات الكريم كالرصاص المطاطي فلا يقتله ليتبدد الألم ولا يتركه ليحيى بعيدًا عن ألم.
-بص يا مش مهندس، حسام جمعنا إنهارده جَمْعة الرغى إللي مش باينوا آخر ده، عشان عايز يطلب أختك الصغيره للجواز وكنا عايزين نعرف رأيك إيه، وقبل ما تقوله أكدلك إنك مش هتلاقي حد في الدنيا يحافظ على أختك ويحطها في عنيه زي حسام.
مش مهندس، لم يكن هناك داعي لـلقب كريم من قبل الديب بهذا اليوم خاصة وإن كان هذا اللقب يضحك كريم حتى تدمع عيناه، كذلك لم يجد حسام داع لكل تلك النظرات الباردة الموجة من كريم له فهو لم يجدها دهشة من مطلبه بقدر ما وجدها سخرية.
-إتخرست ليه يا كريم انت شايف حاجه في حسام تتعيب، طب ده أنا لو عندي إخوات بنات كنت. .
قاطعه كريم بسخرية مهينة:
-عندك، عندك إتنين، إيه رأيك إنت تجوزني واحده منهم؟
وكانت تلك كانت معلومة جديدة للغاية لم يعلمها عن أخي البنات الكاذب الذي أخبر صديقه الأقرب أنه ليس لديه أي أخوة بخلاف أخيه الأصغر

الوحيد.
برقت عيون مالك بالنخوة الصعيدية إنما المكتمة ببعض الكياسة لظروف الحدث قائلًا:
-ياريت الإتنين مخطوبين لولاد عمهم إنت عارف بقه صعيّده، خلينا في الهانم أختك إنت.
كلمة واحدة قاطعة قالها كريم:
-موافق.
لحظات وأردف له وحيدًا:
-يبقى كده معروفين منتظر ردهم من صديقي، أوعي تكون نسيت أول معروف يا حسام.
بحمق أغلق عقل كل عاشق أجابه بلهفة:
-إنت تؤمرني يا كريم.
-الأمر لله بس أنا ليَّ سؤال، اللواء جلال يعرف إنك عايز تخطب ميرا؟
-فى الحقيقه لاء، أنا كنت مستنى رأيك ورأى منير باشا وبعدين أكلمه وأكيد هو مش هيرفض.
-أنا أفضل إنك تاخد رأي أبوك الأول وبعدين نتكلم.
وعادت الغصة التي سدت حلقه فقال بضيق:
-إحنا مالناش ذنب في القصص القديمه يا كريم، تاريخ وانتهى و المستقبل بإيدينا إحنا اللي نكتبه.
صاح مالك:
-أنت هتخطب في الراجل بيقولك شوف رأى أبوك الأول ما غلطتش يعني.
أما عن غصة كريم إبتلعها بكوب الماء الماثل أمامه ثم قام من مجلسهم يغلق

أزرار سترته ويقول:
-خد رأي ابوك و بعدين نتكلم في الجديد والقديم عن أذنكوا.
وغادر كريم ليضع أمامه أول حائل:
-واد ابن حرام، واطي أنا معرفش انت بتتلم على الناس دي منين، بيراقبني ابن الرقاصه، عايز يفهمني إن مفيش حاجه تخفي عليه.
ابتسم للديب بمرارة ثم قال:
-بلدياتي أبوه كان من أعز أصدقاء أبويا وجدي وإعمامي لحد البلوة اللي حصلت اللي فرقت كل واحد منهم في طريق.
-بلوة إيه؟
-الحريم يا صاحبي، الحريم وياريت الغلطة من عندهم، الغلطة من عندنا.
-مش هتكون أقوى من بلوتك، ياما قوتلك اللي تصاحبه لا تناسبه ولا تحاسبه مش تجيب أخته الزمالك، علي النعمة بنعمة ربي كريم عارف اللي بينكوا ومرقدلك وهيخلص عليك وده أقل واجب.
ويا ليت فعلها الكريم وفعل ما قد يفعله أى رجل لو علم أن أخته الوحيدة تزور الزمالك بصفة دورية مع صديقه المتوق في عنقه معروفًا بدى تافهًا بالأمس إنما اليوم أثقل كاهله عن أي وقتٍ مضى. كريم امتثل لطلبات الأخ وتجاهل هنا تمامًا من اليوم الأول بينما الأخ لم يتجاهل أخت صديقه الذي اختاره بمحض إرادته لما حسبه قد يكون حليف بصفوف الدفاع وليس الرأس الضاربة بالهجوم.
صديقه يسأله عن المشكلات العظام بين العائلتين فأجابه مراوغًا:
-وأخواتك ملونين زيك ولا أبيض وأسود؟
صاح الصديق:

-ملعون معرفتك على معرفة كريم على أبو اليوم اللي عرفتكوا فيه، ولو كلب منكوا جاب سيرة أخواتي تاني هسلخه.
ولأنه الصديق الصديقي ولو كان ذئبًا صعيديًا من جبال الجنوب الوعرة تغاضى عن التهكم لما لمح بعيون صديقه الدمع المسفوح مقدمًا وقبل خسارة المعركة:
-طب صلي على النبي وكل حاجه تتحل، إتكلم يا حسام فهمني اللي بيحصل عشان أشوفلك سكه.
-ياريت أقدر أقول وأصرخ بالدنيا كلها يمكن تحن علينا وتتزاح عننا غمة سنين مالناش ذنب فيها.
ونهض الذئب من جديد وصاح:
-إنت هترجع تِشعر تاني، أنا ماشي، نووح بقه لوحدك.
وانقض المجلس المنعقد من أجل حياة واحدة لعاشقين لما ذهب مالك للنادلة الجديدة وسحبها من ذراعها حتى خرجا من البار. يضجر مالك من أي جد فهو يجد بالهزل ملاذه من قسوة الحياة، أي قسوة جابها مالك بحياته لا يعرف حسام ولكن ما يعرفه يقينًا قسوة الحياة على حبيبة أقصى طموحاتها أن تكون بين يديه بلا وعود وردية أو بنود واجبة تحلم بها كل فتاة ولكن فتاته لا تطمح ولا تحلم فقد إكتفت به أما هو لن يرضى لها بهذه الضئالة وهى العالية بحبها المنزه من كل إثم.
عاد للمنزل كما اتفق مع أخوته وجدهما على وعدهما بانتظاره ليشكلوا جبهة مساندة أمام أولى العقبات ولكن قبل الوالد الوالدة التى لم تلده. سمعت قصته وأدمعت عيناها وفدوى هانم لا تبكي ولا تدمع أبدًا ولكن تقول بثقل أقرب للبكاء المرير:
-ليه تعشم نفسك وتعشمها وإنت عارف نهاية الحكايه.

جلس على كرسي حكم أبيه المطلق بجانب مليكته وقال:
-وإحنا ذنبنا إيه يا ماما؟
ربتت على كتفه بحنان وقالت:
-يا حبيبي أبوا ميرا سبب لينا مشاكل كتير وصعب بابا ينساها ويوافق إن بنت منير تبقى مرات إبنه وبعدين يا حسام إزاى يبقى انت ما سبقلكش الجواز و تجوز واحده مطلقه.
حدجها حسام بتعجب وقال:
- حضرتك اللى بتقولى كده أومال اللى عايشين فى الكفور يقولوا إيه أنا بحبها يا ماما.
أجابته بألم ذكرى الحب:
-انا اسفه يا حسام أظن انت شايف وضعى من زمان ماليش لازمه فى البيت ومش هقدر أفيدك.
وخرج حليفًا آخر من الجبهة المتخرقة كما خرج هو من غرفة والديه لأخويه المنتظرين بلهفة نتاج محاولته اليائسة، الصغيرة استنتجت الخسارة من قسمات وجهه الحزين بل وتنبأت به حتى قبل دخوله لطلب المساعدة من أمهم والآن أعلنوا الانتظار حتى أتى أبيهم وتفاجأ بجمعتهم التى لا تكون إلا لمطلب يكلفه الكثير فيما بعد.
أنزل أبيه حقيبة عمله وقال متقلقًا:
-خير يا آل جلال.
قام حسام وتوجه إليه وقال:
-بابا أنا عايز أتجوز.
ابتسم أبيه بسعادة وقال بترحاب:

-وماله أحسن برضه، حاطت عينك على حد؟
نظر حسام لأخويه ثم تحول لأبيه وقال:
- أنا عايز أتجوز ميرا.
لم يبدو على أبيه الغضب أو تذكر من تكون ميرا تلك وقال:
-أول مره أسمع الاسم الغريب ده، مصريه؟ بنت حد نعرفه؟
-ميرا منير الدويري.
تغصن جبين أبيه لما سمع اسم غريمه يتردد ببيته وقال بعصبية:
-عايز تجوز بنت منير الدويرى السفاح، دى أكبر منك وسبق لها الجواز.
-أنا ماليش دعوه بأبوها أنا عايزها هي.
استدعى أبتهه بعضًا من الهدوء الذي هرب منه فور سماع الاسم المحرم ثم طلب مباشرة من الصغيرة الدخول لغرفتها للإقصاء من حديثهم القادم. امتثلت الصغيرة ولكن بعدما أمسكت بعضدد أخيها للمساندة عند الضرورة ودلفت لغرفتها فقال أبوه بعدما تأكد من جلائها:
-إنت مش عوزتها وعازتك عايز منها إيه تاني؟
نظر حسام لأخيه الواشي بلوم ثم تحول لأبيه قائلًا:
- عايز أجوزها.
تنهد اللواء وقال:
-بص يا بنى انت صغير وهى حلوه، أكيد ضحكت عليك انت تطلع إيه يعنى دى أمها رقاصه، بلاش منها يا حسام شاور على أى واحده غيرها وانا أجوزهالك.
-انا مش عايز غيرها.
-وانا قولت لاء بلا رجعة.
-هجوزها وأسافر بيها.

حمل أبوه حقيبته بهدوء وقال:
-يبقى مش هتسافر وهيضيع عليك تعب السنين مقدمًا قبل ما تضيعه بنت الرقاصه.
تركه أبيه ودلف لغرفته فتحول لأخيه الواشي وصاح به:
-إنت وسخ.
أجابه أخيه بحدة:
-وانت أهبل عايز تجوز واحده مطلقه وأكبر منك وتاريخ أهلها مشبوه.
الآن فقط تذكر أخيه أن عائلة الدويري تحاوطها الشبهات لمجرد أن أخيه الأكبر يريد التزوج من سليلتهم، لا يهم فتلك طبيعة البشر التائقة لكمال ذكر بأكثر من موضع بأنه لا مكان له على الأرض.
هذا الأخ الأصولي بدوره لم يتكاسل يومًا عن دعوة من دعوات كريم الباذخة بكل مشتهيات الحياة بل ونصبه أخًا أكبر بوجود أخًا أكبر آخر ابن أمه وأبيه وبالكثير من الأحيان تمنى من قاع قلبه أن يكون آسر الدويري ساكن القصر وليس آسر جلال ساكن العقار المتهدم.
خرج حسام من المنزل الكاره لكل مظاهر الحب ولم ينتبه لنداء الصغيرة له بالمكوث فقررت هنا الدفاع وحيدة عن بطلها. تطرق الحصن، لا الحصون لا تطرق أبوابها بل تحطم ويؤسر من خلفها، برهة للتفكر في أسس الدفاع، لا فقد علمها أبيها أن الحديد يطرق ساخن، ملتهب حتى يطوع ولذلك اقتحمت غرفة أبيها للنضال. أمها جالسة على كرسيها في هم تجلى في عينيها أما أبيها كان يبدل ملابسه غير عابئ بتحطم قلب سنده بالحياة كما يلقبه.
تقدمت من أبيها وقالت:
-حسام مشي.

لم يبالي وأكمل ارتداء ملابسه فأردفت:
-يا بابي ميرا طيبه أوي والله مش زى اونكل منير خالص.
-ما تكمليش مواضيع الكبار يا هنا.
-يا بابي أنا كبيرة أصلا.
تحول عنها أبيها لأمها وقال:
-انا تعبان وعايز أنام خدى هنا وديها اوضتها.
هذه المرة لم ترضى بإقصائها من حوار جاد يخص العائلة وأنزلت عن كتفها يد أمها التي تحثها على المضي وتوجهت لأبيها وقالت:
-عشان خاطرى يا بابي، إديها فرصه إتكلم معاها هتعرف إنها طيبه، دى بتحب حسام أوى.
جلس أبيها على طرف السرير ودعاها لجاد الحديث لأول مرة لما قال:
-ببساطه ومن غير ما نذكر منير، ميرا إتجوزت قبل كده وإتطلقت وحسام لاء وكمان أكبر منه بعمر تاني مش سنة و لا اتنين تفتكرى إنها مناسبه لحسام، هيبقى كويس يعني لما ولاد اخوكي تبقى جدتهم رقاصة، لما الفلوس الدويري اللي جايبها من كل سكة غلط تخش بيت اخوكي تخربه زي ما جات من خراب البيوت.
-طب وميرا ما لها لو كان باباها وحش ولا إجوزت قبل كده، انت وماما. . .
قاطعها:
-ايوه يا هنا أنا وماما سبق لنا إحنا الاتنين الجواز ده غير انتِ عارفه ظروفي أنا وماما كانت مختلفه وبعدين انتي هتقارني ماما بنت الإتربى باشا لبنت الرقاصه، انت لو بتحبى حسام وعايزه مصلحته تحبيه تشوفيه مع واحده مؤدبه وبنت ناس ومن سنه.

لا تعلم كيف يقنعها بكل مرة بنقيض ما تراه صحيحًا واضحًا وضوح الشمس ولكن لا زالت لا تريد لأخيها الحزن فقالت:

-وإفرض حسام زعل وتعب وجاله ديابيتس زيي هتبقى مبسوط؟

لمعت عيون أبيها بالأسى على حالها المرير ثم قال مغايرًا بمرح:

-من الناحيه دي إطمنى هو حيطه مش حساس زيك

# [ مالك مراد ]

سنوات وسنوات من الجهد والعرق والكفاء في كلية الحجيم والآن فقط شعر أنه فخر أبيه بعد أن كان نكبته. سمع من كل من حوله أنه أرهق أبيه منذ تكوينه بأحشاء أمه لأنها كانت ضعيفة وفرصتها بإنجابه ضئيلة خاصة فور ولادتها لأخته الكبرى. كانت ولادته متعثرة وكادت أن تفقد أمه حياتها بها لأن أبيه استعجل الولد ولم ينتظر من أمه التعافي. كان مثال الطالب المستهر بمقاييسهم واستعوض أبوه الله به مرات عديدة صائحًا بغيظ أودى به إلى طرق الأمراض المزمنة من ضغط وسكري وبعض العلل بالقلب، حتى المعجزة التى تلتها باقي المعجزات طالب بالكلية الجوية ثم أحد المتفوقين فيها والآن تأكد قرار بعثته للولايات المتحدة الأمريكية ليكون مبعوث بلاده في أرقى مراكز تعلم الطيران العسكري بالعالم أجمع.

بانتظار موعد طائرته التي سوف تقله للعالم الجديد، قابع بفيلا الزمالك وحيدًا بعدما ألحت عليه العائلة بالمصييف معهم للوداع الأخير بإذن الله ورضوانه. حسبهم، آخر أيام له بالمحروسة يقضيها مع العائلة التى قضى معهم عمره السابق لذلك فضل المكوث بالفيلا برفقة الخادمة الجديدة ؛ ورد. باليوم التالي لها بالفيلا شاركته غرفته وعبَّأتها برائحة المخللات التى تصدر منها على الدوام، فاتنة من أدغال شمال الدلتا جاءت ساعية للرزق بالبلد الكبير حتى وفقت ووجدته بفيلا الزمالك.

هاتفه يدق بإلحاح المدين حتى نجح بإيقاظه بعد ليلة طويلة بصبحة الورد، سحب الهاتف من أعلى الكومود بما تبقى لديه من طاقة بددها على قطف

الورود ونظر مثقلًا لشاشة الهاتف المضيئة باسم سكرتيره الخاص الذى كلف أبيه بمهمة إقناع اللواء جلال بالعدول عن عقاب كل من شارك في تخريب زفاف سعاد خطيبته السابقة فأبا مازن تربطه علاقة صداقة وزمالة طويلة مع اللواء وقد يفلح في رفع العقاب عن بعض الطلبة المساكين ومن ضمنهم ابن اللواء البكر.

أجاب المتصل بحنو قائلًا:

- عايز إيه يا حمار؟

-كنت محتاج حاجة كده.

اللعين يريد مقابل رغم أنه من ضمن المعاقبين على الجرم فقال مالك متسائلًا:

- فلوس يعنى؟

-لاء. . فلوس إيه !! لما أشوفك أقولك إنت فين؟

بفيلته وبانتظار لجديد الأخبار ولتكن طيبة وإلا صببت الويلات على السكرتير الخاص. استعد مالك لليوم الجديد والذي كانت بدايته الخامسة عصرًا ونزل لملاقاة سكرتيره، بانتظاره منذ نصف ساعة تقريبًا جالس على صالونهم الفاخر يتلفت من حوله كمن ينوي سرقة شيء أو لتألف عيناه ألق الترف الذي يراه لأول مرة.

جلس مالك بجانبه وقال:

-منور عايز إيه؟

-بصراحه يا مالك أنا كنت عايز أستلف منك طقم.

-طقم إيه؟

-قميص وبنطلون.

وماذا سوف يستعير مازن بخلاف ذلك؛ طاقم أزرار ذهبية وهو لا يملك حتى

بدلة رسمية !!!! بأي حال اصطحب مالك سكرتيره لينفذ له أول مطلب ألقاه على مسامعه فمنذ رآه لم يتواني عن تحقيق كل مطلب له بلا أدنى تملل. لم يكن إصغاء مازن له مشترط بالتبادل النفعي بين الطلاب القدامى والمستجدين ولكن للحق يكن مازن له معزة طائلة وكل ما يتمناه من الله أن يكون خليفة الديب الذي لم يبخل عليه بمعلومة قط بأى مجال سواء الجوي أو خلافه.

المطلب لغرض يعلم عنه مالك الكثير حتى قبل أن يبوح السكرتير بالكامن في سريرته، عشق الأبله جميلة صادفها بزفاف سعاد وضُرب من أجلها وليس من أجل الديب كما زعم أمام الجميع متفاخرًا إنما لا ضير من إصابة عصفورين بحجرٍ واحد أو لكمة واحدة تلقاها مازن من أجل الجميلة والوحش.

دلف مالك برفقة سكرتيره لغرفته ليختار من خزانته ما قد يناسب نزهة مع فتاة غير مكتملة الأنوثة إنما تملك وجهٍ حسن سوف يزداد بهاءً مع الأيام. لم يجد مالك شيئًا بخزانته قد يناسب القصير النحيف فزفر بضيق متحيرًا وليس متململًا كما شعر مازن حيث قال متحرِّج:

-مش لازم شكرًا.

أوقف مالك الخَجِل الصغير قبل أن يخرج من غرفته حزينًا مدحرًا وساقه لغرفة أخيه الأصغر، بحجم مازن تقريبًا وبآخر رحلة له في الخارج اشترى العديد من الملابس والتي ليس في حاجة إليها لأنها لم تبدل به شيء وسيظل ظل أخيه الأكبر ما حيى وأيضًا يريد رؤية وجه أخي لما يعود من المصييف ولا يجد ملابسه الفاخرة أو حقيبة السفر النسائية التى جلبها من لويس فيتون.

عبَّأ مالك الشنطة الفاخرة بالملابس الجديدة ثم ألقاها على مازن فكادت أن توقعه أرضًا من ثقلها لولا تماسكه وقال:

-دول هدية منى ليك عشان جدعنتك معايا.

حدجه مازن بغضب وألقى الحقيبة عليه مجددًا وقال:
-أنا مش بشتحت يا مالك. . أنا بستلف منك لبس زى ما بستلف من أى واحد صاحبي.
تقدم مالك منه وناوله الحقيبة بهدوء هذه المرة وقال متداركًا:
- إيه العبط ده!! أنا مش قصدى يا ميزو. . دى هدوم أبويا جابها وطلعت صغيرة عليَّ وكنت كده كده هوزعها وإنت حبيبي إتروقت معايا فى فرح ساسّو وطلعت جدع وبعدين إعتبرها رشوة أبوك عمل إيه مع اللواء جلال؟
ابتسم مازن برضى وقال:
-و لا حاجه هتسافروا آخر ناس برضه وأنا وعمرو ومايكل أخدنا أسبوعين تأديب وخصم عشرين درجة من المجموع الكلي.
قلت مستسلمًا لأحكام اللواء الجائرة:
- حسبي الله و نعم الوكيل. . إيه الإفترى ده؟!
تقبل مازن الهدية ونزلا للغداء الذي لم يعد بعد. نادى مالك على ورد وافته بعد وقتًا طويل، يبدو أن الغرور طالها لما سكنت الأعالي وتركت غرفتها الأرضية بالحديقة فقد لمحت أمه نظراتي التائقة للورد فبدلت غرفة الخدم التي بجانب المطبخ للحديقة ليحي الورد بلا مالك ولكن هيهات الورود دائمًا تتوق لمالك حنون يرعاها.
وأخيرًا لبت، دخلت عليهما الردهة تتمايل كنخلة باسقة فورد امرأة لا تملك أي نوع من التناغم أو التناسق بجسدها فقط ملامح معتمة قد لا تثبت صلاح قضيتها كامرأة إلا من قبل قاضي متبصر مثلي. .
- هاتِي عصير فريش وإعملي غدا. . تاكل إيه يا مازن؟
-ما تتعبش نفسك أنا كنت ماشي.

حسبه هذا المازن ما دخل عدوٍ أو صديق لبيت رجل صعيدي إلا ونال من واجبات الضيافة ما يناله ملكًا وليس سكرتيرًا متقاعد فقلت مشددًا:

- والله أبدًا لازم تتغدى. . ثم تحولت لورد وأردفت. . بصي يا وردة إعملى فراخ جريل ولا أقولك ما تعبيش نفسك أطلبيها ديلفرى.

ما إن ذهبت الخادمة غامزة لي بميوعة حتى سأل مازن متبحثًا:

- مين دى يا مالك. . أختك؟

-انت فاكر لو كانوا إخواتي في البيت كنت دخلتلك من الباب. . دي الشغالة.

أعد الغداء وجلسا للمائدة بينما يؤكد مازن أنه تناول غدائه مع عائلته وليس علي الديب إغداقه بكرم الصعايدة العارم ذاك. كرم الصعايده أفلح مع المتخم من غداء عائلته حتى أنه أكل دجاجتين وشرب دورق عصير البرتقال وطبقين من الأرز وطبق السلطة الكبير ووضع مالك يداه أسفل المائدة خشية إلتهامهما إلى أن انتهت المائدة ورفعتها ورد ثم عادت بالشاي والحلوى بالمجلس المطل على الحديقة.

ربت مالك على ركبة مازن وقال متسائلًا:

-أخبار الفراشة الزرقا إيه؟؟ عرفت تظبطها؟؟

نظر مازن له متحيرًا وسأله متخم الفم من الحلوى التي يتناولها على عجالة بلا أسباب:

-انت بتكلم على مين؟

-البت اللي إتحمقت عليها في فرح ساسو.

قال متخبطًا:

- أأأه. . ماشفتهاش تاني.

- أومال جاي تاخد الطقم عشان تخرج بيه مع مين يا معفن؟! ياض إتكلم

ماتخافش أنا مسافر خلاص وبعدين مش كيفي العيال أصلًا.
أجابني مازن مستنكرًا بشدة:
- يا عم ده انت كنت بتتطحن ضرب وعينك ماتشالتش من عليها.
-طب يا عم ما تزعلش طلعت بنت مين بقى؟ أصل حاسس إني شفتها قبل كده.
-بنت الجنايني بتاع الفندق.
- يا ابن الكدابة البت كانت شقرا يعني فيها عرق أجنبي وكانت لابسة حلق ألماظ بيضوي في الضلمة.
-لا عرق منصوري أصلها من المنصورة. . و الحلق إكسسوار.
-بتتخابث عليَّ يا مازن. . ماشي. . أما قولي مالهاش إخوات بالألوان زيها بس مليانين شوية.
أجابني مازن والغيظ يقطر من كلماته:
- ما انت مسافر لبلاد الشُقر والحُمر. . سيبهإلى يا مالك الله يخليك.
وكأنه قد يفعلها وإن فعلها بمرة سابقة فقد كان لمازن صديقة بالنادي ولكن للحق لم يكن ليفي بمطلباتها الصغير فلجأت للكبير والكبير لا يرد مطلبًا ومن حينها أثر الصغير الكتمان على كل ما تطاله يده من نعومة. نالت نبرة مازن المتوسلة من مالك فربتُّ على يده المحملة بشتى أنواع الطعام مطمئنًا فالديب سوف يترك الساحة المحلية للعالمية.
-الضيف اللي مش محروم ياكل ويقوم. . سلام أشوف وشك بخير يا ديب.
قالها مازن بعد أن أنهى ستة قطع من الجاتوه وفنجانين من الشاي والآن يهم بإلتهامي أو ضمي وتقبيلي على وجنتي مودعًا بكل ما يحمله فمه من بقايا الكريمة والشيكولاتة بالجاتوه.

غادر مازن ظافر فلاحق مالك اتصال آخر مريب فقد كان الاتصال من الدويري الصغير يطلب وجود مالك الحيادي في لقاء يجمعه بالحسام قبل قتله، هذا ما قاله الدويري حرفيًا محذرًا.

الطريق لأندريا لا يستلزم أكثر من عشرة دقائق بسيارته وبالدقيقة السادسة وافته مكالمة أخرى، كذلك من صديق وأخٍ أصغر لأقرب الأصدقاء وكان آسر. يطلب العون منه أيضًا ولكن ليدفع عن صديقه الصديقي فكرة التزوج من حبيبته بكل ما تحمله من مساوء. مطلقة تكبره بإحدى عشر عام ابنة رجل أعمال مشبوه يشهد له الجميع بالإجرام وبالنهاية كانت أحد زوار مركز الزمالك الثقافي ومع كامل الأسف كان على دراية بكل تلك المساوئ التي تلاحق الحبيبة وعددها على مسامع صديقه الصديقي ولم يستمع للنصح وظل على انعواجه، يقضي ليلة الجمعة والسبت مع كريم ونهارهما مع أخته. تعثر، خرق، دناءة، حماقة أسمى علاقة حسام بميرا إنما الحسام يجدها العلاقة التي أعادته للحياة ونهايتها مماته، بل مماتهما يقصد الحبيبة التي أقسمت بكل قسمٍ غليظ بأن تقتل نفسها إن تخلى عنها الحسام، لا يعرف الحسام أن كل امرأة بالوجود صاحت بهذا القسم لرجل إنما لم تقدم على تنفيذه يومًا.

يقسم مالك بالله العلي العظيم قسمًا يحاسب عليه أمام الجليل بأن كريم كان يعلم عن تلك العلاقة منذ نشأتها البريئة حتى التلطخ بالأوحال ولكن فيمَ الصمت المهين كانت الإجابة لدى الكريم فقط ولأعجب الأعاجيب باح بتلك الحقائق لصديق لم تتجاوز معرفته به لشهور قلائل ولكنه أباح لأنه يعلم أن كلماته سوف تسقط ببئرٍ قعير إن سقطت على قلب ديب أليس كذلك؟

-طبعا يا كريم يشهد ربنا كل كلمة هتقولها إعتبرها إتمسحت من نفوخي إلا لو طلبت إستدعائها بأى وقت لصالحك.

---

ميرا عانت كثيرًا في حياتها الماضية معاناة قد لا يتحملها رجال وليس امرأة رقيقة مثلها، ميرا لكريم ليست أخت فحسب فقد كانت أمٌ وناصح وواعظ، تشبه أمهما إلى حدًا ما كبير وكذلك هي ما تبقى من الإنفاس الأم من حوله ولأنها الأم الباقية على قيد الحياة وإن كانت أخته الصغرى لم يستطع منعها من نفحات السعادة الوحيدة التي تنسمتها في حياتها القصيرة ولو تمثلت برجل مثل الحسام ، مجرد طفل ضعيف مرتعد ليس في وسعه حماية ميرا أو حتى حبها.
للحسام أختًا صغيرة بالثالثة عشر من عمرها أو أكثر كانت تلعب برفقة ميرا لما كانت أصغر من ذلك بالكثير، ميرا لم تجد هنا مجرد طفلة صغيرة تؤنس وحدتها بصحاري التجمعات ولكن وجدتها الابنة التي ليس في وسعها إنجابها أبدًا فقد حرص زوجها السابق على حرمانها من أمومتها بصفة نهائية لأنه كان حيوان سادي له وجهات نظر غريبة بالحياة ومن ضمنهم أن فرعون إله والآلهة لا تنجب وهو يجد نفسه فرعون حتى أن ذلك الاسم لقبه بسوق الأعمال للآن.
ابنة الأخت الروحية؛ هنا تعلقت بجارها تعلق أخوي لأنها كانت وحيدة بوقتًا ما حتى ظهور الأخوين فجأة في حياتها. أحد الأخوين اقتحم قصر الدويري بدون سابق إنذار أو معرفة مسبقة وطلب من رجل يراه لأول مرة أن يكف عن ملاحقة صغيرة بعمر أولاده وكانت ملاحقة كريم للصغيرة هو الابتسام والتحية من نافذته لنافذة الصغيرة. كريم الدويري لم يطلق الرصاص على مقتحم قصره أو على الأقل استهزء به وبأخته تلك وطرده من القصر ولكن استمع وامتثل ومن لم يمتثل الحسام فما قول مالك؟
وحينها تأكد لمالك حدسه، يعرف الكريم مدي عمق علاقة أخته بالحسام وبانتظار حسام الموت على الطريقة الدويرية المبتكرة. ابتلع مالك ريقه بصعوبة متخوفًا من غضبة الدويري على الصديق الأقرب وقال:

-بص يا كريم انت راجل مُتفتح لفيت الدنيا بطولها وعرضها، مش فلاح، ووووو، أأأأ، حسام عايز أختك في الحلال يعني خلاص ما يتعبش عليه.

تلفت كريم بأركان أندريا الزمالك بتملل ليخفي حنقه من صعيدي امتنع عن الحيادية لصالح صديقه الأقرب ثم عاد إليه يقول:

-مش حيادي يا مالك، خذلتني.

-عايزني أقولك إيه يعني يا كريم، روح أقتله وإقتل أختك، العقل بيقول نلم الموضوع أحسن وبعدين ماله حسام ابن ناس والمستقبل أدامه وممكن يضيع بسبب الهانم أختك، أبوه خيرَّه لا ينساها لا ينسى مستقبله وهو اختار يكمل معاها. . بيحبها والله يا كريم و مستعد يموّت نفسه عشانه.

-كان نفسي أكون متفتح زي ما انت بتقول وأسيب ميرا تعيش الحياة اللي تختارها وتسعدها زي ما سبتها طول السنين اللي فاتت وسكت، لكن الحل مش عندي.

-قصدك أبوك اللي رافض؟

-بالظبط.

وقبل أن يسأل الكريم عن سبب رفض أبيه جاء الحسام معفرًا بالغضب ينظر لكريم بدونية بلا أدنى خجل من فعلته السوداء والتي مستمر في فعيلها فالأحمق برفقة الجميلة بإحدى قصور الدويري ويحيى معها حياة الأزواج على مرأي ومسمع من الجميع والآن يصيح بالكريم:

-نعم، طلباتك؟

أشار كريم لحسام أن يجلس فامتثل رغم النظرات النارية التي ألقاها حسام على كريم منذ دلف للمحال.

قال كريم:

-طلبي معروف أصاد معروف، إبعد عن ميرا جوازك من ميرا هيخسرك ويخسرنا.
-ميرا هتسيب لمنير بيه حق الإداره فى كل أملاكها مفيش خساره يا كريم.
ابتسم كريم وقال بتهكم:
-انت فاكر إنك أنت أو حتى ميرا تقدروا توقفوا عجلة الدويري؟
-خلاص يا عم ربنا يوفقوا ويدور عجلكوا كمان وكمان بعيد عننا.
-والمعروف يا صديقي؟
-معروف إيه يا راجل يا أهبل أنت! هو أنا لما أقولك إبعد عن عيلة صغيرة من دور عيالك يبقى معروف؟!
-بلاش المعروف عشان أخرته إيه يا مالك؟
أكمل مالك لكريم:
-ضرب الكفوف يا كريم، براحه كده وأتفهموا بالعقل.
كان حديث الكريم متعقل للغاية وليس في حاجة لنصح حيث قال بهدوء:
-ماشي، عندي ليك عرض أكبر يا حسام، أضخم والاستفادة للجهتين هتكون عظيمة.
أجابه حسام بطواعية:
-موافق مقدمًا، أهم حاجه عندي ميرا.
-جميل، جميل جدا، إشهد يا مالك على اللحظة التاريخية دي، أنا بطلب منك يا حسام إني أجوز هنا وفي المقابل تجوز ميرا ومش لازم جلال يجي لمنير ولا منير يروح لجلال يخطب هنا، انت تجيبلي هنا لحد فيلتي تاخد ميرا، أظن كده فير.
صاح به الحسام:
-إنت إجننت يا كريم، انت واعي للكلام اللي بتقوله؟!
-في كامل وعيي وأظن هنا مش هترفضني ووعد مني قصر التجمع والمريوطية

اللي انت جاي منه هيتكتبوا باسمها.
نظر مالك لحسام وقال هازئًا:
-ملكش حجة خدله أختك تاخد أخته وعليها قصرين. . ثم تحول لكريم وصاح معقبًا. . تجوز مين يا عم الحاج هنا دي عندها تلاتاشر أربعتاشر سنة هتجوزها إزاى؟
-بسيطة نفس المأذون اللي هيجوز ميرا على حسام يتراضى ويجوزني هنا ووعد تاني مني مش هلمسها غير لما تتم سن الرشد مع إنها كبرت دلوقتي وبقت عروسه ويمكن مقدرش أصبر ولا حتى هي، شايف إيه يا مالك غلطان أنا؟
ما رآه مالك قبضة حسام تتهادى لتلتصق بوجه كريم وكان يهم بالمزيد ولكن أمسك به هو وجمع من الندال الذين لاحقوهم لإنهاء العراك. لكمة حسام أسقطت كريم عن كرسيه ألا إنه عاود النهوض بينما ينفض عن بدلته الراقية أغبرة الأرض التي سقط عليها ولكن مبتسم ويقول لمالك بنفس الهدوء المريب:
-صاحبك غريب يا مالك أناني عايز مصلحته لوحده.
اللعنة على مالك وكريم وحسام وتلك الأيام الغابرة التي أرته رجلين يقايضا أختيهما بهذا الرخص المتناهي، الأول ترك أخته لصديقه ليرفه عنها ماضيها المؤلم والآخر يبدو على أتم الاستعداد لاختطاف أخته من كنف أبيه ليسلمها لرجلًا آخر شاذ النواذع لينجذب لطفلة بعمر أولاده. شاذ النواذع جلس على كرسيه مجددًا وأشار لهما بكلتا يداه بعنجية ليجلسا لاستكمال المقايضة الآثمة ولمزيدًا من الغرابة جلس حسام ومالك من تأخر جلوسه قليلًا حتى اتخذ القرار وأصبح طرف ولكن غير عامل بتلك المقايضة.
-أنا مش فاهم أنا مش عجبك في إيه يا حسام انت وأبوك، قليل، فقير، حرامي وخطاف نسوان زيك انت وأبوك.

احتد حسام قائلًا:
-ابويا مش حرامي، ابويا كان يعرف فدوى قبل ابوك ، ابوك هو اللي حب يصطاد في المية العكرة زي عوايده ، كان عايز ينضف لما يجوز الدكتورة بنت الإتربي باشا حتى لو على حساب صاحبه.
-وإيه كمان؟
-متهيإلى كفاية غلط لحد كده خلينا في اللي إحنا فيه.
-انا عايزك تغلط عشان لما أحط في جيبي تركه هناوة الموثقة بورق رسمي لهنا جلال عبد المقصود المرعي وأرميك أنت وأهلك رمية الكلاب من قصر دمياط محدش يعيب علي ولا حتى هنا.
صاح حسام بفخر ليس له معنى أو داعي:
-هجوزها يا كريم وهنا هتفضل في بيت أبوها لصاحب النصيب اللي هيدق على باب اللواء جلال ويبوس إيديه والعتب لحد ما ابويا يديهاله في النور مش كل الطير يا كريم باشا.
كلمات حادة ولكن وجب قولها منذ أمد علّ الأمور تعود لنصابها وينصب الاهتمام على الهاربة الناضجة وليس القاصر الهاربة على الطريق، كلمات حادة ولكن لم تؤدي مهمتها على أكمل وجه أو أي وجه فملامح كريم على ارتخائها الهادئ الوتيرة ولم تمسه الكلمات بسوء بل قال متهكمًا مخاطبًا مالك:
-صاحبك بيغلط يا مالك في الست اللي قولتلي أنه مستعد يموّت نفسه عشانها، يرضيك؟
نكز حسام ليفيق من غفوته قبل إستفاقة الأخطبوط المنتظرة والمؤكدة بعد هذه البرودة الكاسحة:
-ما تخلص بقه، مش عايزينك، واللي هتعمله إنهارده هيتردلك بكره أضعاف،كريم

مش عايز أختك ولا زفت ده بينورك في وسط العتمة اللي وقعت فيها.
تنحت نظرات الكريم عن حسام للمتحدث العليم بواطن السرائر المعتمة للصديق الجديد والتي ليست معتمة إلى هذا الحد فكل ما يحاول كريم فعله الآن هو عقد مقارنة ظن إنها قد تفلح مع الحسام ليبتعد وإلا تلقى نفس المصير وأسوء ولكن الحسام مغتر بأخلاق الأخت الصغيرة وسهى إنها منذ سنة واحدة تقريبًا كانت تطمح بتزوج هذا الرجل وهذا الرجل رغم أنه الدويري إلا إنه يملك أخلاق نبيلة ليست للحسام وابتعد عن درب الصغيرة الصغير.
متعجبًا الكريم من يقين مالك لنياته يبدو أنه سهى أن يخفي ألق عيناه كلما نطق باسم الهنا الصغير، الهنا الصغير هو الشيء الوحيد الذي كان يجعل أمه الراحلة تبتسم براحة فكلما رأتها الأم كانت ترسم الأحلام البعيدة المنال لأبنائها المعذبين. أرادت لميرا ابنة تمنحها ما حرمت منه عنوة كما أرادت لكريم أن يتزوج الصغيرة المولعة به ليظفر بذات الأنساب النبيلة على عكس أمه تمامًا فقد كانت الأم راقصة والأب حارس لصالة الرقص التي كانت تعمل بها.
الولد ادعى تصديقًا لكلمات أمه وتركها لأحلامها المحتضرة مع جسدها فهو لم يرى بهنا إلا أول مولودة حظى بها وليس شيئًا آخر فهو ليس بهذا الاعتلال أو الغباء ليظن أن جلال قد يزوج ابنته الوحيدة لبكر الزوج الأول لزوجته الثانية.
اليقين بعيون مالك جعل كريم يصيح صيحة متأخرة بعدما أتلفت أعصابه بهذه المشادة العقيمة:
-وعشان هنا، هنا وبس، انت لسه ليك عُمْر انت وأبوك وأمها
ثم قام كريم وضرب الطاولة براحته بعصبية كبيرة أسقطت أكواب التيكلا الصغيرة الفارغة أرضًا وأردف:
-اللي لكريم الدويري مش لغيره إفتكرها كويس. . ولو عايز هنا هسلخها من

على جلدك إنت وأبوك وعيلتكوا راجل راجل.
أمسك كريم الحسام من تلابيبه بعدائية وأردف من جديد:
- كل اللي عدى عدى بمزاجي فلمصلحتك بلاش تعكر مزاجي، تقعد مع صاحبك تألفوا فيلم محبوك يخش على ميرا وتخلع بشياكة وإلا و رحمة أمي أدفنكوا كلكوا في خرابة واحده وأنصب فرحي على نوننا من فوقيكوا وأخلص فيها كل اللي شفته من يوم ما سقطتوا على راسي.
ثم نظرة تلزم متلقيها بإخفاء ما فطنه فالكريم لم يكن ليمس الصغيرة بسوء ولكن دونها الكل عرضة للمساس. قد يفعلها الدويري ويدفن عائلة اللواء ببيته وعائلة المنشاوية كذلك بلا أدنى تردد ومن أجل الصداقة ومعروف لا يعترف بتداعياته عاشق عليه بنصح حسام بالتراجع عن دروب الدويري فشفاعة هنا قد لا تصمد طويلًا.
سحب كريم مفاتيح البي إم المكشوفة موديل هذه السنة وهاتفه النقال عن الطاولة وغادر مبتسم كما جاء فقد تلمس الخوف ينخر بعظام الحسام، ولا داعي لإبراز كلاباته الأخطبوطية أكثر من ذلك.
-قعدتوا معانا خلته أبيح اوي، ده ما كنش بيجمع كلمتين عربي، بقه بيردح، أما قولي مين هناوة ومين نوننا، دلع أختك يعني ولا حد تاني تبعكوا.
لم يجيبه الحسام فقد بكى المخنث منوحٍ حتى اجتذب ساكرين أندريا لطاولتهما أكثر عن ذي قبل، ربت مالك على كتفه مهونًا بينما يقول:
-خلاص بقه فرجت علينا الواغش، الله يخربيت الحب و سنينه.

# [ ميرا الدويري ]

لهثت بغرفتها من وراء عقارب الساعة منذ الثانية عشرة بمنتصف الليلة السابقة للثانية عشر ظهرًا لليوم الأخير والمتمم لسنوات الجحيم والآن موعدها مع الحياة. حقيبة سفرها مفتوحة ترى تغلقها على ماذا، ملابس مهترية لا يفضل رؤيتها عليها، كتب وروايات لم تعد في حاجه إليهم بعدما كللها بطلة لروايته، أم وجهه الذي يحاوطها بكل مكان ولن يكون له وِجهة بعد اليوم إلا لوجهها.
إلا هذه المرة لن تدفن بأحشاء غرفتها ببناء الخضوع لتهرب رغم أنها لم تكبل بأصفاد أو صفدت عليها أبواب. لم يطلب منها أحدًا يومًا المكوث إذًا لتكن هاربه من عشرون عام تحترق لتحرقهم وتذر رمادهم من أعلى قمم الآماد البعيدة. جاء من تدعوه الأوراق الرسمية أخًا يصف سيارته أمام مدخل القصر إنما لما رآها مقبلة صف سيارته بالخارج ليترك لها حرية الولادة من الخاصرة.
أبعدت ناظريها عن عيونه التي خذلتها فهي لم تكن بالأمس الاهثة الوحيدة من وراء ساعات السأم فقد كان من خلفها عيونه تتبعها بكل مكان إنما لم تمنعها من حياة سرقت منها بينما هى الساكنة المستكينة لأهوائه وأهواء أبيه، ثلاثون عام تبحث عن مخرج، منفذ للهرب من كهفهم الفاسد وها هى الآن ترحل إلى من حسم النتيجة لصالحها أخيرًا. حملت حقيبتها لتضعها بالبورشا خاصتها إنما ثقلت الحقيبة وتسمرت بالأرض رغم إنها نفس الحقيبة التي حملتها من غرفتها ونزلت بها الدرج والآن لا تستطيع وضعها بحقيبة السيارة بعدما أثقلتها عيون أخٍ لائمة. حملها عنها ووضعها عنها ثم أسكن رأسها صدره عنها أيضا لآخر اللحظات معه. يقبل رأسها ويملأ صدره من عبقها فابتعدت عنه لم يكن

أخًا يومًا ولم تكن لتبقى لتكون عيون أمه من حوله وهي ليست أمه حتى لو إمتلكت قسماتها.

فتحت باب السيارة فقال:

-علي فين؟

لم تلتفت حتى إليه وقالت:

-ما دخلك.

-ضعيف يا ميرا ما فيه يحميكي.

وحينها حان التفاتها لتواجهه بحقيقته وقالت:

- وانت اللي فيك تحميني؟! انت الضعيف مانك رجال أصلًا.

وتركته وركبت سيارتها وخرجت من قصر التجمع الخامس لقصر المريوطية وجدته كما تركته على كرسي بالردهة جالس عليه منذ ساعات يدخن سجائره المحلية الصنع. يبتسم بثقل لعودتها إنما يبتسم بأي حال وحينها عاد الأمل إلى نفسها لما تفرست بثنايا وجهه الحالم الذي فقد بعضًا من الأمل بعد صنيع الأب والأخ والذي لن يردعها عن مسعاها. العاشق المخطئ فقد أخبرته أنه الوجود ودونه لا وجود وأصرر على الصحيح فاصطحبته لصرح الدويري بالسادس من أكتوبر لما رآه ملئه الضيق أكثر عن ذي قبل فقد شعر بضئالة ليست له لأنه فتى المشاعر مثل سنوات عمره الصغير ولا يعلم أن الصروح تبنى على رفات الجثث ومنهم جثمانها. يده بيدها منذ دلفا لبداية الصرح لنهايته حتى مكتب مدير مجلس الإدارة؛ أبيها.

بانتظارها وبرفقته شيطانه المارد يقف بجانب مكتبه يعرض عليه صفقة جديدة لا تسقط إلا لصالحه أو لا تسقط. الشيطان الأعظم يحدق بالعاشق بغلًا دفين كما كان يحدق بأبيه كلما التقيا بعدما سرق منه السعادة الوحيدة التي أمنتها

له الحياة؛ مجرد امرأة تدعى فدوى.
يبتسم أبيها لحسام ويقول مرحبًا:
-يا أهلا بإبن صديقي العزيز وبلدياتي، إتفضل يا حسام.
حسام لم ينقل قدمه من آخر موضع تركته به فقد جمدته كلمات الشيطان ولكن أذابتها وسحبته ليجلس أمام مكتب أبيها ليستكمل تحديقه البارد بمعشوقها.
-تشرب إيه يا حسام؟
-ولا حاجه يا منير بيه، أنا جاي إنهارده أطلب إيد ميرا من حضرتك.
اتسعت ابتسامة الشيطان بينما مريده أو أخي العزيز الذي يظن أنه حمايتها نظر للعاشقين بنفاذ صبر مستنكرًا حتى المحاولة لنيل ما أمنته الحياة فمن هو لينكر أو أبيه الذي قال:
-الناس بتجوز كده يا ابن الأصول فين أبوك، مش المفروض يجي لحد عندي عشان يخطبلك ولا أنا نسيت الاصول وفاكرها انت وابوك لوحدكوا.
وحينها استعاذت بالحب من كيد الشيطان وولده وصرخت به:
-انت اللي عملت كده في نفسك منير ، ياللا حسام.
ألا أن حسام عاد للجمود أو عاد لمَا تبقى من حوزته من محاولات مضنية فقد قال:
-حضرت على دراية بالمشاكل اللي بين العيلتين واللي مالناش دخل بيها لكن أكيد أدام كل حاجه هتتحل ويرجع الوئام اللي كان موجود، جوازي بميرا هيرجع الود ونبقى عيلة واحده.
سخر الشيطان الأصغر ضاحكًا من كلمات معشوقها الملهة ثم شاركه أبوه منهيًا كل محاولة لم تكن لتقدم عليها إلا من أجل العاشق الذي سحقته السخرية حتى أثقلت هامته العالية حد الأرض. ولدفن ما تبقى من الأمل ببوار أراضيهم

القاحلة قال أبيها بجدية:
-تشبه أبوك في حاجات كتير يا حسام مش ناقصلك غير إنك تسرق اللي مش ليك، طلبك مرفوض.
-الله بسماه منير راح تشوف مني إللي ما شفته العمر كله وانت معه، ياللا حسام.
ألقتها على جمع الشياطين وسحبت ملاكها الحارس من وقر الموتى وهما من جلبا ذلك لأنفسهم المريضة، موت سوف ينزل عليهما بعدما تخرج أموالها من شركات الدويري دفعة واحدة وتبيع أسهمها لكل جبار آثم ترائى له الانتقام من الدويري ولم يجد طريق وهي سوف تفسح الطريق. رخو مترهل كان حال الحسام بعد الرفض رقم ألف بيومٍ واحد ولكن ليس اليوم أو الغد، حياتي لي وحدي فقد علمني الشيطان أن النقود هى السبب والدليل والطريق وأنا أملك الطريق الآن ولن يغير مسارى أحدًا أبدًا. نظرت إليه وجدته حقيقي لا زال معها بعد كل ما مرر به اليوم من رفض من الجميع. فارس مغوار يفي بعهوده ويحارب الجبهات ليحصل عليها ولم يحارب من أجلها أحدًا من قبل، ولكن سكنه الهم بوضوح ويريد أن يتزود ببعض التفائل ليكمل الطريق. اصطحبته لفيلا المريوطية التى لا يعلم إنها حتى الآن تحمل ملكية زوجة أبيه ولم تطالب بها لأن زوجها حالم عفوف النفس مثل ولده ويرفض الماضي للحاضر، يرفض أن يتذكر أن فدوى كانت لغيره يمنح ويمسك، يلامس ويبطش، يرفض مال الدويري الملوث بشتى الآثام، حتى أنه يرفض قبول زوجته للتعويض الوحيد الذي نالته من عشرة بلطجيًا خزي. لم يسألها حسام عن وجهتهما وظل صامت منقاد لإرادتها، دخلا الفيلا المهجورة وسحبته ليتهالك على كرسي بعيدًا عنها، جلست بجانبه على الأريكة وطالعت ناظريه المطرقين فأعادت وجه للسماء بأناملها

لترى عيونه الحزينة وتقول:
-ما تقلقش يا حبيبي أنا معايا فلوس كتير، محدش يقدر يتحكم فينا هنسافر سوا ونجوز ونعيش سوا على طول.
أومأ باستحسان ولم ترى ابتسامته فقد نال منه الوغد بآخر كلماته المسمومة فأخلاق الفارس بحبيبها تمنعه من السرقة لا يعلم إنها ولدت من روحه التى أعادت لها روح هجرت أضلعها لما سرقها منير وأهداها لشريك مقابل بضعة دولارات يملك أضعافهم. سحبته للأعلى حتى إحدى الغرف وكان حبيبها على استسلامه لها ولكل محاولاتها لإدخال السرور إلى قلبه ولكن لم تفلح وانتهى سحرها الذي لم يجده بغيرها.
حسام جلال.
استلقى بجانبها وإدعى الكفاء قبل النوم علها تسعد بآخر لحظاتهما المرجحة من الجميع إلا هما. لمَ الجميع ضدهما أبيه، أخيه، صديقه حتى أبيها مسبب الخلاف العتيد، غابت عنه تدريجيًا حقائق أقنع بها كل من حوله وتساءل هل الجميع على الحق وهما الباطل أم قبضة الشر تضخمت حتى أمسى كل خير باطل. أين الضرر بعلاقتهما ما ذنبها إذ ولدت لراقصة وبلطجي آثم لا يأبه لغير مصالحه الشخصية ونقوده المتزادية بإتخام. لا يعلم كم مرر من الوقت وهى ساكنة بين ضلوعه تحلم بالسفر وترك الجميع من خلفها. مسكينة الحبيبة لم تكن إلا مجرد قطة تستجدى الدفئ بحوائط مراجيله، أما هو تحول لطفل خطفته حورية البحر للأعماق ولا زال للآن لم تبت له الخياشيم ويختنق للموت, ودد أن يلمس الحلم إنما خاف تبدده لو أيقظتها لمسة الفارس المرتعشة من أحلامها المشروعة، فارس في طريقه للتحول لشبح زائل أدركته هى قبل أن يدرك أن للبشر عيون تفضح و لا تستر فعيونها شمسه و قمره. يقظة من الغفوة بأي

حال فقد دق محموله، عله أبيه يسأله العودة و لا بد أن يخذله للمرة الأولى بحياته. قام بتحسب عن السريرحتى لا يوقظها من سعادتها وسحب الهاتف من جيب سرواله الجينز ليطالع بفزع اسم المتصل فقد كان أخيها في حاجة لمزيدًا من التضاحك عليه وعلى حاله البائس.

خرج من الغرفة وأجابه ولكن قبل أن يجيب سمع أمرًا مباشرًا لم يجد له إلا الامتثال.

-عايز أشوفك دلوقتي يا حسام، وما تعرفش ميرا.

وانتهت المكالمة علي ذلك فالدويري الصغير يعلم أن أوامره واجبة النفاذ وليس في حاجة لأكثر من جملة ليمتثل حسام أمامه. عاد للغرفة وجدها تتمطى بعناج مبتسمة بوجهه وتقول:

-لما بتكون زعلان، بتبقي تجنن.

ارتدى ملابسه بينما يقول:

-لازم أمشي دلوقتي.

رقبته يرتدي ملابسه بريبة وقالت متسائلة:

-هتروح فين؟

-هرووح البيت وإنت كمان رووحي ونتقابل بكره نتفق على كل حاجه.

أجابته بلهفة:

-أنا البيت حسام، ما تتركني، ضل معي نخلص إجراءات السفر ونسافر على طول.

-خليني أحاول مرة كمان يا ميرا وانتي كمان إعملي زيي، ميرا بابا عيان وحساس جدا وأخاف زعله مني. . لم يأتي بخلده يومًا أن يكون سبب حزن أبيه الذي قد يؤدي لموته فأردف مقتضبًا. . أنا ماشي.

انتهى من ارتداء ملابسه فأشارت له بالاقتراب، فثابر على دربها بكل قوته إنما ماذا تعني قوته أمام قوى الدويري. حطت شفاه على شفافها وأطبق عليها بتوق صيديان منذ مأئة عام لنبع ماء ترقرق على شفتاها وصعب الانسلاخ ولكن لا مفر إنسلخ عنها وتركها وذهب ولم يعد.

وكيف يعود وبأى طريق بعد أن عتم كل طريق، الديب سليل المنشاوية المؤمن بالرجال والعتاد دق الخوف قلبه وتوسل لصديقه أن يبتعد عن أخت الدويري فسواء كان كريم مهددًا باختطاف الصغيرة للمراوغة أو عاقد العزم وجب الخوف فليس بعد تلطخ شرف العائلة حياة. شرف لا يعلم الدويري عن قدسيته شيئًا ولكن فلاح دمياط يعرف ويوقن أن السعادة لا تأتي أبدًا عن طريق شقاء الآخرين بل وأقرب الآخرين، أبًا، أمًا وأختًا صغيرة أوقعها حظها السيء بأخ عديم النخوة مثله. استنكر كلمات مالك قائلًا:

-انا مستحيل أسلمه هنا وهو عارف كده كويس.

احتد الصعيدي قائلًا:

- ما هو مش هيستناك يا روح أمك لما تسلمهاله وهيخطفها هو ولمؤاخذه برضاها أختك عَيّله لو شاورلها واحد زي كريم هتجري وراه.

-أختي متربية يا مالك ومفيش راجل في الدنيا يقدر يمس. . .

قاطعه الصعيدي:

-و ليه نحط النار جنب البنزين ونقول حريقه، إبعد يا حسام لو معرفوش يخلصوا فيك اللي عملته في بنتهم بأختك هيلاقوا الف طريق وطريقه، إبعد وسيب سيناريو الهروب عليَّ.

هاتفه يتراقص على طاولة أندريا المحملة بما سقط عن يد الدويري الغاشمة بعد أن صفقتها ضربة قاضية في الصميم زلزلت كيان رجلين، أسكت مالك هاتف

صديقه الملتوي ألمًا على الطاولة بعدما قرأ اسم الحبيبة على شاشته المضيئة، الحبيبة تصرخ وحيدة تطلب عودته بينما الحبيب على خزيه تتساقط دموعه مثل النساء على فقد قريب. الديب حمل هاتفه وخاطب الدويري مرة فأخرى فأخريات حتى عطف على حالهما المذل وأجاب فقال:

-خلاص يا كريم كل حاجه هتحصل زي ما انت عايز.

عيون مالك عليه في جذل وتردد في نفس الوقت ثم ناوله الهاتف، لحظات طويلة حتى إمتدت يده لهاتفه ليسمع الدويري يقول وصوته ملآن بالسعادة:

-أطلب تلاقي يا صديقي، معروف أصاد معروف وكريم ما ينساش معروف.

-خلي بالك من ميرا، سيبوها تعيش يا كريم.

-من عيوني صديقي، نتقابل في أمريكا.

وانتهت المساومة لصالح آل دويري كما تنتهي دومًا ولم يتبقى غير الخلع بشياكة طبقًا للنصوص الدويرية وبرعاية المنشاوية.

حبيس كهفه لأيام عديدة لم يحصيها، يحاول جمع شتات نفسه التى تمزقت على كل الدروب، كلمات أبيها وأخيها والعاقبة الأخلاقية التى سوف تنتظره مهما طالت به الأيام، ماذا لو أحبت الصغيرة بمن لم يرتضوه وتحدت الجميع وقررت الهرب للحب هل كان ليأتي بهدوء يحسد عليه ويتفاوض مع حبيبها الذي ساقها لمركز الزمالك ثم لقصور الدويري المترامية، بالطبع لا، كان ليقتلها ويقتله بلا ذرة ندم واحدة، كان ليموت أبوه قهرًا ويسجن أخوه نفسه طواعيًا بجب تحت الأرض مخافة نظرات الناس الباردة والصغيرة التى لا يتحمل دموعها يعتصرها بين يده قتلًا لأنها فعلت ما فعله.

الصغيرة غاضبة عليه لأنه تسبب في مرض أبيها، كم من مرة طلبت منه العودة للمنزل لزيارة العائلة الحزينة على فراقه مثل أي ضيفًا والعودة من حيث أتى

ولن يعترض أحدًا طريقه ولكن لم يستمع لنصحها وإن سبقتها دموعها بمرارة بآخر مكالمة دارت بينهما فأبيها راقد بالفراش منذ أيام ولم يعد حتى يقوى على الذهاب للصلاة بالمسجد. ما توقع حدوثه الجميع يمر أمام عينيه الآن وانسابت الحياة من بين أصابعه وقصم الحزن ظهر أبيه، ميرا دقت عليه مئات المرات ولم يجيبها ولكن بمَ يجيبها فحبيبها الفارس الشجاع خائف مرتعد من قدر قد يضعه بموضع أبيها وأخيها، من قدر سطر متنه بأنه من تسبب بموت أبيه، من قدر قدره الخائن للعهود ففضل الصمت المطبق ومراقبة محاولات أمجد ومالك للترفيه عنه وإقناعه بنسيان الماضي والإلتفات لمستقبل ظن أنه مستقبلهما السعيد وليس المرير بمرارة الفراق.

دقات على الباب وهو الوحيد المستيقظ بالمركز فكلا الأستاذين الجليلين قضيا ليلة ماجنة حتى أطراف الصباح ولم يوقظهما سقوط نيزك على رأسيهما. وضع سيجارته بالمرمدة وقام عن الأريكة التى قضى عليها الليل والصباح وفتح الباب لزائرة جديدة تبغى خدمات أحد الديبين فوجد زائره لا تبغي سواه.

-اخيرًا لاقيتك أقدر أفهم انت هربان ليه؟

-خليكى هنا هلبس وأجيلك

دلف للغرفة التي قضى به مالك ليلته مع فتاته وجده متيقظ بجانبه الفتاة التى نهضت طبقًا لإشارة من مالك لتشرع بارتداء ملابسه بينما مالك يلفظ أدخنة سيجارته ويقول:

-علا، زى ما فهمتك، وماتقليش أدبك جامد. . أخت كريم الدويري.

انتهت علا من ارتداء قميص يخصه وأومأت بالموافقة، علا أقرب صديقه من معشر النساء لمالك ولدت بالزمالك ثم هجرتها وهجرت الوطن وذهبت للعيش برفقة عائلتها بالسويد، بالحضر والمدنية وتنكر على العاشق فراق أحب

الناس على قلبه من أجل تهديدًا ووعيد، ترى الحب من أنقص الموارد البشرية ووجب إحتوائه وليس هدره على قارعة الطريق من أجل أبًا، وأمًا وأخت ولكن للمفارقة علا تلك تنكر كل الثوابت، لا تعترف بإله وضع الثوابت أو عائلة تماشت على ثوابت إلاهية نظمت لها الحياة، علا لا تعترف إلا بالحياة من أجل الحياة والحياة الحب والحياة الصداقة من مخلوق مثل الديب ينتظر زيارتها السنوية على الجمر لتكون زائرة لا تبغى إلا خدماته فهو يتدعي أن عقلها لرجل وجسدها لامرأة تعي قيمة رجل يترك من أجلها الساكن والعالق ويتفرغ لإرضائها، وكما يرضيها الديب أرضته وخرجت للحبيبة مرتدية ملابس حبيبها من أجل حبكة قديمة ولكنها تفلح مع سائر النساء خاصة لو كانت امرأة ببراءة من كانت حبيبته. وحدثت حرب النساء المنتظرة لما سمع علا تتثائب بينما تقول بتملل:

-إنت مين يا حلوه؟

صاحت حبيبته بعصبية:

-إنت اللي مين وبتعملي إيه هنا؟

بلهجة سوقية لا تتقنها مهاجرة عن الوطن أجابتها علا:

-بقولك إيه، الشقه دى تبعي إسرحي بعيد أحسن relly أرمي على وشك الحلو ده ماية نار.

نالت اللهجة السوقية من حبيبته وصرخت باسمه كما صرخت لأيام ولم يلبي إلى الآن. خدعة خفيفة من تأليف وإخراج ذئب النساء ولكن أخف وطأة من تجابنه عن وعود قطعها على نفسه منذ رآها. خرج لحبيته وجدها تنظر لملابسه على جسد امرأة غيرها فما كان جوابها إلا أن صرخت وهي تضربه على صدره بقوة:

-يا حيوان يا وسخ، وأنا اللي بلف عليك بقالي أيام وفي الآخر الأقيك هنا بتخوني.
-ما تفهميش غلط يا ميرا أنا كنت بس.
قاطعته صفعة من بيدها الحانية على وجهه، صفعة يستحق المئات منها وغادرت إلى الأبد كما المرجح كما يرجحون وهو أداتهم الفعالة لذلك ليس أكثر.
صديقه الصديقي يربت على كتفه ويقول:
-مبروك أول قلم حريمي من الحبايب، صدقني بيبقى أطعم كتير،
التفت لوجه صديقه البارد الخإلى من أى عطف على حاله الأليم وابتسم ابتسامة شاسعة لم تمنع عيناه من سفح دموع فراق، دموع نالت من ملحدة لا تعترف بعطف أو تعاطف ألا إن عيناها حزنت لحاله وقالت:
-حسام هي دي حبيبتك؟
-أيوة هي.
وحينها صاحت بمالك بحدة:
-مالك إنت جبان وواطي ومش عايزه أعرفك تاني.
ودلفت للغرفة النوم غاضبة، فلم تكن تعلم إن خدعتها ستكون بهذه القسوة فقد ظنت ميرا مجرد فتاة ثقيلة الظل يريد التخلص منها وليس الحبيبة التى قص عليها قصتهما الحالمة والآن طردها من حياته كمن يطرد ذبابة عالقة على نافذته كما أوصى الدويري.
نظر له مالك بغضب وقال بعصبية:
-عجبك كده، ده اللي بناخده من معرفتك الطين. . ثم أردف لعلا معللا متوسلًا. إستني يا لول هفهمِك.

# [ مالك مراد ]

أنه العذاب، تحمل أربعة سنوات في كلية الجحيم والآن بدى الحجيم جنة رضوان. كاليفورنيا هو المكان، القاعدة الجوية بلوس أنجلوس، طيارين صغار من كل أطراف العالم جاءوا ليستكملوا تدريبهم بأفضل سلاح طيران بالعالم. خمسون طالب بعنبر واحد يستخدمون جميعًا حمامًا واحد بلا أبواب تحسبًا لقتل أحدهم لنفسه بمنأى عن باقي الزملاء وكأن الأمريكان يكتثرون لموت مخلوق، طعام بارد على الدوام، ليس في مقدورك طلب المزيد ولو مت جوعًا وكأن أحدهم قد يطلب المزيد. يغسلون ملابسهم بأنفسهم والثري منهم يدفع لزميل آخر ليغسل له في مغسلة تخرج الملابس أكثر اتساخًا لأنها صدئة، نسوا الماء الساخن تمامًا وأحيانًا يروه صدفةً لأن مناخ لوس أنجلوس حار جاف ولا يحتاج لماء ساخن؛ كانت تلك علة المسئول عن البعثات. الجميع يتألم ما عدا أمجد بدى متكيف للغاية بالأجواء المهلكة، يأكل ويدرس ويتدرب بكل حماس إنما هو وحسام لم يستطيعا التكيف بعد ويبدو إن التكيف لن يأتي يومًا. انتهى تدريب اليوم والذى كان عبارة عن حمل معدات من قاعدة جوية لقاعدة الأخرى بأمريكا؛ هذا هو التدريب الراقي الذي سوف يجعلهم نسور السماء أو دبابيرها على أقل تقدير. الطيارين المتدربين من دون الجنسية الأمريكية هم من يقودون الطائرات لنقل البضائع بينما الطيارين من الجنسية الأمريكية يقودون الطائرات المقاتلة ويتدربوا عليها، يرسلوا للحروب الدائرة بكل أطراف العالم للتدرب والتزود بالخبرات العسكرية من كل البلدان أما هم في خدمة إلزامية للأمريكان وليس في وسعهم غير النظر للسائل الرمادى اللزج ومغرفة

الأرز الأحمر وقطعة اللحم المنكمشة وبعض السلطة الخضراء المتعفنة بتحسر على الأيام التى مضت لما تقدم بشكوى هو وزملائه لمجلس الكلية للعمل على تحسين طعام الطلاب فأدخلوا البصارة على قائمة الطعام أين هي الآن. أمجد يأكل بنهم بينما هو وحسام يرقباه متعجبين ولم يلمسا طعامهم بعد فسأله:

- عجبك الاكل يا امجد؟

- احسن من مفيش يا ديب.

أزاح مالك الصنية من أمامه وقال:

-مفيش احسن.

جذب امجد الصنية ناحيته ليأكل محتوياتها المتعفنة لكن سحبها حسام مجددًا لتعود أمام مالك وقال:

-كل اللى ادامك يا مالك لو وزنك نزل مش هتطلع على طياره ولا مَرَهْ.

وجهة نظر الحسام في محلها فالمتدربين قبل صعودهم لمركباتهم يتم وزنهم تحسبًا لضعف قد يلحق بهم قد يدني من أدائهم وبالتالي يسقطوا بطائرات أمريكية تكلفتها الملايين والأمريكان لا يقبلوا بخسائر خاصة من مغتربين، أما من تحامق وخسر وزنًا أكثر من المعدل الطبيعي يرسل للمشفى العسكري لأسبوع واحد فقط للتعافى وإن لم يتعافى يرسل لبلاده وتنتهى بعثته إلى هذا الحد ليلحقه الخزي ما تبقى له من حياة. أغمض مالك عيناه فى تأمل وتدبر وقال بيقين:

-منك لله يا مراد يا مالك انت السبب.

ضحكا منه ساخرين ثم قال أمجد:

-بدل ما تدعيله بالنصر لولا أبوك دخلك الجويه كان زمانك شغال ورا ماهى.

-ما تجبش سيرتها على لسانك، بيوت.

بينما قال حسام بألم ما فقده من عشق أذله:
-تصدق بالله البت دى غلبانه عشان مصدقه واحد زيك إعتقها يا مالك، لتجوزها لتسيبها تشوف حالها بدل ما انت معلقها ولا طايله سما ولا ارض.
قسّم مالك العصبيته على كلاهما قائلًا:
-ممكن تقفلوا الكلام فى الموضوع ده.
لا زال حسام على مزاجيته العكرة منذ ترك أخت صديقه إرضائًا لأبيها ونصب نفسه الآن المدافع الأول عن حقوق النساء ومن أوائل النساء المهضوم حقوقهن ماهي المسكينة، ترى كيف تحيى بدون حمايته. مرت الأيام سوداء كاحلة لا يجد مالك ما يسكن آلامه غير الرم الردئ المتواجد بوفرة بالقاعدة حتى جاء الفرج وخاطبهم كريم هاتفيًا ليعلمهم بوجوده الحالي بلوس أنجلوس وامتنانه الشديد إن قبلوا دعوة للغداء في مطعم فاخر على نفقته. بالله لو هو الكريم لقتل حسام وأصدقائه جميعًا حتى يدفن معهم السر المشين وليس دعودتهم تحية وإجلال على مجهودات حسام العظيمة لإرضاء الجميلة ثم اتباع أوامر الدويري الكبير والصغير بترك الجميلة لتختفي من بعدها عن ظهر الأرض ولا يعرف أحدًا من عائلتها أو حسام عنها خبرًا. المدهش لا يبدو على رجل الأعمال الصغير الحزن أو الخزي مما إقترفته أخته أو اختفائها فيما بعد، على حاله منهدم منسق بكامل أناقته وهدوئه، برفقته شاب بنهاية العقد الثاني تبدو عليه سطوة رجال الاعمال مثل رفيقه وأنيق مثله أيضا؛ حنطي، طويل القامة لحيم الجسد قليلًا إنما أناقته تظهره متناسق القوام. ترى متى ظهرت هذه الأناقة الكلاسيكية ولم يلتفت إليها إلى الآن، ألم تكن في استطاعتها أن تظهر باكرًا قليلًا قبل أن تصيب أباه وعكة مادية قاسية جعلته بالنهاية وبعد كل ما بذله إرضاءً لأبيه أن يسكن القواعد الأمريكية الباردة؛ فالمبلغ القليل الذي يرسله أبوه إليه

يعيد إرساله لماهي لتتدبر أمورها دون الحاجة للغناء في الملاهي الليلة ليتحرش بها كل ساكر وواعي.

قام كريم بواجب التعارف وكان الأنيق مثله ليس برجل أعمال فقد كان وكيل للنائب العام بمصر والآن منتدب لأمريكا لرعاية شئون الأقليات العربية إلى جانب إعداده لرسالة الدكتوراه. كريم لمح بعين رجل الأعمال العميقة مدى ضيقهم مما جعله يطلب تقريبًا كل الأطباق الموجودة على قائمة طعام المطعم الفاخر لكن ذلك لم يكفي مالك وأمسك برسغ النادل الأشقر المخنث ذا الصوت الناعم منبهًا:

-أريد الطعام ساخن جدًا، أتعلم؟ أريده داخل القَدْر.

غادر النادل متعجبًا أما الصديقين الأنيقين ضحكا ساخرين من طلبه المستغرب على معشرهم بينما حسام يحدجه بلوم أما أمجد لم يفهم ما يدار من حوله فطالما كان بطيء الفهم.

-أصلنا عندنا عقده بيقدمونا الأكل بارد فى القاعدة.

قالها حسام متدراكًا فابتسم كريم وقال:

-براحتكوا، إيه الأخبار، مصر من غيركوا مالهاش طعم.

مصر، لما سمعها مالك من أحدًا بخلاف الثنائي تحركت مشاعره حتى لمعت عيونه آلمًا على فراق المحروسة وقال:

-عمار يا مصر، تصدق بالله يا كريم باشا حتى الخمره فى مصر ليها طعم عن هنا أنا بشرب برميل رَمْ ولا بيعمل معايا حاجه.

نظر لهم وكيل النيابة بتفحص وقال:

-بتتعاملوا إزاى بما إنكوا مصريين مسلمين؛ أدنى مستوى فى البشر؟

جاوبه أمجد بسقم:

-زى ما حضرتك قولت يا هشام بيه أدنى مستوى بس كله بيعدى.
وتدافعت الأحاديث المأساوية من ثلاثتهما باكين ناعيين كل ما تركوه من خلفهم، زملائهم السبعة وأربعون في العنبر من أحط مخلوقات الله، نصفهم حاول سرقتهم والنصف آخر تنمر عليهم ولولا وحدة صفهم أمامهم لتمت تصفيتهم جسديًا قبل معنويًا وعادوا من حيث أتوا. هل يصدق نائب المدعي العام الذي يستمع لشكاواهم بآسى مرير أن الزملاء طلبة العلم سرقوا ملابسه الداخلية لكيلفن كلاين ولكن وفق أمجد باستعادتها من أجله بالقوة وكأنه قد يرتدي سروال داخلي ارتداه مخلوق غيره إنما ارتداه أمجد بعدما عقمه جيدًا بالكلور إلى أن ذهبت معالم السروايل الداخلية تمامًا. الحياة الجديدة التي حلموا بها تجسدت كأشبع كابوس معاصر أدى لإنهاكهم حد اليأس، ابعتدوا أكثر فأكثر عن أحلامهم وطموحاتهم، بغضوا الدراسة والطيران وكل ما تسبب بمجيئهم لأمريكا والآن كل ما يتمنوه العودة من حيث أتوا إنما ظافرين على أقل تقدير. صديق الكريم استمع لمأساتهم بتأثر بالغ حتى نهاية الحديث بينما بدى على الكريم الاستمتاع للغاية وقال مؤكدًا لصديقه:
-قوتلك شويه عيال عسل، عمرك ما تسلاهم.
عيال!! وأمسوا تسليه أيضًا لمجرد أنه يطعمهم، ليتقاضى ثمن التسلية وينقض على ما أنفق الكريم ليتسلى هو وصديقه القديم، عاونه أمجد أما الحسام ساهم كما أصبح وأمسى ولا يقرب طعام ترف لن يراه مرة أخرى على الأرجح.
أنهوا المائدة عن أخرها ورفعت البقايا وطلب كريم التحلية للتسلية ولمالك الفودكا يبدو أنه أكثر من أمّن التسلية للدويري الصغير لذلك أخدق عليه بالفودكا تونيك كما يشرب الكريم وصديقه القديم. شرب الصديق القديم لكريم رشفة من كأسه ثم قال:

-أجروا شقه سوا وإدرسوا وإرجعوا على الشقه.
أجابه حسام بسقم الفقر:
-الإيجارات هنا غاليه جدًا كنا كلنا معتمدين على مالك، لكن على حظنا أبوه إفتقر.
قال كريم بتفهم:
-الأزمه فى مصر إستحكمت أوى وعلى الكل مش على مراد بيه بس.
لكن لم تمس الأزمة الكريم وأبيه بالطبع، ولاحقت مراد المنشاوي فقط لأنه ليس بإجرام الدويري الكبير ذو النفوذ المتشعب حتى القصور الرئاسية بشتى الأقطار، كم كان أحمق لمَ لم يمتثل لكريم لما طلب منه إشراك المنشاوية بأعمالهم المؤمنة لكان أبوه مؤمن بدوره الآن بنفوذ الدويري ولكن سوء تقدير وتوقيت توقيت في آن واحد فلم يأتي بمخيلة مالك يومًا أن تصيب المنشاوية أية ضائقة وهم يعتمدون على الزراعة بأراضيهم والتصنيع والبيع عبر مصانعهم ومنافذهم إذًا يملكون مصائرهم ولكن من بالمحروسة يملك مصيره خاصة لو تبع النزاهة بعنجية بغير محلها في هذه الأيام الغابرة. أشعل كريم وصديقه القديم السيجار الكوبي بينما هم طلب الكريم لأجلهم من النادل في الخفاء مغلف كامل من سجائر بلاك سترايك، حتى لا يرتقوا للسيجار الكوبي يكفيهم تنسم عبقه الآسر.
-السيجار الكوبي في نسبة عالية جدًا من الأفتينات وممكن تظهر في التحاليل بتاعتكوا وما تطلعوش، بتقولوها كده، أنا صح؟
- صح يا دكتور.
قالها مالك مبتسمًا بشجون ردًا على تساؤل وتدارك الأستاذ المبجل هشام عطوية النجل الوحيد لطبيب النساء الأشهر عطية عطوية، فالطلوع عند الطيار ليس له معنى آخر بغير الصعود للسماء. سماء تمنوا منها إبتلاعهم عن قريب بعد

ضيق ألم بهم والفرج بعيد. رجل الأعمال اللعين طلب من حارسه الخاص سيجارين فقط له ولصديقه وسهى عن التسلية إلى أن لاحظ المبجل حرجهم الشديد لما أخدق عليهم بالطعام والشراب ومشتهيات الأنفس الفقيرة فيما عدا السيجار الكوبي الخاص بالدويري فهو الوحيد الذي وسعه تحمل كلفته وكلفة تلك المائدة الزاخرة وصحبتهم البائسة. السيجار الكوبي يا سادة الذي لا يترك فم الدويري كلفته تتراوح ما بين خمسمائة دولار إلى سبعمائة دولار، صناعته تشبه إلى حدٍ ما كبير صناعة الخمور في أنها كلما كان الخمر أقدم ومر على صناعته سنوات عديدة كلما ارتفع سعره ، كذلك صناعة السيجار، حيث يتم صناعته من أوراق التبغ الكوبية التي تمتاز بكبر حجمها ورائحتها العتيقة، يتم تجفيف أوراق التبغ وتركها في الهواء لعدة سنوات لتقليل نسبة السكر فيها وتستغرق مدة المعالجة ما بين خمسة وعشرون يوم إلى خمسة وأربعون يومًا وتلك المرحلة الأولى أما عن الثانية فهي مرحلة تخمير التبغ، وهذه المرحلة توضع فيها الأوراق في درجة حرارة ورطوبة متحكم بها جيدًا، لتجف الأوراق ببطء حتى لا تتلف أو تتفتت وفي هذه المرحلة كذلك تتحدد رائحة أوراق التبغ ونكهتها وطريقة احتراقها. يلي ذلك المرحلة الثالثة وتتضمن التصنيف والتخزين، إذ يتم توزيع الأوراق بحسب نوعها وجودتها، وتقسم إلى أوراق تستعمل كلفافات وأوراق تكوّن حشوة للتدخين، يتم تناول تلك الأوراق بعناية ومن ثم ترطيبها بشكل مدروس حتى تحافظ على جودتها. المرحلة الرابعة والأخيرة بحمد الله وكأنهم في حاجة لدرس مفصل في كيفية صناعة سيجار كريم المكلف، يتم تكبيس الأوراق ثم فحصها، ثم تفك عن بعضها لتفحص مرة ثم تكبس وهكذا تباعًا حتى يكتمل تعتيقها طبقًا للمواصفات التي يضعها الصانع. اللعنة على الدرس والدارس والمدرس الذي يزفر بوجوهم أدخنة سيجارة المكلف

وهم لم يدخنوا منذ أسابيع، أما الصديق القديم المبجل لمس لوعتهم للنيكوتين أو أي سمًا قاتل قد يريحهم من هذا العذاب وأطفئ سيجارة بالمرمدة وأشار للنادل بالعجلة. لحظات وأتى ما ليس في وسعهم تحمل كلفته ايضًا وتكفل به الكريم مغلف كامل من لاكي إستراي‌ك سحبه أمجد على عجالة من يد النادل ومزق مغلفه السيلوفاني وأخرج علبة واحدة فتحها على الفور بينما يقول كريم ساخرًا أو ضاحكًا على أقل تقدير:

-هتعجبكوا، هتغيروا كلكوا أكيد.

نظر أمجد لكريم بابتسامة شاسعة إنما يداه لم تتخلى عن تنفيذ مهمتها السامية وقال بحبور:

-هتعجبنا يا باشا أى حاجه من إيد سيادتك على راس.

نجح أمجد بالمهمة وأخرج سيجارة من علبتها المغلفة بإحكام في أقل من أربع ثوان والآن يبحث من حوله عن قداحة، أنهى المبجل بحث أمجد لما أخرج من جيب بدلته الفاخرة قداحة وأشعل لأمجد سيجارته على عجالة والضحكات تخرج من ثغره وثغر صديقه بسخرية من لهفة أمجد للنيكوتين فقد سحب أمجد نفسًا طويل المدى أنهك أكثر من ثلثي السيجارة دفعُة واحدة ثم أغمض عيونه بإنتشاء وقال بروية:

-يا أبوياااا، ملعون أبو الفقر، إحنا وصلنا بينا الحال إن أنا ومالك بقينا بنبيع.

قاطعه مالك على الفور:

-بنبيع إيه يا ابن الـ . . . . ما تطفح وإنت ساكت.

تزايدت ضحكات الكريم من الوضع المزري الذي وصلوا إليه جميعًا فابتلع مالك الإهانة الماثلة بكوب الفودكا لآخر قطرة حتى سقطت رأسه للخلف وارتكزت عيناه على سقف المطعم الفاخر المزخرف بالنقوش والأنوار الصفراء والحمراء

وسأل القدر اكتفى أم لا زال يطلب المزيد ليتضاحك ويتسلى كما يتسلى الكريم عليهم إنما قاطع هشام نجواه:

-إيه رايكوا تقعدوا معايا فى شقتى، أنا أدفع النص وأنتو النص؟

هل حنت الأقدار بهذه السرعة. أجابه مالك متعجبًا:

-إحنا التلاته ندفع النص؟

قال هشام مؤكدًا:

-أه طبعا بس شقتي أوضتين يعنى أنتو التلاته هتناموا فى أوضه على سرير واحد لكن عندى حمام سخن وبارد ومطبخ كامل، موافقين؟

كريم يحدج هشام بتعجب على موقفه النبيل من تسلية اليوم بينما أجاب أمجد على الفور:

-طبعا موافقين يا باشا إله يعمر بيتك و. .

وضع مالك راحته على فم شحاذ مصر الأول بأمريكا ثم قال لحفاظ ماء وجه الذي جف:

-لا طبعا نتشارك كلنا فى الايجار احنا مش شحاتين.

ابتسم هشام بهدوء مغلف بالرأفة وقال:

-أنا ما قولتش كده ما عاذ الله إنما ده العدل أنا هاخد أوضه لوحدى وأنتو هتقعدوا فى الشقه خمس أيام بس وأنا قاعد فيها على طول ومش من العدل أنكوا تتقاسموا معايا الإيجار.

وأين العدل بأى شيء، صدقه مغلفة بالكياسة للشحاذين المصريين تسلية الكريم وصديقه الأكرم منه. حسام شكر هشام بشدة ورفض العرض بنفس الشدة لكن الهشام طلب منهم مهلة للتفكر بالأفضل لهم وله، يغلف صدقته بشعوره بالوحدة لأنه ليس لديه أصدقاء أو أقرباء بأمريكا ويرغب بصداقتهم العظيمة

أما الكريم دعوته مفتوحة حتى جلائه عن لوس أنجلوس، ينتظرهم بالغد أيضا وبيومين الإجازة لهم سهرة لأطراف الصباح التالي. شكروا كرم الكريم الذي اكتمل لما طلب من سائقه وحارسه الخاص إيصالهم بسيارته البنتلي الفاخرة إلى القاعدة. ركبا ثلاثتهم بالخلف ليشاهدون من خلف زجاج السيارة الفاخرة ما لم يشاهدوه من الأسفل، على مستوى نظرهم منذ وطئت أقدامهم أمريكا. بنايات شاهقة، مطاعم ومحال فاخرة نساء جميلات بصحبة مخنثين عالم حسبوا أنه بانتظارهم لا ينتظر قتلهم. قتلهم قريب إن لم يوافق الحسام على عرض هشام فهو كل ما يراه من عرض هشام هو محاولة من كريم ليضع أعدائه أقرب لعيناه وكأن كريم في حاجة لمراقبة أعدائه وليس دحرهم من فوره كما تضاحك عليه أمجد بل وأخبره أنه وجب عليه أن يعيش ما تبقى من عمره عبدًا طائعًا لكريم بعدما عفى عنه وتركه على قيد الحياة بعد فعلته النكراء. وقبل عراك داخل البنتلي بين أمجد وحسام وصلوا لبداية أسوار القاعدة العسكرية وعليهم الترجل للتمشي على أرجلهم مسافة ثلاثة أميال فهم لن يجدوا الآن حافلات تخرج وتدخل للقاعدة بهذا الوقت المتأخر قد تقلهم لمهاجع النوم لكن السائق لم يتوقف وأكمل بالسيارة حتى كشك التفتيش الأول. توقفت البتلي ثم أخرج سائقها لحراسة القاعدة بطاقة سوداء تحمل اسم مجموعة الدويري، تفحص الحارس البطاقة لبرهة ثم قام باتصال داخلي من كابينته للقاعدة، لحظات حتى جاءه الرد بالسماح لدخول سيارة خاصة لقاعدة حربية مما جعل أمجد ينظر لحسام مؤكدًا وجهة نظرته المكتملة البرهان - العبودية الطائعة للدويري - فنفوذ الكريم لا يتوقف عند الوطن العربي فحسب. أكمل سائق البنتلي الصامت قيادة حتى المقر الرئيسي للإدارة وتوقف هناك بلا كلمات رغم أنه عربي مصري كان ضابطًا عسكري بوقتًا ما حتى تقاعد وعمل لدي الكريم كما

علم من حسام. نزلوا من البنتلي محافظين على تعجبهم وذهبوا ساهمين للمقبرة التي دفنوا بها بينما شكر مالك السائق فأومأ له السائق محييًا بلا كلمات كذلك. هم لاتباع صديقاه ألا إنه سمع العربية يتردد صداها العذب بالقاعدة - يا أخينا- عاد مالك للسائق الذي تتدلى عن يده شطنه هاند باج صغيرة أخرجها من نافذة السيارة ثم أردف:

-من كريم بيه؟

تناول الحقيبة من السائق وفتح سحابها لتفحص محتواها فوجد العديد من خراتيش السجائر الجديدة التى طلبها الكريم من أجلهم بالمطعم وأربعة زجاجات من الفودكا الروسية وزجاجتين ويسكي دي جون وأغلق السحاب على ما تبقى من كرامته التي انتهكها حقيبة كريم للتصدق على طيارين صغار كانوا تسلية أكثر من ممتعة لأمثاله. ناول الحقيبة للسائق وقال:

-رجعهاله قوله متشكرين.

السائق حدق بها لثوان ثم قال:

-في الغربه ما تقولش لاء مسيرك يوم ترد لما ترجع مجبور الخاطر.

ثم انطلق السائق بالسيارة الفاخرة وعاد أدراجه أما عن حقيبة الصدقة فلا زالت معلقة بيد مالك ورقبته حتى يأتي يوم الرد. عاد للصديقين في عنبر المغتربين من كل أصقاع العالم وجدهما يتشاجران بحدة ليست لهما وحسام يدفع أمجد في كتفه بقوة فهم أمجد لرد الصيع ولكن أوقفه مالك وسأل عن ما يجري فصاح أمجد:

-أقرع ونزهي هو مش عايز هو حر يرفض على لسانا ليه.

-حسام عنده حق إحنا مش شحاتين عشان نقبل صدقة حد، إحنا طلبة محترمين.

صاح أمجد بهما:

- أحا يا طلبه، يلعن ابوك إنت وهو، أنا هروح لوحدي أسكن مع هشام وخليكوا أنتو في الزباله.

ركل أمجد بعض القمامة المتكومة بركن من أركان العنبر ناحية حسام تحديدًا مما جعل حدته تتزايد تجاه أمجد وتقدم منه يقول بعصبية:

-مش هتروح، أنا سبب المعرفه وانا اللي أحدد.

لديه وجهة نظر تحتسب فمن ضاجع الجميلة له حق رفض الرفاهية ليشقوا ثلاثتهم في عنبر النفايات. ترك حسام أمجد لحين وتقدم منه بعدما طرفت عيناه للغنيمة التي بيده، سحبها منه بعنف لا داعي منه فقد كان ينوي اقتسماها على ثلاثتهما بأي حال.

-دي شنط كريم، إداك إيه؟

وقبل أن يبرر سبب قبوله لصدقة الكريم لم ينتظر حسام تبريرات وفتح سحاب الحقيبة ورأى الكنز فصاح بغضب حد الجنون:

-يا نهارك إسود، انت يا مالك، انت تقبل حسنه والاسم ولاد ناس، جه علينا الزمن وإبن البلطجي والراقصه يصرف علينا ونبقى من محاسيبه.

اللعين الجاحد بالنعم ألقى محتويات الحقيبة أرضًا ولكن جسى عليها أمجد بسرعة الضوء وملم ما سقط عنها إنما ليس وحيدًا أتى جمع من باقي زملاء العنبر للقنص فأخرج أمجد من صدر سترته خنجره المتوارث عن أبيه ولوح به لعيون القانصين حتى أبعدهم عن الغنيمة بلا محاولات يائسة خاصة بعدما أثبت وجودهم المدمر بأكثر من معركة ولم يعد أحدًا من الزملاء يتخطي الثلاثي المصري.

-سيبك منه يا مالك، محروق من اللي حصله، أنا وإنت نروح عند هشام.

أثر مالك الصمت وذهب لسريره للتهالك اليومي المعتاد الذي تتعرض له عظامه

إثر النوم على المرتبة الخرسانية المعبأة بالرمال الأمريكية، فصاح أمجد بسقم مردفًا:

-يا عالم حسوا على دمكوا، هنسقط ونرجع إيد ورا وإيد أدام، مش عارفين ناكل مش عارفين نذاكر ده احنا حتى مش عارفين ننام وأخرتها بقينا نبيع نفسنا زى النسوان ونقبض التمن توت وسجاير.

صاح مالك به:

- نام بقه يا أمجد خِلصنا.

تقدم منه أمجد حتى سريره المسجي عليه وقال:

-إتكلم يا مالك ده انت كنت هتلبس في جبل من تعبك.

جبلًا! كرمًا كبيرًا من الصديق الصديقي أن يقتص سلسلة جبال لجبلًا واحد. الجبال البيضاء، سلسلة جبلية تمتد في ولايتي كاليفورنيا إلى نيفادا، يبلغ طولها حوالي ستون ميلًا وعرضها عشرة أميال، أعلى قمة فيها هي قمة الجبل الأبيض الذي يصل ارتفاعه إلى أربعة ألآف ومائتين وإثنى وخمسون قدم. لا يريد حتى تذكر هذا الحادث فقد كان حديث القاعدة لأسابيع وكاد أن يعيده أدراجه لمصر إن لم يكن كفء كفاية وحط بالطائرة وحمولتها سليمًا بأوعر المناطق الصحرواية بكاليفورنيا بأكملها. فمن المستحيل عدم رؤية سلسلة جبال ممتدة على طول الساحل الشرقي لكنه لم يراها والسبب غفى من الإرهاق أثناء القيادة من شدة ما قاساه في الليالي السابقة لتلك المهمة ولم توقظه عدادات الاقتراب القصوى أو نداءات أبراج المراقبة، فالوقت المتبقي بعد المهمات التي يثقل بها الأمريكان كاهلهم نهارًا هو الليل والليل سكن أما ليلهم يقضوا أكثر من نصفه في الإستذكار لأن النهار مخصص للتدريبات وبعض المحاضرات وبالطبع مهمات نقل المعدات جوًا التي فرضت على كل من وجد بالقاعدة مأوى دائم

مقابل تأمين طعامه وشرابه وفراشه الرملي. حتى يصحوا من غفوته اضطر طيار آخر كان يطير من خلفه بنفس الحمولة قذف جزء من المروحة الخلفية للطائرة حتى لا يصطدم الغافي بقوة بسلسلة الجبال وتنفجر الطائرة بالكامل بحمولتها الهامة من المواد الكيمائية الخطرة وقد يطاله الانفجار الهائل بسوء.
أيقظه اهتزاز الطائرة إثر القذف فمسح لعابه المتسيل عن فمه وفتح عيناه على إتساعها مرحبًا بالموت خاصة لما رأى طريقه المباشر المتجه للجبال البيضاء ولم يتبقى غير الشهادتين وأن يعد العدة لإعدادات الهبوط الاضطراري حتى ينال شرف المحاولة ونال الشرف الذي أنقذ بعثته لأن الأمريكان يقدروا التجربة فقد قام بهبوط اضطراري ولم يقم يومًا بتجربته ولا على جهاز محاكاة ليهبط بطائرة بضائع من الحجم الكبير بأوعر منطقة شهدها أو سمع عنها بولاية الذهب.
وتلك جزء من المآسي التي لا يعترف بها حبيب اللبناية الحسناء، نظر مالك لحسام متوسلًا ليعيد النظر بقراره ولكنه لم يبالي فصمت مالك بدوره أما أمجد استشاط غضبًا وتوجه لحسام الذي يستعد للنوم غير مبالي بكلمة مما قالها وأردف:
- ما أنت كنت هتجوز بنت الرقاصه جات علينا، وافق يا حسام وإفرجها علينا كلنا. . ثم نظر لمالك وأردف بعصبية مضاعفة:
- ماتكلم يا ابن اللي مش رقاصه.
لا بد أن يتكلم قبل أن تتحول أمه لشيء آخر في عصبية أمجد، وبفصاحة منقولة عن حارس الكريم.
-انا هروح مع أمجد، في الغربه مانقولش لاء بكره نرد لما نرجع مجبورين الخاطر.
استلقى حسام على سريره وقال ببرود:

-بالسلامه.
ليلة طويلة من المحادثات أدت لتجربة شهر فقط لا غير ولا لقبول لهدايا أخرى من الكريم وصديقه. محادثات تولى أغلبها أمجد، لا يجد ضرر من قبول صدقة من صديق أو عدو خاصة الحين وهم في أشد الحاجة لكل عون وكل مساعدة، أما عن عنجهية الكريم معهم فهي عنجية مقبولة ومشكورة كذلك بعدما تقبل فعلة حسام بتفتح مستغرب على أي رجل. صدقة مدفوعة الأجر من قلب أحرقته لوعات العشق وعلى الحسام تقبل الأجر لربح قريب وإلا خسارة لا ردعة فيها. ما بال الحسام ألا يعلم أن تقبل صدقة أخف وطأة مما يفعله هو وأمجد بعد أن أصبح مالك مراد الديب وأمجد رسميا men hoer . لما توطدت علاقتهما بمنجدات زميلات عزيزات نالا استحسان الزميلات الأخريات وذاع صيتهما فتعددت الصحبة لتخفيف ألم الوحدة على الجميع ولكن آلام الوحدة مع الدراسة والمهمات أنهكتهما حتى الوهن وحينها رفضا تسكين آلام دون آلامهم ألا إن العروض انهالت عليهما لجذبهما من جديد، فاكهة، سجائر، أو أيًا مما تجود به نسوة القاعدة ذوات العضلات المصقولة والنهود المتحجرة. هما فقط من تكفلا بهذه الخدمة أما حسام رفض كل رفقة من أجل النقود أو أى شيء آخر رغم تزايد الطلب على المتعفف ولكن آبى وراقبهما في صمت حتى أنه رفض اقتسام الغنيمة معهم واكتفى بالطعام المقدم بالقاعدة.
باليوم التالي زفوا لهشام موافقتهم وتم الرحيل، حارس الكريم من قادهم للحياة الجديدة ثم للمطعم ذاته بعد أن فضوا أمتعتهم بشقة هشام. تناولوا الغداء برفقة هشام فقط فقد كان كريم على طاولة الأخرى مع طائفة تشبهه يناقش أعماله ولما غادروا ضيوفه توجه إليهم ووضع يده على كتف حسام وقال بمرح:
-أول سهره ليكوا في لوس أنجلوس إنهارده؟

أجابه أمجد باستحياء:
-مفيش داعي إحنا تعبانين، كفايه اللي عملتوا معانا لحد كده.
جلس كريم وقال بينما ينظر لهم بمودة قلما جادت بها عيناه:
-ده اللي كنت خايف منه، يا جماعه أنتو أخواتي، أنا ماليش أخوات غير هشام وزهقت منه وعايز أغير.
ضحكوا للمجاملة فأردف:
-أنتو أعز من أخواتي لدرجة إني أخويا عرض عليكوا تشاركوه بيته وعمره ما عملها معايا.
نعم بالطبع، إذا كانا صديقين وأخيين كما يتدعي الكريم لمَ لم يتشاركا السكنة ولكن من يأبى للتساؤل، تبًا لكلاهما إلى أن تتضح السرائر.
اصطحبهم الكريم للسهرة الأولى ولم تكن الأخيرة فكلما اضطرته أعماله للسفر إلى لوس أنجلوس أغدق عليهم بغدآته وسهراته ولم يستطيعوا رد بعد.
بداية جديدة، شقة في إنغلوود جنوب لوس أنجلوس متوسطة الحال لأن هشام يقتات على راتبه من عمله فقط ويرفض المعونة من أبيه لأنه بلغ من العمر أرذله ووجب عليه أن يعيل نفسه كأي رجل. من بلغ من العمر أرذله بالحادية والثلاثين من عمره متشبع لأنفه بالفكر الأمريكي ويقول أن لو كل عائلة مصرية تركت لأبنائها مهمة إعالة أنفسهم منذ الثامنة عشر لتغير وجه العالم العربي أجمع ولكن الدلال يفسد الهمم حتى أمسينا من سكان العالم الثالث ولدينا كل المؤهلات لنمسي من العالم الأول. بالعالم الأول سكن قاطن فيلا الزمالك شقة تكلفتها ألف ومائتين دولار تتكون من كنبة وحيدة تتوسط الردهة الخانقة، كرسي ممزق الحواشي وجهاز تلفاز عشرون بوصة، مائدة طعام مكونة من طاولة وأربعة كراسي مطلة على المطبخ الأمريكي المفتوح على الردهة بنفور.

غرفتين نوم، الأولى كانت لهشام إنما تركها ونقل أمتعته للأخرى ليترك لهم الأكبر حتى لا يموتوا خنقًا. رفقة الصديق الجديد ممتعة، خفيف الظل حلو المعشر مثقف لدرجة تكاد أن تكون مخيفة، مستغربة مطلع على كل شيء حتى مجالهم الطائر. كل ما يفعله عند عودته من عمله هو الطهو للجميع على نفقته ثم القراءة تليها تلاقي القراءة، ما يعنيه بمصطلحه الغريب هو مناقشة ما قرأه وحيدًا بينهم ليعلم تأثيره على من لم يحط به خبرًا ويشغل ساعاته الشاغرة بالتسكع بالجادة أو مشاهدة البرامج الأمريكية حتى لو الأكثر تشويقًا. كانت تلك طريقة هشام لتوسعة مدراكهم ورفع وعيهم الخاوي من كل شيء فيما عدا دراستهم وحال النساء الأمريكيات خارج القاعدة. نقل لهم بعض أفكاره واكتسب أيضا بعضًا من أفكارهم وبدأ بالتسكع برفقتهم بأماكن كان يرفض المرور منها لخطورتها على الأمريكان المسالمين قبل العرب المغتربين لكن هذه الأماكن توفر مشروب معتدل الثمن وصحبة سهلة للنساء الاتي ترغبن بعلاقة عابرة. قام مالك بالدور السامي الذي كان يقوم به بمصر واستقطب فتيات البار لباقي الصحبة لكن هشام لم يجد يومًا صعوبة في الحصول على ما يصبو إليه فبمجرد دخولهم لأي حانة تبدأ الحوارات والمجادلات عن كل شيء وأى شيء فتأتي الفتيات على كلماته المنمقة مستغربين من وجود من مثله بمكان ضحل كالذي يقبعون به، وحينها تلمع عيونهن لصحبة ما هو أكثر من سائقي الشاحنات أو مجندين بالجيش كحالهم. حديث آخر عن الحريات التي اندثرت منذ تسلم جورج بوش الابن إدارة البلاد وحقوق الاجئين ولا بأس أيضا للتطرق لحديث عن حقوق الأمريكان المنهكمين بدفع الضرائب لتدار عجلة الحرب ويسقط شباب الأمة ويتركوا الجميلات في حالة تكدس. تجمعت الفتيات على صوت الثائر يستعمن للخطبة العصماء إلى أن اقتحم البار من قبل مجموعة من

الرجال على وجهوهم وصمات عربية ببشرتهم المائلة للسمرة وشعرهم الأسود الكثيف. تقدم قائدهم من هشام وقال بلكنة أمريكية معكرة بالمغربية:
-أنت وغد.
وضع هشام كوب البيرة على البار الجالسين من أمامه والتف بكرسيه للخلف للمتكلم وقال بهدوء:
-وإنت كلب ابن كلب.
أشهر الرجل مسدسه الكبير بوجه هشام وقال:
-سوف تموت اليوم.
أشاح هشام له بيده مستهزًا وقال بالعربية العامية مجددًا:
-يا عم إتنيل.
قلل هشام من عزم خصمه الذي سوف يطلق عليه الرصاص بالفعل فلم يجد مالك إلا التصدي له؛ أمسك بفوهة المسدس ووجهها للأعلى فضربت الرصاصة القاصدة صدر هشام سقف الحانة بقوة أسقطت منه بعض الركام على رؤوسهم.
فزع رواد الحانة المسالمين وبدأوا بالهروع للخارج لطلب النجدة إنما لم يكتفي الضارب وأمر رجاله بالقنص منه ومن هشام فاضطر آسفًا لتدريب عضلاته التي تقلصت إثر حشرها بشقة هشام الصغيرة حتى تساقط المعتدون كذبابات ضلت طريقها لنار موقدة. قام هشام لمعاونته فأمسك به أمجد وحسام ليتركوا المجال للديب لتأديب من حاول المساس بصديقهم، كذلك وجود طرف آخر بالعراك يفقده بعضًا من تركيزه الذي قد يتشتت من محاولة تأديب أعداء وحماية صديق سويًا.
انتهى من ثلاثتهم فسقطوا على الأرض بسكون في انتظار سيارة قمامة لجمعهم بالقريب، أما هو لملم أسلحتهم ووضعها على البار ثم جمع قميصه ووضعه

داخل سرواله مجددًا بعدما تساخف أحدًا من الحمقى الثلاث وجذبه منه حتى كاد أن يمزقه عن جسده إنما مالك نال انتقامه لما مزق وجه المعتدي عبر رددة بكرسي حديدي. جلس بجانب هشام المشدوه بما رآه قبل قليل ويقول:

-إنت إيه بالظبط؟

أجابه مبتسمًا

-انا حبيبك، مين دول يا جدع؟

لم يعود هشام من صدمته حتى الآن لا زالت عيونه تتبع الضحايا المسجيين أرضًا في ألم ثم تتحول لمحولهم لضحايا إلى أن قال حسام ملطفًا الأجواء:

-إهدى يا هشام كلنا نقدر نعمل اللى عمله مالك انت ناسي إننا خريجين كليات عسكرية.

جاوبه هشام بتعجبه:

-حتى وإن كان، دول أربعه ومعاهم أسلحه.

ربت مالك على كتف هشام وقال مطمئنًا:

-إطمن على نفسك بعد كده إحنا رجالتك، برضه ما قولتش مين دول؟

المغربي الغاضب تاجر مخدرات ضئيل الموهبة الإجرامية وهشام من كان يتابع قضيته بحكم منصبه بمكتب المدعي العام، وجب على هشام تخفيف عقوبة تاجر المخدرات وإرساله لبلدته وإنهاء هجرته على أسوء تقدير لكن هشام فعل ما هو أسوء، اعتذر عن القضية وتضامن مع أسر الضحايا وأثبت علي الموزع تهمة القتل العمد وليس قتل الضرر. حدجه مالك بتعجب وقال:

-ما طبعا لازم يخلص عليك وبعدين قتل إيه إنت مش بتقول أنه ديلر؟

قال هشام موضحًا:

-مش مجرد ديلر ده مجرم بيستحق الإعدام رميًا بالبُلغ، ببيبع مخدرات وبيتاجر

فيها أدام المدارس وبيستخدم أطفال في تزويعها وفي طفل مسكين تسع سنين فتح كيس هيروين وشمه ومات وهو ده اللي إتضامت مع أهله.
قال أمجد بذهول:
-ده انت رايحه منك خالص، أوعى ترجع مصر.
وهو من حسب نفسه مالك ملوك التهور على الكرة الأرضية حتى تزعزع عرشه.
نال هشام حقًا إعجابه وقلما أعجب مالك بأحد وبرغم الإعجاب والثناء على شجاعة القاضي يجد نفسه مقصر والعالم يحتاج للمزيد والمزيد ليحدث تغيير حقيقي يستشعر. لم يتنازل هشام عن الحقيقة يريد معرفة كيف نال رجل واحد من ثلاثة رجال مدجيين بالأسلحة الأتوماتيكية بلا مساعدة من صديقيه اللذين تابعا النزال بهدوء. جاءت الإجابة أكثر تحيرًا؛ صديقاه بالطبع قد يستطيعا فعل ما فعله لكن جبانين فهما يخشيا إصابة قد تلحق بهما وتحرمهما من الطيران والتدرب أما هو متهور مثل صديقه الجديد ولكن للحق لو حدث ما هو أسوء لاضطرار صديقاه أسفين للمساعدة. نال مالك أيضا إعجاب القاضي وأخدق عليه بأكثر ما يملك؛ المعرفة. حدَّثه هشام بشتى المواضيع، بأمور ومعاني لم يكن حتى يعلم عن وجودها، أعانه على دفع الوطن لداخل قلبه وليس للخارج فما ذنب الوطن بما جنيناه نحن ومن قبلنا أبائنا لما استكانوا وقبلوا بهذه المعيشة.
قام هشام بتوسيع مداركه التى أغلقها على دراسته والنساء وحثه على إستخدام عقله بالتدقيق وليس بالتضليل والهرب بما يراه بعيونه الضيقة كارثة. نقص النقود أو زوالها ليس بكارثة إنما الكارثة الحقيقة ضياع الإنسان أو تيه بدروب سيق إليها. ومالك لم يساق مالك اختار، اختار النجاح بمجال ليس من السهل التطرق إليه وعليه الآن الإثبات لنفسه قبل الجميع أنه ليس مجرد طيار ولكنه طيار متميز والتميز يحتاج التفرد والتفرد يأتي بالتطرق لطرق لم يلتف إليها

أحدًا. التفت مالك لكل ما عرضه عليه هشام وترك وبال النساء واكتفى بالتفرد والبحث؛ بالبحث عن الفكرة التى سوف تجعل منه المتميز المتفرد، أما صديقاه في حالة تيه مصحوبة بالذهول فلم يتوقع أيًا منهما أن تنال منه كلمات هشام التى لم تؤتي صدى لديهما ولقت صداها داخله.

انتهت الإجازة وعادوا للحجيم المألوف عن ذي قبل، انتهت المحاضرات وخرجوا لتنسم عادم الطائرات المقاتلة الجديدة التي سمعوا عن وصولها من روسيا منذ أيام وسوف يفرج عنها اليوم ليتدرب عليه أبناء الوطن أما هم يراقبون آملين بالمستحيل. هناك واحدًا منهم على يقين بتحقق المستحيل وهو أمجد؛ ينتظر أن يكون من أخوية الاثنى عشر. أسطورة سمعوها تتردد بأركان الكلية لتزيد من حماستهم للدراسة؛ ثلاثة أسراب كل سرب يضم اثنى عشر طيار مقاتل من شتى بقاع الأرض ما عدا الأرض التى إستأجرتهم للتجسس أو كلمة أخف وطأة، الاستطلاع على باقي البلدان مقابل المال الوفير والحصانة المنيعة.

وقفوا يراقبون خروج الاثنى عشر طيار مقاتل، لا يروهم بالقاعدة إلا للتحليق بأحدث الطائرات لا يحضرون محاضرات أو يدرسون حياتهم التحليق بالأعالي فقط على جناحين من ذهب روسي الصنع. نظر حسام بتفحص للطيارين وقال متسائلًا:

-نفسى إعرف إشمعنى الإتناشر دول اللى بيطلعوا على أحدث طائرات برغم إنهم شكلهم مش أمريكان.

جاوبه أمجد:

-دول سرب الاستطلاع الامريكى.

بدى على حسام التذكر وقال:

- اهاا، أبويا حكإلى عنهم، الجواسيس.

قال أمجد مستنكرًا بشدة:
-جواسيس إيه يا حمار، دول بيكونوا مصنفين عالميًا لأكتر من مره وبيقضبوا بالملايين وبيتبعت لبلادهم مبالغ ماهوله نظير إعارتهم لأمريكا.
نظر مالك للميج أربعة وثلاثون وهى تلفظ نارها من خلفيتها كتنين أسطوري بينما تمسح المدرج استعدادا للصعود وقال متعجبًا:
-ملايين !
قال أمجد مؤكدًا:
-أيوه ملايين، عارفين يا ولاد أول ما أكون من ضمن سرب الاستطلاع هأجرلكوا شقه كبيره فى بيفلرلى هيلز وأصرف عليكوا وأستتكوا فى البيت.
نظر مالك لأمجد الذي أبدى كرمًا أخيرًا على عكس عادته ولكن بالخيال وقال:
-كلك واجب بس إزاى الواحد يبقى من ضمنهم؟
نظر لهما أمجد وقال بابتئاس:
-مش عارف يا أخى عمال فاحت نفسي مذاكره وتدريب ومش لاقي نتيجه بس أبويا قالي أنه بيبقوا مراقبين كل الطيارين فى التدريب وبيختاروا المتميز ويبلغوه.
وإلى هنا عاد ثلاثتهم لتأمل الطائرات بالسماء بلا أمل لاعتلاء إحداهن. قال مالك بيقين:
-أدفع نص عمرى وأطلع على واحده من دول.
حبط حسام طموح مالك متهكمًا:
-ممكن تدفع عمرك كله كمان دى شغلانه خطيره يا عم الله الغنى.
إذًا التميز هو الطريق ليكون أول مصري عربي بأعالي السماء. نحى التميز قليلًا ونال بعضًا من الراحة وعاد للأجازة الأولى بعد ثمان أشهر من الحجيم

ليلقى حجيم أخر. أحوال أبيه المادية مستمرة بالتدهور بلا أدنى أمل للتحسن، الشركة تنهار، المصانع غُلقت أبوابها، أبوه قرر بيع فيلا الزمالك وبنايتين الزمالك والأسكندرية ويستعد للعودة لشقة المعادي التى تسكن بها جدته الآن ليخفف قليلًا من الديون المتراكمة. المبلغ المالي الذي كان يعينه على المعيشة بأمريكا كان مصاغ والدته تبيعه تباعًا وترسل له النقود ليحي مكرمًا. أين هشام الآن ليجد لنفسه التى ملأها الضيق حلًا للترويح ولو قليلًا. كريم أكمل الدور الذي أداه بلوس أنجلوس لما نزل لمصر وعاد لدعوتهم للسهر على نفقته. منذ وصوله لم يسأل عن حب حياته، لم يستطع مواجهتها بمدى السوء الذي وصلت إليه حياته فمن الآن وصاعد، لن يستطيع حتى تأمين المبلغ الذي كان يرسله إليها شهريًا فقد انتهى مصاغ أمه وأتى دور جدته ولن يقبل بذلك. لا يعلم كيف ستعيل نفسها أو أمها المريضة لذلك فضل الاختفاء ولكن نساء متى خفى عليهن شيء. تدخل بخطى واسعة لقاعة الديسكو بالفندق الفخم الذي داعاهم إليه كريم ومن خلفها صديقتها الجديدة التى نهاها مرارًا عن مصادقتها. ترتدي بعضًا من ملابس الصديقة الفاضحة بلوزة لامعة شفافة أباحت مفاتنها للعيان وتنورة قصيرة تظهر سيقانها المغلفة بجوارب سوداء تزينها نقشات النجوم.
تهتز الأرض تحت وطأة حذائها العالي وأول من اهتز والتفت للجمال الصارخ صاحب الدعوة وأثنى عليها بعيونه. تفاجأ كريم لما سقطت جالسة بينهما ووضعت رسغها على كتف حبيبها الغائب وحدثت صديقاه من معشر الطيور البشرية قائلة بلوم:
-انا مش زعلانه منه بس، أنا زعلانه منكوا أنتو كمان.
أجاب هشام بلهفة:
-حتى أنا؟

تفحصته ماهي متبحثة ثم خاطبت مالك:
-مين ده؟
أجاب هشام تساؤلها مأخوذ بسحرها:
-هشام عطويه، صديق وأتمنى من كل قلبي بناء جسور صداقة مديدة.
ربت أمجد على كتف هشام مهدئًا لتلك اللوعة وقال:
-خطيبة مالك.
أنهى هشام فروض التعارف وقال آسفًا:
-لموؤاخذه، تشرفت بمعرفتك.
ضحك كريم هازئًا بلا أسباب ثم أعاد عيونه لمشروبه وترك الجميلة لمالكها بينما مالكها لفظ أدخنته بعيد عن وجهها الصبوح ثم نظر لها وقال:
-مين اللى قالك إني وصلت، هى مش كده، انتي فاكره لما تخشى قبليها مش هعرف إنك لسه مصحباها خليها تنفعك.
احتدت ماهي وأنزلت رسغها عن كتفه وقالت بثقة:
- أنا أصاحب الأشكال دى أنا بسمع كلام حبيبي.
- إدينى أماره.
أجابته بنعومة:
-ممكن أديك حاجه تانيه.
أعادت رسغها لكتفه وطبعت قبلة حانية على وجنته رغم أنه نهاها عن فعل تلك الأشياء بالعلن ولكن شغف فراق ثمان أشهر أصابها بالصمم. صفق جمع الطاوله ملهلين وقال كريم:
-المسامح كريم يا مالك، خليها ليله حلوه على الكل.
لا يعلم فيم تدخله أو فيمَ تحدثه حتى لكن لا بد أن يتدخل ويرغي ويزبد

كيفما يشاء فهم يجلسون بالفندق الفخم جميعًا على نفقته أم حظ العوالم الذي يلحق باللعينة أينما حطت؛ فبادئ الأمر حسام يدافع عنها والآن الكريم.
فيما بعد تقبل سخافات الكريم العديدة وتساقط بعض الكلمات الدونية منه لما علم من هشام أن كريم نشأ وحيد بلا أخوة أو أصدقاء وعلاقاته لا تتعدى رجال الأعمال وموظفيه لذلك دائمًا حاد الكلمات وغير مراعي لمشاعر أحد والأغرب كريم رغم ثرائه الفاحش لا يدفع مقابل صحبة أحد ولو نساء فكل من حوله طامعين بصحبته المفيدة وهو لا يحب أن يستغل من قبل أحد كما أن الصداقة ليست من شيمه ويراها أغلب الأحيان مضيعة لوقته الثمين. وهنا تهشمت إحدى أهم قواعد الدويري الصغير بمعرفته للثلاثي الطائر فقد بات له أصدقاء ليسوا في حاجة لنفوذه أو نقوده إلا قليلًا. الكريم مهذب بتر نظرة التوق عن عيونه للجميلة رغم أنه طلب من النادل دورة مشروبات أخرى على شرفها المصون أما الجميلة عيونها تحتاج للإقتلاع من محاجرها فهي تتفحص الدويري الصغير بإعجاب واضح، تتفقد وسامته الأقرب لجمال النساء وبدلته الفالتينو وساعته الروليكس ومفاتيح البورشا. يروق لها آخر بوجوده فكيف الحال بغيابه، يبدو نظرة أبيه بالنساء لا تقبل تشكيك أبدًا فقد رآها عاهرة على الطريق. انتهت السهرة له وسحب الجميلة وخرج من الفندق لآخر الليالي بالزمالك وبعدها الاستعداد لاستعادة جيرتها بالمعادي.
الزمالك ولياليه الساحرة وهى من أمهر المشعوذات، حب حياته، حبه الأول، جرب كل سحر ويبقى سحرها داخل نفسه. ارتوى العطش وخمدت الهمم وهي جاثية برسغيها على صدره تنظر لعيناه الحزينة تسأل فيمَ حزنه، فكل ملك يفنى وعليه ألا يزعج قلبه، هي معه بكل الظروف. كاذبة لم يكن كريم الأول، لوح لها منتج مدعي فتركت الغناء بالفرقة التى تفرق أغلب أعضائها

وقرر كل منهم الانفراد بموهبته كما فعلت تمامًا ولكن لا يبدو عليها أثار غنيمة ظفرت بها.

- سيبتِي المنتج ليه؟

- كان عايز يعملي عقد احتقار بـ عشرسنين وحفلات خاصه وعايز يمضى العقد فى فيلته.

- عجبتك الفيلا؟

أزعجتها كلماته الاذعة واعتدلت عن صدره مسكنها كما تدعي وقالت:

-أكيد عارف عجبتنى ولا لاء.

ضحك بتهكم على عفتها المزعومة ثم قال:

- قوتلك وانتي ركبتي دماغك ومشيتي ورا بنت الـكلب إياها.

- وبتشتم ليه بس؟

- زعلانه عليها، طب إيه رأيك هى بنت كلب واللى مشيت وراها زيها، مبسوطه؟

بلحظات عادت لسياميتها وقالت بنعومة:

- غايب عني تمن شهور وجاي تشتمني.

- إحترمى نفسك وأنا و أحترمك، عايزه إيه يا ماهى، انتي ناقصك حاجه، طلبتي حاجه وانا قصّرت، ده أنا سفيت التراب عشان تاكلي انتي البسبوسه.

أجابته بحدة ملوحة بكلتا يداها لتقطلع عينيه على الأرجح وليس للتوضيح:

- هى كل حاجه عندك فلوس نسيت الحلم نسيت فرقتنا إللي إتفركشت بسببك لما إتخليت عنا و كل واحد مشى فى طريق.

- لو بتحبيني تحبي تشوفيني احسن، أنا دلوقتي أحسن، كنت عايزاني إفضل عازف للأبد.

- يبقى انت عمرك ما كان جواك فنان كنت بتضيع وقت لحد ما ضيعتنا كلنا.

هذا هو استقباله الائق بعد غياب مضني، لومه على غرور أعضاء الفرقة فما ذنبه إذ الأعضاء باتت لهم طموحات منفردة بلا الآخرين أما هو سيق للجوية وبرغم من ذلك لم يتركهم حتى نال لقب الطبال الطيار المشهر عن جدارة واستحقاق. لتنتهي الليلة الحالكة كما بدأت، اعتدل بعصبية وأزاحها عن صدره وصاح بها بغضب:

-أم نكدك، قومي أرووحك.

عادت للهدوئها وشجنها مجددًا:

- أنا قولت لماما إني بايته عند صاحبتي إنهارده كنت فاكره إني وحشاك.

- خلاص ما تهلفطيش، لسه معاكي فلوس؟

- معايا.

- أومال ما جبتيش لبس جديد ليه زي ما إتفقنا، حتى التغيير مطلوب للفنان الحقيقي اللي زيك؟

- وعايز تغير فيَّ ايه مش عاجبك؟

صاح بها:

-انتي هتعيشي إنتي عجبك اللوك الجديد عشان تبقي شبه صاحبتك الوسخه وتلمِي الزباين من حواليكي.

أجابته بحدة:

-أنا ما بقلدش حد على فكره وبعدين انت هتعمل بتغير، أنا مش مراتك يا مالك، بنام سوا أه، بتحبنى يمكن، بحبك أكيد بس الفلوس اللي بينا دي معناها إيه، تمن إيه بالظبط، تمن الساعتين بتوعنا ولا كلامك اللي يوجع ومستقبلي اللي ضاع.

كلمات بلا معنى، حقائق غابت عنها لسنوات وتذكرتها الآن لما ضاق حاله

وحالها كذلك، تبغى انخلاع أنيق يعفيه من التألم، مشكورة وعليها أن توفر حججها الغير متقنة لضعيف وليس لديب، أى رد يناسب طموحها الجديد غير الصمت لتمر الليلة هادئة وذلك أفضل للجميع ألا إنها أردفت:

- أنا محتاجه أحس إنك بتحبني، إنك عايزني بجد، نجوز يا مالك.

- ما احنا إتكلمنا فى الموضوع ده قبل كده وقوتلك هيحصل شويه أدام، انتي عارفه ظروفي أبويا بيصرف عليَّ ولو عرف إني إجوزتك أقل حاجه هيعملها مش هيصرف عليَّ تقدر تقوليلي هنعيش ازاى؟

- من مرتبك انت مش بتاخد مرتب برضه؟

- ومرتب الجيش هيقضينا إزاى إن شاء الله ما انتي عارفه أنا باخد كام.

- أنا كمان هشتغل حفلات وانت تبطل شرب وصرف وهنظبطها.

ابتسم بسخرية واشعل آخر سيجارة بعلبته لاستيعاب المهاطرات الجديدة، وقال متهكمًا:

- وأنا أستناكي آخر الليل وأكون محضرلك العشا والحمام بعد عرق العافيه وأغنيلك يا حلوه يا بلحه، أنا هنام تصبحى على خير.

# {ماهي مختار}

ناولها السيجارة الأخيرة بعلبته، وأولاها ظهره للمرة المائة بعد المليون، إدعي النوم أم غطس ببحر النكران كعادته كلما ذكرت بما وعد وغفى عنه. أطفأت سيجارته بالمرمدة واستلقت بجانبه تستجدى نهارًا يرخي شباكه الحامية على عيونه الباردة علها تفلح وتعود للنهار بعدما أسكنها الليل منذ رأته. لم تسمتع لتحذيرات أمها، أصدقائها أو أصدقائهما واستمرت بحرق نفسها بعلاقه طويلة الأمد بلا مدد. لا، كان هناك مدد لكن ماذا ظن، جنيهاته القليلة هى من تكفلت بها وبأمها المريضة! لا لم يحدث كانت تعمل بالحفلات الخاصة التى عرضت عليها حتى من قبل المنتج الحقير المضطرب الذي يرتجف مثل المراهقين الشبقين لمجرد رؤيتها، حتى تلك الحفلات لم تتكفل بمعيشتهم البسيطة واضطرت لبيع الخاتم الماسي الذي كان لأخرى رآها هو وأبيها أفضل منها، وبالنهاية تركته لما علمت عن ضائقة العائلة المادية بلا أمل للنجاة أما هى عالقة، مدفوعة بقوة خفية لتنقذ ما يمكن إنقاذه من حب يأبى التزحزح من قبلها. أصبح مثلها الآن بلا عائل ولا طائل فهل تناسب معايير عائلته العريقة الحين أم سوف تعاقب لا بدية على حبها له والتضحيه بقلبها وعمرها وأغلى ما كانت تملك فقط لأجله. كيف لا يرى إخلاصها السقيم، نزوات وعلاقات وبالنهاية عودته لها، حبه حياته كما يردد وهي تصدق كلماته حتى بلا محاولات من العقل للتدبر أو الإنقاذ قبل أن يبتعلها بحر الهوى وشره المستطير بلا شطآن للنجاة، معه سابحة غاطسة أثقلها الموج بلا أمل بلا مستقبل. أيام ويعود لحلمه وحيدًا ويتركها بما علقت. أيقظتها وغزات طعنت جسدها من البرودة الآتية من النافذة المشرعة على

ضفتيها عندما تفجر النهار كما تمنت. التفت له لم تجده بجانبها، غادرها مع ملابسه وساعته وهاتفه. رحل، له عودة فلم يتبقى له غيرها.
ارتدت ملابسها وعادت لبيتها فوجدت صديقتها التى هاتفتها أمس عشرات المرات بانتظارها مع أمها، الثانية تلقي على مسامعها ومسامع صديقتها تهكماتها على قصة حب بلا فائدة تحرق بها وقتها الثمين وقلبها المرهف والراغبين المتخوفين من الاقتراب منها من شأن من يحسب نفسه رجلها الحافظ. سحبت صديقتها لغرفة النوم وتركت مزاح أمها الثقيل بالصباح فقد سمعت تلك الكلمات مئات المرات حتى حفظتها عن ظهر قلب إنما ذاك القلب صداه رؤياه.
خلعت الملابس التي اقترضتها لتبهر الغائب علّ سؤالها هذه المرة تأتيه إجابة جديدة ولكن لا أمل، ووضعتهم بجانب صاحبتهم التي جلست على طرف سريرها تنظر لها نظرة كنت أعلم ذلك وحذرتك. صاحبة الملابس والسطوة تسألها كما يسأل الجميع أو ينصح الجميع دعيه للمستقبل بعدما ابتغى مستقبل دونك. سنواتك الرغدة وجمالك الآسر يتسرسبا للمجهول بينما ثمة معلوم يريدك اليوم قبل الغد ومعه كافة الصلاحيات لتسطعي بعالمك الأمثل؛ فنانة؛ معشوقة للجماهير. صوت ملاكي، وجه مليح سوف يكون نعمة بدلًا عن نقمة طامع به الجميع، وعند تبدل العتمة بالفجر، محظية مالك لسيدة الغناء سيزحف الراغبين على وجوهم لكلمة، لنظرة رضا من العالية الشاهقة.
استمعي عزيزتي لصديقتك الوحيدة فأنا الحياة ومفتاح النعم.
نظرت ماهي لصديقتها وابتسمت بإنكسار فكلماتها قرائن لا تنكر ثم أجابتها:
-موافقة يا حياة، خديلي معاد من المنتج.
بالغد يتحقق الحلم نجمة متألقة شهيرة، مكانتها التى ضلت عنها لسنوات وآنت اللحظة أخيرًا، أنه تعويض القدر أولًا يموت والدها بريعان شبابه ويتركها هى

وأمها بلا عائل ولما خيل لها تجليه لم يجد بها ما يصبوا إليه ووجده بكل امرأة غيرها. حمد لله إنها التقت صديقة حقيقية مثل حياة تهتم بأمرها وترشدتها لطرق لم تكن للتطرق إليها دون رعايتها. حياة من أرشدتها إلى المنتج الكبير هادي النشار لكن نال منه الطمع مثل غيره ألا إن حياة استطاعت مساومته وإقناعه بأن صديقتها ليست بهذه الأخلاق المتدنية حتى درخ وينتظرها الآن ليرسم لها الحلم.

عيونه معلقة عليها منذ دخلت لبهو الفندق بتوق لم يحسن إخفائه، قام من مجلسه وتوجه إليها ليصطحبها إلى مطعم حتى طاولة مميزة سوف تكلفه الكثير، فبالمرة الأولى عندما ذهبت إليه شركته للإنتاج الفني حاول التحرش بها مباشرة وبلا مقدمات أو وعود، وبالطبع لم تستجب للزج عجوز يناهز الخمسون ولو من أجل الحلم الوحيد، أي حلم قد تجده بمستنقع قذر كأحضانه، صاحت بوجهه، وجهت له أقذع الشتائم فلم يجد إلا طردها من شركته ببرود وها هو الآن يجلس وعيونه تحمل التوسل والرجاء:

-انا اسف يا ماهى لو كنت ضايقتك آخر مره كنا فيها سوا.

لم تشعر تجاهه إلا بالاشمئزاز تكفي نظرة واحدة لجراحته غير الدقيقة بالمرة ليخفي ما ضربه من هرم لما تكالب عليه العمر وأصابه الصلع فلجأ للزراعة، فجبهته مفترشة بشعيرات صغيرات كالنجيل الاصطناعي الآخذ في التدهور حد الجفاف لا تستطيع إلا التحديق بها للبحث عن حشرات الحقل لتأمن شرها.

ابتسمت بدبلوماسية وقالت:

- مش مشكله أنا عارفه إن كل المنتجين زيك، ممكن نتكلم في الشغل؟

- طلباتك؟

- عقد بتلات سنين بس وهنمضيه هنا.

- خليهم تمانية؟
- خمسه وده آخر كلام.
تم الاتفاق وأبرم بقبلة طبعت على ظهر يدها ثم صوت مألوف يقول:
- سا الخير.
سحبت يدها من يد هادي على الفور ورفعت ناظريها للصوت الذي أدرف:
-اسم الله عليكِي إتخلعتي.
سأل هادي عن من يكون هذا فأجاب الصوت:
-القنطره اللي قبليك جاى أنصحك مش أكتر، ماهى جامده قوى مابتزهقش وتعملك أى حاجه، ابقى قولها هتتدلع شويه بس صدقنى هتخدم على حق.

## [مالك مراد]

وقبل أن يعتصر عنقها المزان بعقد ماسي لن تمتلكه يومًا سحبه صديقه – زيزو- الذي نقل له آخر أنباء نجمة الجماهير حتى خارج الفندق وعرض عليه إيصاله لفيلته ولكنه رفض وركب سيارة أبيه الوحيدة المتبقية من أسطول مراد المنشاوي وانطلق متخذ طريقه للهاوية. اكتملت معالم مأساته وضاع كل شيء حتى الحب، وماذا انتظر من ساقطة تطمع بامتهان الدعر بتوسع، لوهلة فكر بالزواج والسفر بها ليواجها المصاعب سويًا كما وعدت ولم تفي حتى أتى التوقيت الأمثل ورأى خيانتها بعيناه. يالا الحماقة فقد كانت ماهي بعيونه قطة شيرازية ليس في وسعها غير التثائب في ظل شمس حبيبها ولحس فرائها إنما قطة بلهاء تلعب بالخيوط بحاسة حمق القطط فتصنع منه أنشوطة من حول رقبتها ولا خلاص إلا براشد يعيد لها حريتها. قطة لا تملك من العلم إلا الخوف على فرائها الأبيض من غبار كل من لامس حنوها إنما لا زالت قطة كبقية معشرها لا أمان من ناحيتهم. كم كان مغيبًا لما ظن أن المسافات كفيلة بخلعها من قلبه والعودة لبداية الخليقة قبل خلقها، فقد وجدها بكل حقيبة حمل بها أمتعته وكان لها المتاع، وكل قميص تلحف به لأنها الدثار، ولكنها ككل النساء من بعد شتائه ستجد صيف يحملها عنه ولا يحمله عنها. بالأيام ما قبل اليقين كان يقفز عن كل ذِكر وذكرى لأخرى ويعود لحظيرته وربته تسقيه وتداويه وتفترش عشه بحشائها فالوفرة بالنساء لم تحرره من عشقها خاصة لما يأتيه صوتها مرة شهرية فهذا كان كل ما استطاع التكفل به بعدما فصلت بينهما حدود القارات باردة وحارة، وثب لعناق صوتها العاري إن تلهف لصوته ونسي نسائه وراعياته

بغيابها فقد وجد بالصوت المتاع لما حسبه صوته ، ملكه، مالكه.
أنهى دوائره في أندريا وجلس على طاولة جانبية بعيدًا عن البار علّه يختفي عن عيون الشامتين والمشفقين، فهذه الضربة لم تسقطه فحسب بل سوته بالأرض ودهسته الأرجل بلا رحمة. أكل أوساخ عرضت عليه في هيئة طعام أمريكي، نام بعنبر طلاب لا يرتقي لسجن مشدد، قبل صدقة وأصبحت يده السفلى بعدما كانت العليا دائمًا وكلا من أجلها، النقود التي كان يرسلها أبيه كانت لتكفيه لمعيشه كريمة ولكن فضل الكرامة لها وهو من خشى على سمعتها من أن تتلطخ إثر رفقتها الدائمة لأسطورة السقوط حياة لكن تغلبت على أستاذتها بالعهر؛ ابنة المغربي.
أستاذتها سقطت أمامه مبتسمة تطلب ما طلبته مرارًا ولم يلتفت يومًا لطلبها فقد كانت لصديق وأخر وأخريين، تمسح على ظهر يده برقة وتقول بنعومة:
-ياما قوتلك ما بتحبكش وماصدقتنيش، تستاهل كل اللي يحصلك.
صاح بالشامتة:
-انتي اللي لجريتيها لهادي ماتمثليش عليَّ، قومي غوري من هنا.
سحبت يدها عن يده وأسندت رأسها عليها وقالت:
- أنا !! وانا مالي هي اللي واطية ما تعرفش قيمتك، هسبقك و إنت تيجي ورايا عاملالك مفاجأه.
- وزياد، زيزو، هنبقى ضرايرا؟!
- إعتبرني سيبته وبقيت ليك أنت لوحدك.
ما أرق قلبها المتخلي. كان صديقه برفقتها صباح اليوم بفيلا أبيها ونالت منه الأطماع فهو يريد الاقتران من المغربي ليتنعم بثراء فاحش أبدي بلا مخاوف من مستقبل نال من الديب ويستعد للنيل من المزيد في ظل أحوال البلد المتقلبة.

يتساقط رجال الأعمال واحد تلو الآخر من كثرة الديون التي جلبتها مشاريع لا تأتي بنتائج مرجوة لصاحبها أما الشركاء من أعالي السلطة لا يعبِّئون بخسائر فحصصهم من الأرباح مقابل دعمهم غير المرئي أو المحسوس؛ جزية لا بد أن تدفع وإلا عليهم وعلى أصدقائهم قبل أعدائهم. أحوال بلد متردية إلا لمن فهم اللعبة ومارسها بتوسع المال إلى جانب السلطة والمغربي أدار لعبته منذ زمن وفهمها قبل الجميع وابنته خير دليل نهارًا لصديقه لينقل إليها أخباره المأساوية وليلا لمواساته.

قامت عن الطاولة وخرجت من البار والخطوة الآن له، وحينها تضجرع المرار لأخره وقام ليسدد الحساب فوجده مدفوعًا من قِبل الهانم، يبدو أن صديقه لم يبخل بمعلومة عنه حقًا فما بجيبه ما كان ليسدد ما كرعه من مرار.

الحياة الرغدة بانتظاره بلا قيود إلا من قيدين النساء، بيدها زجاجته الروسية وكأسين، تمشي للخلف حتى غرفته وتشير له بالمضي قدمًا، بحوزتها مفتاح المركز، فهي لم تكن مجرد تلميذة فقد كانت أستاذة جليلة وفها التقدير كل طالب مرر على مركزه التعليمي، دلف من خلفها رآها قد ملأت الكأسين وتناوله أحدهما ثم أجلسته بطرف السرير وجلست تتأمله، لا زالت لا تصدق إنها نجحت باستقطابه. تأملها بدوره فهى جميلة ، مثيرة، تريده والمعضلة لا يريد أي شيء على الأطلاق ولا حتى هذا الكأس. طرح الكأس أرضًا فتهشم وهرب قبل خيانة صديق نصحه مرارًا بالابتعاد عن حياة زائفة ونصحه هو الآخر بالابتعاد عن النساء الطامعات خاصة الفنانات الحقيقيات كما ترى نفسها الحبيبة المتخلية.

جزعت من صوت تحطم الكأس ولكن تماسكت سريعًا واستطاعت اللحاق به ثم واجهته بالحقيقة القبيحة.

- أنا الوحيده اللي أقدر أسعدك ومش أسعدك إنت بس.

---

ولها فائق التقدير فهي تستطيع إسعاد الكتيبة الثالثة الميدانية بمفردها وقد يتساقطوا من حولها لاحول لهم ولا قوة ولكن ما قصدته حقيقةً عرض أبيه الأخير لأبيها ليكون شريك ينقذه من الإفلاس إنما ظل الطلب معلق لأجل غير مسمى. جذبته من ذراعه حتى الأريكة وأجلسته، لم تستسلم وإستسلم هو، فعلت ما تريده بتأني ودقة جعلته يصدق كل كلمه سمعها عن حياة المغربي، تزوجت ثلاث مرات وجميع زيجاتها انتهت بنهاية مأساوية للزوج بالطبع مثل موت بحادث مروع أو سجن بلا قرار، رتل ممتد من العشاق تغنوا بجرأتها وشبقها المتأجج ، كلمات ملوثة ترددت بأذنه إمتزجت بصرخاتها وتأوهتها وكانت الخيانة الأولى لصديقًا صديقي.

بين الصعود والهبوط يسقط اسمه عن شفاها كالبصاق المقزز من فمً ملوث تخاف المساس به وإلا بخ بوجهك سموم البوتكس، شعرًا أحمرًا متوهجًا يضرب وجهك مذكرًا بموقفك القادم إلى الجحيم رأسًا، بشرة صفراء كرمال صحراء جدباء تخشى التغوص بها وإلا ابتعلتك رمالها الناعمة وعليك بالهرب إنما أين المفر فقد كان إجباريًا اعتلائه فكلما حاول التملص أعادته من أسفلها ومارست مجونها إلى أن تمت الجريمة.

أنزلها عنه وقام يغلق سحاب سرواله أما هى تراقبه في ذهول؛ تخشى أن أدائها المذهل لم ينال استحسانه فلمساتها انقبض له جسده وتموج البرد صاعدًا لعموده الفقري حتى تيبست عضلاته ورغبته. هم للخروج منعته مرة أخرى وقالت بحدة:

-إيه، ما عجبتكش؟

تفحص ما لم ينال إعجابه بإذراء وقال بتهكم:

- ده أنت الباشا يا لالا.

كلمات المديح أو التدليل من صديقه لها. خرج لم تمنعه هذه المرة، ترى ماذا بجعبتها. ماذا حسبت بعد تهديدها، مالك مراد الديب توقف عن الدعر الرجالي، لن يبيع نفسه مجددًا حتى لو سفَّ تراب الجحيم فقد اعتاده بأى حال كما أن تراب الحجيم له مذاق الكرامة التي لا تضاهيها مذاق. عاد للفيلا فجرًا ليكمل ليالي الزمالك الأخيرة برفقة العائلة، بهذا الوقت يكون البيت ساكن إلا من صوت أمه الهامس بشعائر صلاة الفجر لكن هذه المرة لم يكن هامساً فقد كان صارخا تصيح بأبيه لأول مرة، تسأله طلب الرحمة من الله عوضًا عن ما يطلبه من راقصاته علّ الله يستجيب ويذهب الضباب الذي عتم مستقبل العائلة. مسكينة أمه هل يستجيب الله ممن مثله هو وأبيه، عليها التكفل وحيدة بالدعاء لو تمتلك بصيرة. عاد لغرفة نومه واستلقى على السرير جامعًا كل الوسائد والدثور ووضعها على رأسه علها تمنع عنه صراخ أمه فجرًا وتسكن الأغبرة المسمومة المتداخلة برأسه حتى صنعت زوابع أطاحت بما تبقى من أفكاره الجدباء من حول تخيل الأيام القادمة بسف التراب. العجيب عصفت برأسه أحلام عديدة كانت بطلتها حياة لا بد إنها عاقبة القدر على خيانة لصديق أحمق أراد الاقتران بحياة بملأ إرادته، فطالما كانت عاقبته الأشد فتكًا والأشد ضراوة. أخته توقظه بعنفها الغير مبرر وترفع عنه وسائده وغطائه، تتغنى بسعادة أن الغمة بطريقها للنزوح والمتسبب مالك الذي لا نفع منه بأي شيء. يدها الثقيلة تدق لحمه وصياحها المرح تبدل وأصبح غضبًا وعليه النهوض بمفرده أو ينال حمامًا باردًا بالسرير. أمسك زجاجة المياة عن يدها وطرحها أرضًا وانتظر سبب إيقاظه فأجابته ببرود:

-بابا عايزك تحت، إنزله.

مسح وجهه بما تبقى من زجاجة المياه وذهب لأبيه، بغرفة مكتبه برفقة يوسف؛

أخيه الأصغر. على وجه أبيه الاستبشار حقًا لكن يوسف فقد وجهه ألوانه ونافس الأشباح شحوبًا. طلب منه أبيه الجلوس وتفتيح أذنه وعيونه العامسة ثم نقل له مسبب الفرح. اللعينة الساقطة ذلك فاعيلها وافق المغربي على شراكة أبيه بعدما تذلل أبيه له لشهور؛ لا بد أن ابنته أقنعته بعدما أرضاها الديب وهي من حثت أبيها على الموافقة. لأبيها العظيم شروط بالشراكة الجديدة عددها أمامه أبيه، إنما لم يفهمها مالك لأن التجارة لم تشغله يومًا حتى بند هام ضمه المغربي لباقي البنود، يطلب شراكة أقوى من المال لتدوم المحبة فهو يطلب الابن البكر رغم أنفه ليتزوج من عليلته. أنه الكيد النسائي يا سادة لا داعي للتعجب فاللعينة أمكر مما قد يتوقعه ديب؛ تريده رغم أنفه.

أبيه يسأله عن موعد ينسابه للزواج فنظر مالك لأبيه وقال:

-إجوزها إنت.

نظر له أبيه في شك وعدم استيعاب بينما صاح به أخيه:

-بيقولك الجوازه دي متوقفه عليها حياتنا كلنا.

حدج مالك أخيه بغرابة وقال:

-انت يا ابني مش كنت بتسهر معايا وسمعت إصحابنا بيكلموا عليها إزاى ده غير اللى شفته بعيني.

تبادل أخيه وأبيه نظرات واجمة ثم قال أبيه بحزم:

- قُصره الخطوبه وكتب الكتاب والدخله الأسبوع الجاى العروسة هتسافر معاك عندهم بيت كبير فى لوس أنجلوس.

- مش هقدر يا بابا إعفيني.

قام أبيه من خلف مكتبه وتوجه إليه وقال بتوسل مال إلى البكاء:

-خليك راجل بجد مره فى حياتك وبطل أنانيه وفكر فينا، فكر فى إخواتك وأمك

اللى هيترموا فى الشارع.
أجابه مالك باستخاف:
-وأبقى راجل لما أجوز حياه، ما فكرتش انت ليه فينا قبل ما توزع فلوسك على الراقصات ونساوينك والمنظره الفارغه، انت الغلطان شيل لوحدك.
بدى على أبيه خيبة الأمل وقال والغضب يتقافز عبر عيناه:
-كنت عارف ردك بس إفتكرتك بنى أدم وطلعت تور، لو ما أجوزتش بنت المغربي لا انت إبني ولا أعرفك وهاخد العزا فيك.
البقية في حياتك قالها وترك مكتب أبيه وصعد لغرفته ليجمع ملابس القتيل بأكملها معلنًا موته اليوم على يد أبيه ومن ثم نظرة أخيرة على السنوات الفائتة، أسعد وأجمل السنوات كما نبهه الجميع، طفولة مراهقة وعنفوان الشباب كلًا من وراء ظهره لمجرد أنه تماشى على ما تربى عليه، الخليلة لا تمسي زوجة خاصة إن كانت خليلة الجميع. انتهت اللحظات فحمل حقيبته من فوق ظهره وتوجه لباب الفيلا فأمسكت أمه بذراعه قبل خروجه وسألته والدموع بعيونها:
- رايح فين؟
- في داهيه، روحي خدي العزا مع جوزك.
عاد طريد الجنة والنار إن كان ما مضى منه جنة، لم يتبقى له غير المستقبل الذي أختير له وعليه مباشرته بما تبقى له من كرامة بعثرها الفقر. عاد للأصدقاء وجمع كل ما يخصه بشقة هشام بينما يسمعهم علة عليلة كانت كل ما جاب خاطره حينها؛ يريد التفرغ التام للدراسة بعدما قام باختيار مواد جديدة لدراستها إلى جانب تدريبه الأساسي وبين التعجب والمواساة عرض الأصدقاء المساعدة بكل أشكالها حسام وأمجد سوف يدفعا عنه نصيبه من الإيجار وهشام لا يريد نصيبه بل ويعرض على أخيه الأصغر الوحيد - بوكيت موني - شكر مالك الكرم

المصري بشدة وغادر إلى قاعدته العسكرية على نغمة السخط من الزملاء فقد استنكروا دفع مساعدتهم عنه بهذا الجفاء خاصة من فقير حديث العهد لم يعتاد بعد على القحط.

في صباح اليوم التالي بحث عن المواد التي تعلل بدراستها فإكتشف اكتشاف خطير، هناك بعض المواد الدراسية تزيد من راتب البعثة لتعقيدها وصعوبتها، كذلك أغلب الطلاب يتجاهلوها لأنها بعيدة كله البعد عن تدريبهم الأساسي الخاص بقيادة وتطويع الطائرات، وحينئذ قرر المجازفة بما غزف عنه القطيع وانتسب لعلوم الطاقة وتطوير الأسلحة المدفعية معا ليزيد من راتب البعثة لأربعون بالمئة بأثر رجعي، إصر ذلك تقرر نقله لقاعدة نيفادا لينضم لباقي المجازفين ببعثتهم وإعادتهم لديارهم إن فشلوا فيما اختاروا.

قاعدة نيفادا مختلفة كليةً عن أية قاعدة عسكرية حط بها، تحتل مساحة كبيرة من صحراء نيفادا القاحلة، نشأ وتترعرع بها شتى الحيوانات الصحروية أرانب بنية مرحة، أفاعي غادرة بخلاف العقارب السوداء الأشد فتكًا، بقاعدة نيفادا لا وجود لنسائي ورجإلى كل شيء مشترك فيما عدا عنابر النوم، بكل شيء سواسية بقاعات الدرس، بالتدريبات البدنية، بالمناورات ليلية أو نهارية، طيار أول أو مساعد، رجل أو امرأة على نفس الطائرة والأروع التجول مسموح بكل الأوقات وبكافة أركان القاعدة حتى في عنابر النساء. خيل له ببادئ الأمر أن جرح الكرامة هو الأصعب ولكنه كان حساس غافل وأيقن ذلك على مراحل عدة أولها إنضم لأحط صحبة من البشر كانوا زملائه بالدراسة، لم تكن هناك حلقات دراسية بين الطلاب للإستذكار فكل طالب يحافظ على حصيلته ليتغلب على باقي زملائه بكل طريقة وأي طريقة حتى إن وصلت به الدنائة والخسة لأغراق كتبك بوقود الطائرات المزود بالأسيد لتجدها بخزانتك ذابت مع باقي

ملابسك، أو الإبلاغ عن وجود شاذ يدعوا الجميع لمضاجعته وحينها يتم الكشف عليك لإنتهاك ما تبقى لك من كرامة، أو تنهي بحثًا كلفت به قبل الجميع بعد أن قضيت اليل بالنهار بالمكتبة العامة بعدما تلفت كتبك وبكل سهولة تظهر نسخة مطابقة لبحثك وصلت قبلك لتسجل أدنى الدرجات ويقرر إعادة كامل الدورة الدراسية لك بعدما أصبحت سارق لمجهودات زملائك، وهنا طفح الكيل فقد رسب بأى حال.

تناول غدائه عن أخره وانتظر حتى الساعة العاشرة مساءً ريثما يعود الطلاب والأساتذة لمهاجع النوم ليرد الكيل للعنبر المتآمر أربع طلاب والخامس كان بعيدًا عن أي جمع مثله، نال الأربع ما يستحقوا وتساقطوا من حوله حتى اقتحم الخامس العنبر وأمسك به قبل أن يرسل الأربع للجحيم وقال:

-توقف عن الافعال الغبية التي سوف تنزل عليك أشكال جديدة من العقاب.

سحب مالك قبضته من فك أحدهم ونظر لخامسهم الناصح بغير معرفة مسبقة بإذراء وخرج من العنبر ومن المهجع الخاص بالطلاب لمصطبة الطائرات تحت سماء نيفادا المحملة بأتربة الخريف أو أيًا مما يطلقون من مسميات على هذا المناخ الغريب فمنذ وصل لنيفادا لم يرى غير شمس محرقة وأتربة عافرة.

جلس على الأرض الخرسانية مستند بظهره إلى عجلات الإف ستة عشر التي لا أمل بقيادتها بالقريب ثم رفع عيناه للسماء طالبًا منحة، برهة، رحمة أو أيًا مما تجود به الأقدار لترحم البشر المتهالكين ولكن لم يأتي غير الفرنسي، خامسهم يقف أمامه ويمد يده معرفًا عن نفسه إميل أنابيل. نظر له مالك متعجبًا فكلاهما على معرفة مسبقة ولو بالكنيات فقط ولم يبادله التعارف، وحينها افترش إميل الأرض بجانبه وقال:

-ما رأيك أن ننشأ حلقة دراسية، أنا أيضا رسبت.

نظر له وقال:
- وما الذي يجعلني أنشئ حلقة دراسية مع راسب.
- الأربع يريدون إزاحتنا من الدورة لأننا مختلفون وهم يريدون اللعب بعدل.
إسترعى مالك الحديث وقال:
-لا أفهم ما تقوله ، ماذا تقصد؟
-أنا طفرة مثلك.
-لست طفرة أنا مجرد. .
قاطعه إميل:
- أعلم ما تكون وذلك يجعلك مختلف، علينا التعاون سويًا لنجتاز الدورة.
من هو لينكر التعاون مع أي مخلوق حتى لو مع فرنسي ولد فقيرًا ونشأ بقرية على أطراف فرنسا ولديه الحلم والقوى الخارقة. سجلت قوة نظر مالك ستة مقابل عشرة ولكن إميل ستة مقابل ثلاثة عشر، قبضته تزن ثمانون رطل ومع التدريب وصلت للمائة وبالطبع قدرة ذكاء واستيعاب أعلى لأنه لم يقحم نفسه بالمشكلات مثله وتقبل إساءات باقي الزملاء بصدر رحب حتى رسب بهدوء وتنحى الزملاء للمرحلة التالية.
حل بالعنبر دفعة جديدة لكن هذه المرة لن يكونا وحيدين لأنهما سوف يكونا سويًا ليحمي كلًا منهما ظهر الآخر ضد أي غدر قادم. للجميع الحلم نفسه، دخول التصنيف العالمي ليكونوا من أحد أعضاء طياري سرب الاستطلاع، لذلك يريدون فرص متقاربة ويكرهوا وجود طفرات من حولهم يقللوا من فرصهم.
تصديا للكراهية بالتعاون واجتازا الدورة سويًا ليثبتا للجميع أنهما لم يكونا سارقين لمجهودات أحد وكل ما إحتاجاه هو العدل الذي يبحث عنه الجميع بغير عدل. لم يكن التعايش مع الكراهية والتعصب أول ما تعلمه مالك من

إميل فحسب فقد تبع ذلك علوم حياتية لم يعلم مالك عنها شيئا لنشأته المترفة.
الفرنسي يستطيع الطهو بأية مكونات متوفرة، يستطيع غسل الملابس لتخرج من بين يديه نظيفة مثل التي تخرج من الغسيل الجاف. الفرنسي رغم الظروف القاسية التي يعيشها بالقاعدة يشترى تقريبًا بثلث راتب بعثته منظفات قوية لأنه لديه وسواس قهري ضد الميكروبات المعدية، يراها بكل شيء حتى الهواء ومن كثرة أحاديثه عن الأمراض المعدية المعرضين للإصابة بها داخل قاعدة حربية تجمع كل طوائف البشر نقل لمالك هذا الهوس وخشى من المرض ومن ثم الموت حرقًا بمحارق القاعدة لشئون الموتى ذو الأمراض المستعصية مما جعله يتبع هوس إميل بالنظافة القسوى وأنفق بعضًا من راتب بعثته على المنظفات بجانب الأكلات الخفيفة التي يبتاعها لسد جوعه.
اصطحبه إميل لقاعة ( فقد وعثر عليه ) للبحث عن ما يناسبهما بالمجان وللحق وجد الكثير مما يناسبه وعاد غانم بعدما احترقت أكثر من نصف ملابسه بدافع الكراهية. كلًا مضى واندثر إلا وقت الاعياد؛ الفصح، الميلاد، هانوكا وتجهر القواعد الأمريكية إلا من القليل من المجندين المعاقبين وإميل ومالك. لم يستطيعا الخروج وإهدار مزيدًا من النقود على المواصلات وإن خرجا فإلى أي الملجأ بولاية لا يعرفا بها شيئًا بخلاف قاعدتهم الحربية. ظلا بالقاعدة يحتفلا سويًا بانتهاء عام يقربهما من الحلم و جوع لا يسده ثرثرة إميل بالمستقبل المشرق الذي بانتظارهما. بالعيد تهجر أيضا المطابخ فمن يريد تناول طعام المطبخ العسكري غير فقيرين مثلهما إنما تغلق المطابخ وتغفل عن وجودهما ولمن يتساءل عن المقصف العسكري فهو يغلق بدوره ويسرح موظفوه بالأعياد لأنهم مدنيين.
وجودهما أيضا غير مرغوب به فهما الآن بإجازة ولا يحق لهم منامة أو مأكل

ولكن الأمريكان كرمًا منهم تنازلوا عن المنامة وعليهما التكفل بالمأكل وحيدين ولتأكل عليك أولًا الخروج من القاعدة لشراء ما تحتاجه وهما إن خرجا نقودهما لن تعيدهما مجددًا للقاعدة ففضلا الجوع ولكن الفرنسي لا يعترف بفشل وصنع الشوربة من أعشاب تزدهر ربانيًا بلا عناية من مخلوق بحدائق القاعدة وبعض المحاصيل الغريبة التي تنموا على الأشجار المحيطة. كانت مقبولة شوربة الفرنسي ولكن معدته المترفة لم تستطع حتى الآن التأقلم على الفقر فقد أبت هضمها بشتى الصور حتى أصابه مرض معوي جعل مالك يتقيأ كل ما يأكله أو يشربه ولو ماء ومن ثم نقل لمشفى القاعدة ومع الأسف الشديد قضى بمشفى القاعدة ثلاث أيام فقط من الراحة والطعام الحقيقي الذي اقتسمه مع صديقه.
كان يزوره يوميًا متعجبًا من المقارنة بين شوربته الغريبة وهذا الطعام الحقيقي حيث يجد شوربته المصنوعة من الأعشاب البرية أكثر إفادة من طعام المشفى الإصطناعي. خرج مالك وعاد للشوربة حتى أصابه مرضًا أشد فتكًا، فقد انتهت شهيته للحياة وكل إغراء يبعده عن الحقيقة الماثلة أمامه، فقير يسعى وحيدًا لمستقبل أصبح على مقربة وعليه طرد كل فكرة تجول بخاطره غير ذلك. انتهى العيد بقسوته وعادت الدراسة فوجد زميله سجل اسميهما بمواد جديدة ليست لها علاقة مباشرة بتخصصهما كطيارين فقد سجل بدراسة اللغات والفلسفة وعلم النفس والاجتماع.
سحبه إميل للمكتبة لاختيار كتب المجالات الجديدة فجلس مالك متململًا إلى طاولة البحث بالمكتبة وانتظر الحصيلة من الكتب ولكن ليس هذا الكم من الكتب فقد تفاجأ بإميل يجر المقطورة الحديدية الصغيرة الخاصة بشئون المكتبة محملة بعشرات الكتب. يفترش الطاولة بالكتب بهدوء مريب وكأن ما يفعله لا يحث على التعجب أو تمزيق تلك الكتب من حوله وإشعال الحريق

به وبكتبه كجزاء الساحرات. يجلس بجانبه يطالع كتابًا ويعرض عليه آخر ولا يستنكر لعنه بكل لغة درسها أو بطريقه لدراستها إجباريًا.
-ألا يكفينا دراستنا لمَ تثقل علينا بمواد جديدة لن تزيد من راتب البعثة؟
ابتسم له إميل وقال موضحًا:
-أولًا لأشغل ذهنى عن الجوع ثانيًا حتى أستطيع دخول التصنيف العالمى لأكون طيار استطلاع.
زاد تعجب مالك وقال:
- ودراسة علم النفس واللغات ما سيأهلنا للتصنيف؟!
لمعت عيون إميل الخضراء بتوق المستقبل وقال:
-لكي تصبح من أفضل طياري بالعالم عليك أن تكون من أفضل اثنى عشر إنسان بالعالم والعلم هو ما يجعلك أفضل، الجميع يستطع قيادة مركبة ولكن ليس في مقدرة الجميع إبقائها بالجو فى ظروف قهرية، دراسة اللغات المختلفة تؤهلك لقراءة كل الثقافات بلغتها الأم وليس فقط بلغة من حولوها للغة التى تقرأ بها، دراسة علم النفس والاجتماع تجعلك تقبل بكل الظروف الصعبة التى مرت عليك وتجعلك أهدأ وأنت صديقي عصبي للغاية وهذا ضعف وصدع كبير بشخصيتك ولن يجعلك من أفضل اثنى عشر طيار بالعالم.
حسننًا لا ضير من المعرفة والانشغال بكل شيء إلا الرغبات المكبوتة. كان مالك بالليالي الطويلة لا توافيه أحلام إلا عن أجساد ناعمة شهية لا تملكها غير امرأة عربية لم تحمل سلاحًا أو تبارت معه بحمل الأثقال، تملك ثنايا وليس عضلات مصقولة، بعيونها استحياء وليس تحدي، تطلب الترفق وليس صفعها على وجهها لتتأجج شبقًا، ترشدك لطرقًا خامس غفوت عنه فتجذبها من لجامها أشقرًا كان أو أسمر، أملس أو أجعد وتأمرها بالخضوع، لا تصرخ بالمزيد وتصرخ

بالرحمة ولا تنزل رحمته إلا باكتفائه ثم يقوم عن زميلته الكرواتية المدعوة ناتالي ذات الجسد المرن الأكروباتي ويرتدي سرواله قبل أن تفترسه عيون زميلاتها الأربع بالعنبر الاتي لم يجدن ضررًا من مراقبة زميلتهن تصرخ بالمزيد لتحصل على رعداتها المهدئة استعدادا للاختبارات العملية بالغد، تريد الكرواتية أن تكون صافية الذهن ليتثنى لها التغلب عليه وعلى باقي الفرقة كي تحصل على فرصة أكبر لتكون من ضمن المرشحين الأوائل لسرب الاستطلاع الأمريكي وصفاء الذهن يأتي عبر خروج كافة الشهوات من النفس إلا شهوة الصدارة.

قامت بدورها الكرواتية تتمطأ بدلال لا تملكه بينما تسحب علبة سجائرها من أسفل وسادتها الخشنة، أشعلت واحدة ثم قالت وهى تزفر النيكوتين ناحيته:

-سوف أفتقدك مالك.

سحب السيجارة عن شفاها النحيلة ووضعها على شفاه وتمتم:

-بالطبع عزيزتي ولكني رجل مهذب وسوف أزيد درجاتك للضعف بكل مرة تعودي للتدريب تحت قيادتي.

نظرت له بتحدي وقالت:

-أنت تحلم عزيزي سوف تعود لديارك بالغد، لا وجود لعرب بهذه الوسامة بالتنصيف.

-وماذا عن المقدم فهد؟

-ليس وسيم.

ابتسم للإطراء وغادر عنبر الفتيات أو النساء أو أشباه النساء، لا يهم فهن المتوافرات. خطوات سريعة تتبعه بالممر التفت للخلف وجد إلينور تسارع إليه وتطلب منه التمهل وباقي فتيات العنبر انبثقوا من الباب للتنصت بالطبع.

انتظرها حتى تقدمت منه وقالت:

-ماذا عني مالك أنت وعدتني؟
هذا ما ينقصه امرأة بقامته سمراء بوجه خشبي ذكوري وحليقة الرأس، ابتسم بدبلوماسية وقال:
-تأخر الوقت إلينور ليلة سعيدة.
سارع بالخطي إلى الحمام على ضحكات الفتيات الساخرة من إلينور ولكن إلينور لم تستسلم وسألته وهى تسارع الخطى لتُجاريه:
- أين تذهب الان؟
- للاستحمام بالطبع صديقتك عرقها من الخل الأبيض وجب عليكن الاستفادة منها وعصرها قتلًا.
-سوف أرافقك.
توقف وقال بجدية:
- إلينور، تأخر الوقت كما إنني أكتفي بامرأتين بليلة واحدة.
أكمل خطاه للحمامات فتبعته مجددًا حتى توقف أمام الحمام وقال بحدة منهيًا:
- ماذا تريدين الآن؟
مسحت رأسها الحليق بيدها بتملل وقالت:
-أنت تعلم أن التنصيف لا يهمني وسوف أعود لبلادي حتى لو عرضوا على عضوية السرب.
قال متمللًا بدوره:
- حسننًا وماذا بعد؟
ابتسمت ببعض الخجل وقالت:
- أريدك أنت بالتنصيف وأريد أيضا ذكرى لا أنساها.

تركها غير مباليًا ودلف للحمام فاستوقفته ممسكة بذراعه وقالت متبرمة:
-أيها اللعين سوف يكون هناك مقابل، ما رأيك؟
قال بمرح:
- بعد منتصف الليل أضاعف أجري ليكن مائة دولار مثلا.
-أنا أفقر منك وأنت تعلم، إنما بحوزتي سرًا يؤهلك للتصنيف بلا عناء. . ثم همست مردفة. . ناتالي تضاجع المقدم ومعي الإثبات.
-المقدم فهد نزيه و. .
قاطعته:
- المقدم بول أيها الغبي وأعطاها المسار مقدمًا وسوف تتغلب عليك بأي حال إلا لو أثبت عليها تهمة الغش سوف تستبعد ومن يليها يكون الأول والأول أنت ومن يتخطئك سوف أقذفه بالجو.
-ما الدليل؟
-المسار، الخريطة برسم يد بول وبخزانتها ولن يكون عليك سوى إبلاغ المقدم فهد فأنت مقرب منه.
شيء يدعو للتفكير ولو لبرهة ولكنها صاحت:
-أيها الوغد ليس لدينا الليل بأكمله.
-ما الذي يدعوني لتصديقك؟
- المسار لنفس المكان الذي ضربت بها طائرتك أيها الأمير النائم.
تخطت فضيحته المحلية وأصبحت عالمية؛ الجميع يعلم أنه غفى أثناء قيادته لطائرة وحط بها اضطراريًا ولكن بنجاح لا يستطيعون الإنكار ويستطيع الهبوط بها مجددًا بأوعر أنواع التربة الصحراوية ويكون الأول في الاختبار. نالت إلينور ذكراها الأخيرة قبل عودتها للندن أما هو أنهى حمامه بلا إزعاج وخرج من

عنابر الطلاب لمقر نوم الأساتذة منه لغرفة المقدم فهد.
بالعسكرية معلمك الذي ينهرك لأقل خطأ ويجيب تساؤلاتك تافهة أو هامة مهتم بك للحد الأقصى أما معلمك الغير مكترث لا يرى خطأك ويعتبره من المسلمات، لا يرى يدك المرفوعة لسقف قاعة الدرس طلبًا للإذن بالتحدث، لا يناديك باسمك الأول بالعربية الفصحى مالك وليس ماليك أو بالمصري الفاشل مثل شعبك. المقدم فهد الفجر عربي المنشأ أسمر البشرة ملتحي متوسط القامة يبدو بنهاية العقد الثاني رغم أنه بنهاية العقد الثالث، يتقن العديد من اللغات واللهجات المندثرة ولا يتحدث إلا بالأمريكية الصافية. أول عربي دخل التصنيف العالمي وحاز على أعلى المراكز لخمس سنوات متتالية حتى تركه بكامل إرادته وتحول للتدريس والتدريب وترك التباري للصغار.
طرق باب غرفة نوم المقدم العاشرة مساءً فطلب المقدم من الطارق التعريف عن كنته فهتف مالك باسمه ثلاثي. فتح مالك الباب بعد أن سأله المقدم ذلك، فوجده جالس بملابسه العسكرية حتى بعد انتهاء الدوام على طرف سريره الحديدي، لما رآه المقدم أغلق مصحفً كان بيده ووضعه على كومود صغير من الحديد المطلي بالكروم ثم انتصب واقفا بتكاسل بينما يقول:
-إنها العاشرة مساءً مالك ولن أجيب على أية أسئلة.
-لم آتي لأسال سيدي المقدم جئت لأقدم إفادتي بشأن زميلة تنوي الغش بالغد عن طريق علاقتها بالمقدم بول سارتر.
-إنت مسلم يا مالك؟
العربية الأولى من فهد أجابها مالك متعجبًا:
- أيوه يا فندم.
عاد فهد للإنجليزية قائلًا:

- أكمل إفادتك.
نقل مالك أفادته للمقدم فجلس على سريره مبتسم وقال:
-بأى عالم تعيش مالك، تضاجع عنبر الفتيات بالكامل والآن تأتي لتشي بهن.
-ناتالي فقط من تغش.
-إذًا لست ذئبًا كما تلقب، النساء لا يحفظن سرًا لا بد أن جمعيهن يعلمن المسار الان، كنت أود تجاهل إفادتك ولكن لا تروقني طريقة بول أو وجود نساء بالتصنيف ولكن إفادتك سوف تصيبك أنت أيضًا وتوضع دائمًا بمحل شك.
بهت مالك أمام هذه المعلومة التي غابت عنه ولكن تداركه فهد وقال مطمئنًا:
-سوف أجد حل وحتى أجده أرجو منك أن تتوقف عن إذاعة الأخبار والاهتمام بدراستك أكثر من مداواة أوجاع النساء.
قام المقدم عن سريره وتوجه لمكتبه وأخرج من أحد أدراجه مصحفًا صغيرًا آخر وناوله لمالك إلا أنه تراجع وقال بالعربية:
- طاهر؟
-أيوه يا فندم.
وحينها ناوله المقدم المصحف وقال:
- أكيد ما معك نسخه لكتابك، ما تسمح لحدن بلمسه غيرك، كلهم أنجاس.
تناول مالك المصحف من يد المقدم وقال:
- شكرًا يا فندم أنا فعلًا ما جبتش معايا مصحف.
ابتسم فهد بثقة وقال:
-إيه بعرف، إرجع لعنبرك الحين.
المقدم سعودي الجنسية أو خليجي على أقل تقدير وحقق كل تلك الإنجازات، لا بد إن له عائلة كبيرة من الشيوخ الأثرياء تدعمه وليس مثل من تيتم فجأة

من كل عائلته دفعة واحدة، يكفي عويل عليه العودة للعنبر لنيل قسطًا من الراحة إثر تلك الليلة الطويلة للغد المشرق. الزملاء جميعًا قيد التحضير للغد؛ يوم الحسم. كلًا برفقة كتابه رغم أن الاختبار عملي فجميعهم لا يملكون الاستشعار القوى للظروف المناخية من حولهم بلا كتب عقيمة كتبت منذ عقود وتبدلت الطبيعة المناخية بكل بقاع العالم ورغم ذلك لا زالوا يبحثوا في الكتب على ما اندثر ويتكاسلون عن البحث بالدوريات الحديثة فهم لا يملكون الحس ويملكه العبد الفقير لله، المقدم من قال. استلقى مالك على فراشه المؤلم وأغمض عيناه ثم تذكر ما بجيبه فانتفض واعتدل بجلسته وأخرج المصحف من جيبه وتطلع به للحظات من السكينة لمجرد النظر إليه، فتحه على فاتحة الكتاب علّه لم ينساها مع كل ما نسى ولكن للمفاجأة لا زال يذكرها، فلسانه يسبق عنيه بالقراءة حتى أمين بآخر ما تبقى من يقين ووضع المصحف أسفل وسادته وترك المهرطقين لكتبهم العقيمة.

الخامسة فجرًا نوبة صحيان رغم أن بيوم الإمتحان يستيقظ الطالب بالوقت الذي يشائه واقتحمت قوات المارينز بالقاعدة عنابر الطلاب وأقاموا تفتيش دقيق على كامل العنابر وظهرت الحقائق؛ النساء لا يحتفظن بسرًا حقًا. تم ظبط خرائط مع ثلاث طلاب رجال بنفس عنبره واستبعدوا من الإمتحان وسوف يرسبوا بالدورة بالكامل تأديبيًا وخرجت النساء من تصفيات ما قبل التصنيف كما تمنى المقدم فهد وأصبح الآن أربعة فقط من الرجال لديهم الحق لإكمال الدورة.

تأجل الاختبار للسادسة مساءً بعد أن كان في الثانية عشر ظهرًا حتى يتثنى لطاقم التحكيم وضع خريطة جديدة للمسار لتحري الشفافية. بعد سماع آخر الأنباء عاد للاستلقاء بأريحة كبيرة بينما الزملاء لم يتهاونوا بالثرثرة عن كيف

ولماذا ومتى حدث.  ما حدث هو العليم الوحيد به وبمَ سوف يحدث لاحقًا.
انتهى الاختبار وعادت الدراسة في جو من الهدوء بعدما تقلص اثنى عشر طالب لأربع ينتظرون النتيجة النهائية، لا زال مالك المصري المبتسم الفاشل مثل شبعه الفكاهي وعليه التخلي عن الطيران والإتجاه للمسرح الضاحك، وحينئذ اطمأن قلبه للنتيجة المنتظرة فكلما أمطره المقدم بالتأنيب زادت ثقة مالك بالنجاح وحينها يهب واقفًا ويقول بتهذب:
- أشكرك سيدي المقدم، كلماتك خطواتي القادمة.
ثم يجلس مبتسم ويضحك باقي الصف برفقة المقدم فهد على تقبله الإهانة بصدر رحب ويعود الدرس.
عطلات من جديد وجوع متجدد لا يوافيه قِدم بمعدته المترفة، ليس في إمكانه إلا تناول شوربة إميل من الأعشاب ولكن هذه المرة أدخل عليها بعض الدسامة فقد نجح في اصطياد أرانب الفراش التي تغزو صحراء نيفادا عوضًا عن ثعابين الكوبرا التي أبدت امتعاضا من اصطياد زميلاتها وهاجمت القاعدة بضراوة للانتقام مما أدي لنصب سياج مكهرب على كافة القاعدة منع إميل من التسكع بالصحراء للصيد وأمسى يجلس بجانب السياج المكرب منتظر من أحد الحيوانات ارتكاب حماقة التقرب من فرنسي وسيم حتى تصعقهم الكهرباء ويسحبهم الفرنسي من أسفل السياج بعدما حفر خندق ووضع بتجوفيه عصاة جمع النفايات لتمكنه من حمل الحيوان النافق من أسفل السياج.  عصاة جمع النفايات مصنوعة من الألمونيوم تشبة إلى حدً ما كبير عصا الجولف بنفس سمكها وطولها الذي يوازي ذراعين تقريبًا بأعلاها مقبض ينسلت منه حزام قصديري يتمشى على طول العصاة ينتهي بكلاب يمكنك من حمل النفايات دون أن تلسمها بيدك أو حمل الحيوانات النافقة عبر سياج مكرب لتنال منك شحنة

قدرها مائة جول قد تفقدك حياتك ولكن الفرنسي يفضل الموت مكهرب قبل أن يموت جوعًا، أما المدلل الفاشل أنكر أفضال الفرنسي ولم يقبل بأكل حيوانات ميتة ولم تذبح على الشريعة الإسلامية وقرر الإمتناع عن طعام إميل وتناول ما أدخره من جبن مطبوخ مصنوع من نفايات البلاستيك على ما يبدو من مذاقه الكاوتشوكي تأبى حتى الكائنات الدقيقة من تحليله للتعفن فقد تجاوز وجوده تاريخ انتهاء صلاحيته بأيام عديدة.

بيوم دعاه إميل للتنزه والغداء على نفقته ووعده أن بعد هذا الغداء سوف يكره رؤية الطعام من التخمة التي سوف تصيبه من كثرته. خرج فقط مع إميل ليتأكد من سلامة قواه العقلية وليس للتخمة فهو بأى حال كره روية الطعام أو أيًا من مسببات الضعف الإنساني. خرجا من القاعدة بسيارة نقل عسكرية حتى الطريق العام ومنه استقلا حافلة متهالكة صندوق تروسها يأن طالبًا الغفران وإسلام روحه للقدير. رأى شوارع غفلت عنها العناية الأمريكية مليئة بالأوساخ، وعرة متساقطة الحواف غير معبدة لتجعلهم متسوين الجلسة ولو لجزء من الثانية داخل الحافلة ، شوارع يحمل أسفلتها علامات الإطارات المحترقة ، وبقع الزيت النازحة من المحركات الهلكة، شوارع تعج بأناس حقيقيين بعيدين كل البعد عن الواقع الهوليودي المصدر لنا، رجال مترهلين، مراهقين نحفاء بملابس صاخبة حليقي الرأس بأذانهم أقراط لامعة، طوال الشعر بوجوهم مساحيق النساء، نساء سمينات، أطفال مشاكسين لا يتوقفون عن اللغو والنظر تجاهه والتمتمة فيما بينهم. رياح محملة بما هو أكثر من عوادم الطائرات فهي محملة بروائح القمامة المتجمعة بزوايا الضواحي. على أطراف الطريق محال للأطعمة الجاهزة والسموم الدهنية متسيلة على حواف مداخنها، بيوت ذات طابق واحد على أطراف نوافذها السخام الأسود المنبعث

من نفاث العوادم. أمام بعض البيوت حمامات سباحة من المطاط لينعم الفقير أيضا بفكرة حمام السباحة الخاص بصحراء نيفادا حيث الجفاف ليس موسم بل طابع. لكزه أميل للتهيأ للترجل بالمحطة القادمة فقاما سويًا وتبادلا الوداع مع الاطفال وترجلا من الحافلة. ولأنه المصري المدلل ظن أن صديقه سوف يصحبه للغداء بشارع - ستريب وان - ومحاله وفنادقه المدهشة المتلألة بأضواء النيون المبهرة إنما الواقع كان فقيرًا مزريًا كما ألف من عروض الحياة الأخيرة. تناقصت البيوت والمحال تدريجيًا حتى أسوار قصيرة واطئة لمقابر موتى يتوسطها مبني ديني بسيط قد يكون كنيسة ولكن بلا أجراس ضخمة. رتل طويل أمام باب الكنيسة الخلفي انضم له إميل ودعاه للوقوف بجواره فصاح مالك:

-هنشحت لقمتنا.

قال إميل مستعين بدراسته للغة العربية مؤخرًا:

- نشحت مثل شحاذة.

أجابه مالك بتململ:

- أيوه يا أخويا. . نشحذ. . هيا بنا لنعود للقاعدة.

هم مالك للعودة ولكن أمسك به إميل وقال بإصرار:

-أنه طعام حقيقي مالك وليس جبنك المسمم الذي سوف يهلك قولونك، درس آخر عليك تعلمه.

سأله مالك بتهكم:

-ما الدرس الآن سيدي الملازم.

-الشحاذة مهنة وتمارسها كبرى الدول من أنت لتنكر.

حسننا من هو لينكر ليقف بجانب المشردين من أجل طعام دافئ وكأس صغيرة من النبيذ الأحمر لفتح الشهية وكأن أي معوز من رتل الجياع في حاجة لفاتح

للشهية ولكنه أيضا من لينكر طقوس كنيسة كريمة أحسنت للجياع. طبق كبير من الفل الأبيض أعلاه مغرفتين من الأرز الفلبيني الطويل الحبة، بعض المرق الأصفر المشبع بالخضروات، شريحة لحم كبيرة من الديك الرومي المدخن والتحلية علبة صغيرة من بودينغ الشيكولاتة السوداء، ود لو أبدل بودينغ الشيكولاتة بكأس آخر من النبيذ المخفف بالمياه الفوارة التى أفسدت مذاقه الرخيص أكثر فهو يكره الشيكولاتة. وقبل تناول الطعام طلب الكاهن أو القس الصلاة من الجميع لتبارك المأدبة فتلى الجميع صلاته وتلى مالك الفاتحة فتقابل الجميع عند أمين إلا إميل ظل صامت حتى شرع الجميع بتناول طعامه فسأله مالك:

- لماذا لم تصلي معهم؟

-لا أؤمن إلا بالحياة والعلم أى عبث آخر لا يستهويني.

-تبًا، انت محلد؟!!

-إذا كانت الأناشيد والصيام والتضهور جوعًا حتى لا أكل حيوان ميت ديانة إذًا فأنا ملحد.

-الإسلام تسليم منك، تفويض منك لإله قدير وكلته بكافة شئونك. . الصيام والصلاة وعدم تناول الميت والدم والخنازير ماهي إلا شرائع سماوية لكل من قبل بالتفويض من إله أقدر منك ومني على رؤية الصالح لعباده الضعفاء والعلم الذي لا يستهويك شيئًا غيره يثبت يومًا بعد يوم صحة تلك الشرائع ولكن المسلم الحق المؤمن بقلبه يترك الصالح للقدير كما تتركه لأبيك لما يرشدك للصالح ولا تسأله من أين له بالعلم لأنك تثق بأن أبيك لديه الخبرة الازمة ليرشدك للحق لأنه يحبك ولا يبغى إلا سعادتك.

-أحمق.

- ملحد جائع طلب الخلاص بكنيسة القدير وليس من داروين ونظرياته.
كان الفرنسي يهم باستكمال الجدال ألا إن مالك أوقفة إشارة من يده وعاد لطعامه فهو لم يعد من محبي الجدال بأي شيء. ترك إميل لإلحاده ومن جديد من هو لينكر أى فكر بأرض الحرية؛ أمريكا. حريًا به عدم الانحياز وتقبل الآخر مهما كانت توجهاته الضالة كي يتثنى له المواصلة لأخر الطريق. يالا الإحراج باقي الشحاذين كلًا منهم منكب على طبقه يبللون الخبز بالمرق البني لحشوة الديك الرومي وينهمون من الأرز الأصفر بينما هو أتى على طبقه وخبزه منذ أمد، ليس في وسعه الاختفاء حتمًا أو النهوض للخروج قبل أن ينهي إميل طعامه فانكب على طبقه ليخفيه عن العيون المتفحصة من بين رسغيه آملا ألا يلحظه أحدهم ويتهمه بالفجع الشرق أوسطي. بينما كان محنيًا على طبقه للاختفاء أتاه صوت ناعم يقول:
-أتريد المزيد بني؟
رنى بعنيه لصاحبة الصوت الناعم لم تكن غير راهبة ذات وجه أبيض مستدير كالقمر الصيني، لها حاجبين سوداويين كثيفين إنما بنعومة، بشوشة بعيونها سماحة بلا أسباب، مكسوة لرأسها بالأسود.
- هل أستطيع إعادة ملئ طبقي؟
أجابته بابتسامتها السمحة:
-بالطبع.
قام على الفور وحمل طبقه ألا إنها تناولته منه وقالت:
- سوف أتيك بالطعام، استرح بني.
غادرت وتبعتها رائحتها العطرة من النعناع المنعش فتنهد براحة وقال:
-كنت قد نسيت كيف تبدو النساء الجميلات.

نظر له أميل وقال مستنكرًا:
- أنت فاسد حتى النخاع، تستهويك راهبة !!!
أجابه مالك مستهزًا:
-وأنت ماذا يستهويك غير العلم والحياة، مما تعاني إميل، لا أراك مع نساء أبدًا إلا للدرس وشرح الماسكات العلاجية؟
حدجه إميل بنظرة تحمل الكثير من الآلم لم يفهم مالك معناها ثم عاد لطعامه في صمت بينما هو أتته الراهبة بطبقه محمل من جديد فأعاد تحميل معدته للتخمة كما الخطة الموضوعة سابقًا.
عادا للقاعدة برفقة زميل آخر محبب إلى قلبه قبل معدته ألا وهو، التخمة.
استلقى على فراشه بالخامسة مساءً تجنبًا لهضم سريع قد يصيبه يذهب طعم الطعام الحقيقي عن فمه، بينما الفرنسي عاد لكتبه وتركه للأعياد الموحدة وكتامتها. بالأعياد كلًا مع عائلته على مائدة عامرة يتبادلون الحياة ما قبل العيد،آملين بحياة أفضل بعد إنقضائه، الأم وحنانها ودعواتها بالفلاح، الأب وتهكمه، الإخوة ومشاكستهم، وعظ الأجداد علّ الصغار يتجنبوا أخطاء الكبار ولا يعاقبوا عليها بالنفى الأبدي. هل يفتقدوا وجوده كما إفتقدهم بالطبع لا، لم يفتقده أحد إلا أمه وترجو من الله عودته لتجف دموعها. درس آخر عليه تعلمه نبذ كل ما نبذك وإن كان عائلة بأكملها نسب وولد إليها.
حل الصباح وإميل يهتف باسمه بالممر حتى دلف للعنبر مهرولًا وألقى عليه مظروف عسكري أخضر اللون ويصيح:
-تحقق الحلم، تحقق الحلم مالك.
اعتدل على فراشه جلوسًا وسحب المظروف عن ساقيه بتقلق، بتوجس النهاية الغير سعيدة بدحر البطل وقتله، فتح المظروف فوجده استدعاء للمثول أمام

قائد القاعدة باكر غد، فقط بلا أية معلومات يبدو إنها نهاية حزينة فالمثول أمام قائد القاعدة لا يحتمل أكثر من احتمالين الأول والأكثر شيوعًا إنهاء بعثتك وأعادتك لبلدك بملف أسود يظلم ما تبقى من مستقبلك أو الحلم الذي لم يكتمل، فلا زال أمامه دورتين متتالتين من الدراسة حتى التصنيف. لم يتفائل للحد الاقصى مثل إميل فالكتامة غلفت قلبه ولا يعترف إلا بما هو أمامه من بديهيات وليس بما يأمله. أتى البكور وتهيئا للمثول أمام قائد القاعدة وبرفقته المقدم فهد، القائد خلف مكتبه يدخن سيجاره الأمريكي الرخيص حيث انبعثت منه روائح القمامة المحترقة وليس توباكو فيفا لكوبا مثل سيجار الكريم أما المقدم الفهد كان يجلس امام مكتب القائد يدخن غليونه بكل خيلاء أمام ميجور أمريكي ويقول:

-وقع عليكم الاختيار لتتقدموا للتصنيف العالمي من كان منكم له زميل معروف عنه الكفاءة يرشحه ليخضع لاختبارات ما قبل التصنيف

ابتسم مالك بفرحة عارمة وقال:

- زميل واحد فقط؟

أجابه المقدم :

-نعم سوف تنضموا من اليوم إلى صفوف المتدربين الأوائل أحزموا أمتعتكم في سرية تامة وتذرعوا حجة واحدة لزملائكم تدريبكم قيد السرية

ثم أشار له المقدم بغليونه وأكمل بتقزز:

- وإنت توقف عن الابتسام أي رجل أنت. . ثم تحول لقائد القاعدة وقال. . هذا الوجه لا يصلح للبوكر سوف يعلم غريمه من الوهلة الأولى أنه أمام أحمق.

وحينها أغلق مالك فمه تماما فاستطرد المقدم:

- هذا أفضل، إذهبا الآن أيها الأحمقين ماذا دهاكم؟

ثم أشار بغليونه تجاهما بالانصراف بعدما جمدتهما الصدمة. خرجا الأحمقين لا يصدقا ما حدث منذ ثوان، مشيا متلاصقين الذهول يلازمهما حتى خرجا من المبني الإداري لسماء نيفادا التي تسقط عليهم حمم بركانية في حالة السيولة اتخذت هيئة أمطار الشتاء القادم ثم انتهكوا كل سرية وقفزا فرحًا بالنصر القادم. وقع عليهما الاختيار من قبل قائد القاعدة رأسًا لتميزهما وبذلك يكونا سبقا دفعتهما والدفع التي سبقتهما. سنه ونصف السنة من التدريبات والدراسة المتواصلة وكان بانتظارهم سنتين أخيرتين ولكن المجهود المضاعف قلص المسافات أخرى بهذا العذاب القائم ليتقرب الحلم أكثر وليس لهما فقط، الفرص المعروضة من المقدم سوف يقدمها لصديقاه حسام وأمجد كمكافأة لهما على ما فعلاه لأجله بسنوات الدراسة الأولى بمصر لما قبلا صداقة الطبال الفاشل.

لم يهدرا الوقت وأعدا العدة للرحيل لقاعدة ألاسكا الأكثر سرية من بين كل القواعد الامريكية. أسوار خرسانية عالية كستها الجليد تحاوطها من كل الجهات تصل لعشرين متر مكعب فوق سطح الأرض لتحجب القاعدة بالكامل عن أعين الدببة القطبية البنية فليس هناك مخلوق يستطيع الخلاص خارج أسوار القاعدة لأن موقعهم جنوب غرب ألاسكا وتحدهم السواحل من كل الاتجاهات ومنهم المحيط الهادي وبحر بيرينغ وهى منطقة تكاد أن تكون معدومة الكثافة السكانية كما إنها غير موصولة إلى شبكة الطرق، عواصف ثلجية لا تنتهي والأعجب لأول مرة يرى سواحل ولو متجمدة وليس على يابستها أشجار أو زروع من أي نوع. جغرافيا القاعدة الداخلية بسيطة مبنى واحد ضخم مكون من عشرة أدوار رأسية وأدوار لا حصر لها رأسية وأفقية أرضية. مدينة كبيرة حفرت وبنيت تحت التربة التي تصل حرارتها للصفر المئوي أو اثنى

وثلاثون درجة على مقياس فهرنهايت. المبنى العلوي شبه مهجور لا يستخدم إلا للمناورات أو للمراقبة من أعلى أبراجه الشاهقة أما المبنى السفلي هو الذي يكمن به مهاجع النوم وقاعات الدرس ومكاتب الموظفون ومخازن الأسلحة وحظائر الطائرات. يكره البرد أكثر من أي شيء وجاء بموسم الشتاء المتجمد ويقولون أن الاختبارات لن تمهله حتى يرى صيف ألاسكا البارد القصير وأمطاره العزيرة والتي في المتوسط يهطل نحو ستة عشر بوصة من الأمطار السنوية بالمنطقة ونحو خمسة وسبعون بوصة من الثلوج. هذا المناخ القاسي لا يقارن بالقطب الشمالي الذي يتم به أغلب المناورات الجوية للبحث عن المتميز الجدير بأن يكون من سرب الاستطلاع القادم.

إميل لم يذهب دقيقة سداء وإنكب على الدوريات الحديثة كافة حتى يتثنى له بلوغ روية ومعرفة وافية للمناخ المحيط وهو تبعه. قاطع إميل قراءات مالك قائلًا:

-من سوف ترشح من أصدقائك؟

ترك دوريته ونظر لإميل وقال:

-أمجد، كان حلم أبيه الميت وسوف أجعل أمجد يختار حسام وأنت من سوف ترشح؟

- بيل، مسكين لم يستطع تنظيم أوقاته مثلك بين مهاجع الفتيات والدراسة والآن سوف تكون لديه الفرصة بعدم وجود نساء بالقاعدة.

ضرب ذهن مالك على الفور ذكرى أول قرد تناوله بحياته حيث بيل من الكونجو زائير سابقًا وعندما احتفل بعيد ميلاده جلب بجانب الحلوى والكعك قرد مطهوا على الطريقة الأفريقية واضطر كلًا من مالك وإميل أكله لتضهورهما جوعًا. بدى على مالك الاشمئزاز وقال:

- آكل القرود؟

ابتسم إميل وقال ساخرًا:

- نعم ولكن لا تنكر كان القرد طيب المذاق أظنه كان بمذاق الدجاج المشوى.

أسبوع حتى أتى المرشحون من المرشحين الأوائل وجمعوا بقاعة الغداء. بحث مالك عن صديقاه حتى وجدهما بركنا قصي عن باقي الزملاء فكلاهما نيقين ولا يتحملا الرائحة النتنة التي تصدر من بعض الزملاء أو أغلبهم للحق لأن النساء فقط من تدفع مجندين مثقلين بالمهمات والدراسة للاستحمام والتصنيف هذه السنة رفع راية لا للنساء، جلس بجانب أمجد وصاح:

-كيف أصبحتم يا ولاد الكلب؟

وبين يا ابن الكلب يا واطي وكل ما تذكراه من بذاءات تبادلوا الأحضان والقبلات والتساؤلات عن سر هربه واختفائه وحجب أي معلومات عن مكانه، أخبروه أن الاصدقاء جميعًا ذهبوا لحفل خطبة يوسف أخيه راجين من الله رؤيته إلا إنهم لم يجدوه وذلك زاد من تخوفهم وتخوف عائلته القلقة بدورها على انقطاع أخباره عن الجميع مرة واحدة. الخبر الجيد هو تخطي أبيه لأزمته المالية بعدما تمت خطبة أخيه على الساقطة حياة ليحل محله بالمعادلة وتحصل حياة على زوج تُخفي من خلف قامته العريقة مجونها وبالمقابل يحصل أبيه على الدعم المادي والسياسي سويًا. لم يعد يهتم مالك لأيًا حد من حدود المعادلة ولكن اطمأن قلبه على أمه وأخوته سوف يظلوا بالبيت الذي تربوا ونشأوا فيه بلا فاقة الخزي. أنهى حصار الأسئلة عن ما أفنى به الأيام السابقة لما سأل أمجد:

- رشحت مين؟

بدى على أمجد الإرتباك وقال بخجل:

-بص يا مالك أنا مش عايزك تزعل مني أنا رشحت حسام إحنا ما كناش نعرفلك

طريق.
ضحك مالك وقال:
-واطى.
رنى أمجد بعيناه لإميل وقال:
- وانت مين رشحك؟ زميلك؟
أجابه مالك بزهو:
-أنا من أوائل الاختيارات واجتزت أول مرحله اللي اختارني قائد القاعدة، محدش رشحنى وأنا اللي رشحتك.
زاد تعجب الصديقين لا يصدقا أن المتهور المراهق الآبي النضوج بلغ عقله من العمر أرزله. لم يشاركهما التجربة كاملة مجرد مقتطفات ليطفئ ظمأ فضولهما فهذه التجربة لا يريد حتى إعادتها بمخليته التي جدبت من أي خيال. الواقع، المستقبل هو الأجدر بالتحدث عنه لذلك أطلع صديقاه على المصدر الأمثل للدرس وتبعاه للدوريات الحديثة فالحداثة تمحي القدم مهما ترسخ. أعدت مجموعة دراسية قد تكون الأولى والأخيرة بقاعدة ألاسكا أو أي قاعدة أمريكية فلا زال كل طالب ممسك على معلوماته ليتخطى قرناءه. جاءت لقائاتهم بالمكتبة العامة على مرأى ومسمع من الجميع، والجميع نال منهم التعجب طلاب ومدرسين ومدربين، يرقبوا المجموعة الدراسية عن كثب في انتظار التفرقة عن قريب ألا إن فراقهم غير مرجح ولكن حدث بأي حال، لم يندمج إميل بالقدر الكافي مع المجموعة و بدى بعيدًا أغلب الوقت وبالنهاية انفرد عنهم بلا أسباب بينما بيل آكل القرود اندمج برحابة مع حسام وأمجد وأسماهما أخويه لأنهم بالنهاية نتاج قارة واحدة سمراء.
بدأت الاختبارات بالمناخ الأقسى ليصعد الفائز الأقوى للعلا والخاسر يسقط

بطائرته وقد ينقذ أو يدفن بالجليد بطائرته فالولايات المتحدة بكامل قواها المتطورة ليس لديها رافعات أو أوناش قد ترفع طائرة بعدما امتلأت بمئات الأطنان من المياه ولو لديها التربة الجليدية الرخوة لن تتحمل وزن المعدات الثقيلة وتغطس بدورها للأعماق. لم يسود جو من الكآبة والحزن كما المتوقع عند سقوط زميل ولكن سادت الفرحة الغامرة فكلما سقط زميل وأتت الأخبار يهلل باقي الزملاء فرحًا لخروج نفرًا من الاختبارات ليفسح الطريق لأخر رغم إن الطالب لو كتبت له النجاة سوف يخرج من التنصيف لأجل غير مسمى ولكن سواد القلوب أكحل على كافة الأنحاء حتى بيل قفز فرحًا الآن لما سمع بموت آخر زميل فحدجه أمجد وحسام بحدة أعادته لوضع الجلوس الوقور الواجب بعد سماع نكبة الموت.

لا يعلم لمَ سأل عن المقدم فهد فأرشدوه بأنه بعد كل مقتل يصعد للبرج لرؤية الحطام عبر التليسكوبات. صعد إليه وجد عينا المقدم ليست على التليسكوب بل كانت محلقة بالفضاء الشاسع، حياة بالسلام عليكم فالتفت إليه والابتسام المريح يغمر وجهه العابس أغلب الأوقات، أجابه بقين، باشتياق لكل ملمح تركه ببلاده:

-وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم أردف بمزيدًا من العربية. . أرسلت لأصدقائك المسلمين فقط، هاد تعصب.

ابتسم مالك وقال:

-إحنا التلاته خارجين سوا من مصر ومعرفش غيرهم.

أماء باستحسان ثم قال:

- خساره صعيبه، مارك كان مجتهد زوجته وابنته الرضيعه ناطرينه الحين رايحين ينتطروا وايد.

-الله يرحمه، عمره.
-بدك تسأل في شي يا مالك؟
-في الحقيقه لاء أنا حبيت أشوفك قبل ما أطلع.
-موفق إن شاء الله.
أذن بالانصراف ألا أن المقدم ناداه من جديد وأردف
-احترس يا مالك ليك أعداء يمكن يتربصوا بيك.
ابتسم للمقدم وتقدم منه يقول:
-شفتهم، بس اللي مستغربه إتثبت عليهم الغش وسقطوا في الدوره و برضه لقيتهم معانا.
-له في خلقه شئون، البيروقراطيه مرض متفشى حتى بأرض الحريه والفرص المتكافئة، لكن ما تجلج لكل مجتهدًا نصيب قانون الله بعلاه، روح إجهز لطلعتك بالتوفيق.
ودع المقدم وذهب للأعداد لاختباره الثالث من أصل خمس اختبارات، نجاحه باجتياز الأول ليؤهله للثاني ومن الثاني للثالث وهكذا. الغالبية العظمى لا يتجازوا الثاني والأكثر تميزا يظل للثالث ويفقد حياته ثمن لغروره. حسام يلح عليه بالاكتفاء بهذا القدر وليعودوا لقاعدتهم بلوس أنجلوس بهذا الشرف العظيم، ثلاثة من العرب وزائيري بالتصنيف العالمي إنجاز سوف يصدع الأجواء العالمية لشهور، يحذره من غضب الطبيعة الأم الذي لم يرى مثيله. الرؤية تقريبًا منعدمة من كثافة تساقط الثلوج، طائرتك مزودة بنصف خزانها للرحلة ذهاب وعودة ومناورات جوية وقذائف ثقيلة وتحليق منخفض لتجنب الرادارات لكن ماذا يعرف الحسام. أنه مدين لنفسه بهذا الشرف بعد كل ما عاناه ليصل إلى هذه اللحظة الفارقة من حياته، مدين لكلمة فاشل التى خرجت

من كل فاه وصبت بأذنه. مدين للراسبين بآخر دورة بعدما تسبب بكشف أمرهم وبرغم من ذلك صعدوا للتصنيف كما أمرت بلادهم الصهيونية الولايات المتحدة وردخت. الآن اصطفوا مع باقي الزملاء وبعض الضباط يراقبون خروج المقدر لهم الاختبار اليوم. يسددوا له الإشارات الأمريكية البذيئة ويلقبوه بالواشي ويتوعدوه علنًا. أمجد يشير له بأن لا يبالي وعنده عودته سالمًا لهم (روقه). لا زال أمجد على حاله لم يتبدل للآن عصبي لا يقبل نقد عنه أو عن أصدقائه ويقابل الحياة بقبضته، لا يعلم إن أي تجاوز مع الزملاء مهما كان بسيط يحتسب من درجاته، فالقاعدة تقول لتكون من الاثنى عشر عليك أن تكون من أفضل اثنى عشر على الأرض ولو لبعض الوقت حتى تحلق وتقبل وتجتاز الاختبار وتعود بالمركز الثاني بعد أن سبقك إميل وعاد وهبط بطائرته بسلام بينما مالك هبط بطائرته اضطراريًا لما فقد كامل طاقة الوقود وتضرر عند نزوله عجلات طائرته والمروحة الخلفية. بالمركز الثالث طائرة تهوى من على ارتفاع خمسة ألاف ميل وبدأت التجهيزات لاحتواء الحادث المتوقع بعد لحظات، خرجت السيارات الإطفاية وطاقم طبي لن يفيد قائد الطائرة بعدما تحامق وقفز بالكرسي القافز مبكرًا ولم يمهل نفسه الوقت ليحمله الهواء بعيدًا عن الطائرة وفتح البارشوت ليصعد بموازاة الطائرة وتمزقه إربا المروحية الرأسية.
سقط حطام الطائرة وأحدث انفجار مدوي على الممر وبدأ الإطفائيين بالتعامل مع الحادث. بالله حزن عليه رغم أنه كان من ضمن الأربع الراسبين بواقعة الغش وما تبقى من الأربع بدى عليهم الذهول مقترنًا بالخوف من مصير قد يكون لهم بالقريب. بهذه المرة فقط لم يسعد أحد لموت زميل بعدما تساقط ما تبقى من أشلائه على الممر ولملمت بالجرافات وأحرقت مثل القمامة.
وقف الأفارقة مع القليل للغاية من أفراد القاعدة والمقدم فهد لتشييع رفات

الفقيد بعلبة صغيرة خشبية والتي سوف ترسل لذويه لتدفن أو تنثر على بحيرة ما كما المعتقد السائد لديهم. تسلم قائد الطائرة التجارية سونات أربيل ثلاثمائة رفات الفقيد من قائد القاعدة ثم انتهت أصغر جنازة شهدها من أسفل نتف الجليد المتساقط على رؤسهم وأمجد يشير له بالعجلة ليعودوا أدراجهم إلى مبني القاعدة السفلي حيث الدفئ قبل أن تقطلعهم الرياح التي تلطم أجسادهم بلا رحمة. كان انتظاره من أجل المقدم فقط فهو آخر من تبقى لتشييع الفقيد حتى صعدت الطائرة بالسماء وغابت بين الغيوم الرمادية، كان حدسه في محله لما أشار له المقدم فهد ليأتيه فقد كانت عيونه تلاحقه لنقل سرًا.

ترك مجموعته وذهب إليه فطلب منه التمشي قليلًا ولما ابتعدا ولم يعد من حولهما مخلوق بين الجليد قال المقدم:

-ما تهدر وقتك ووقودك بالتحليق، الأرض أمان عن السما.

-أنا حاولت يا فندم لكن التحليق على مستوى منخفض بيهدر الوقود أكتر.

-اترك المنافسة يا مالك حياتك أهم، فكر باللي تعلمته واللي راح تفيد بيه بلدك لما تعاود، بدري إن طموحك أبعد من التصنيف لكن بعتقد إن الموت راح ينهي طموحك.

أكملا تمشيتهما لبعض الوقت بين قشرات الجليد التي تتكسر من أسفل أخذيتهم ثم قال المقدم:

- اطلب تبديل الطائرة لطراز أقدم، ما تنخدع بالعزم والحداثة اعتمد على مجهودك يخدمك أكثر.

كانت تلك نصيحة إميل إنما لم يستمع إليه واختار أحدث طائرة تلتهم الوقود بشراهة خنزير بري لمجرد أنه طمح باعتلاء الجديد ولو لبعض الوقت مثل الأطفال البلهاء ولكن الآن ثبتت كلمات إميل مما جعله يتمم على كلمات

المقدم ويشكره بشدة على اهتمامه ورعايته الدءوبة لتلميذه الأخرق الذي لا يتعلم من أخطائه ولا يستمع لنصيحة. عاد لمجموعته الدراسية لينقل لهم رأى صديقه؛ إميل وعليهم جميعًا اتباعه وترك الطائرات الحديثة من الآن وحتى نهاية التصنيف. عادت لحسام حالة الكآبة التى صاحبته منذ ترك حبيبته حزنًا على شخصٍ لم تربطه به علاقة أو كلمة متساءل فيمَ كل ذلك ولصالح من موت شاب بريعان شبابه لمجرد التنافس. لم يجيبه أحد فليس لديهم إجابة ترضيه فالرضا نابع من داخلهم؛ يريدون التميز. صعد حسام لاختباره وعاد بحمدلله سالمًا وتبعه أمجد وتوالت الاختبارات والإخفاقات من الجميع ما عدا الحلقة الدراسية المكونة من أربعة أفارقة وأوروبي وبدأت تحسم النتائج لصالحهم وحينها تعالي صياح السخط من الحاقدين ومن ضمن الاتهامات التي لا يصدقها عقل الأفارقة يفرغوا خزانات الوقود عن المستوى المطلوب ويسكبوها بطائرتهم التي لا يروها إلا عند الصعود عليها وعندما لم تفلح تلك القرينة لجئوا لحيلة قديمة وضعتهم تحت الكشف الطبي الدقيق ليثبت الكشف الطبي أنهم لا يمارسون اللواط سويًا وأخر من كُشف عليه كان أمجد. انتظروه إلى أن خرج من مكتب الطبيب، تقريبًا لم يروه من سرعته بالهرولة لعنابر الواشيين لينزل سخطه على كامل العنبر، ستة رجال أسقط منهم ثلاث والباقون يحاولون إسقاطه. سحبوا صديقهم من براثن الواشين بغير حق وخرجوا به من العنبر لتهدئته، يصيح بعربيته:

- أنا، أحمد أمجد عبد لله، يتكشف عليَّ وينزل في ملفي إن مشكوك فيَّ، ده أمي لو عرفت تموت فيها.

ربت مالك على كتفه مهدئًا وقال بمرح:

- صلي على النبي دي تاني مره ليَّ، وأديني أدامك زي الفل.

---

حدج أمجد إميل بغضب وأشار تجاهه باتهام بينما يصيح:
- الواد ده شمال وهو اللي شبهنا.
نظر إميل لمالك يطالبه بتفسير فعربيته الفصحى لن تساعده على ترجمة ما قاله أمجد ففسر مالك مخففًا ما قاله أمجد قائلًا:
- أمجد يراك وسيم للغاية لذلك دائمًا يتشككوا بوجودنا معك معًا طيلة الوقت.
لم يضحك إميل على المزحة وأغرق وجه بالخزي ثم غادرهم على عجالة وحينها صاح أمجد مؤكدًا:
-شفت، قوتلكوا شِمال.
أجاب بيل:
-نعم شَمال.
حدجهوه بتعجب ونطق أمجد بذهول:
-إنت بتكلم عربي؟!
-إيوه أتحدث العربية، لكن الحرص واجب.
وضحك بيل على تخبطهم. كيف سهى مالك عن ذلك فقد أخبره بيل من قبل أنه زار مصر لعشرات المرات وتدريبات الصاعقة تلقاها بمصر لذلك يتقن العربية والعربية العامية المصرية خاصة السباب فقد سب من مائة ضابط وعسكري بالتدريبات بالطبع، ترك عربية بيل المتفوقة جانبًا وسأله:
-ولماذا تظن إن بيل شاذ؟
أجاب بيل ببرود:
-لأنه يغار عليك، كان يحترق لما تترك العنبر وتتجه لعنبر الفتيات وعاد للإحتراق لما إنضم إليك صديقاك وإعتزلكم جميعًا رغم الكم الهائل من المعلومات التي لدى أصدقائك.

-ولكن كيف لشاذ الإنخراط بالجيش حتى الآن؟
كان حسام يتسائل فأجابه بيل:
- بفرنسا القوانين مختلفة وكلًا منا يتبع دولته وليس دولة بعثته.
أمسك مالك بيل من تلابيبه بعدائية وصاح به:
-وإنت يا ابن الكلب عارف كل ده وساكت.
رفع بيل ذراعيه مستسلمًا بينما يقول:
-مالك صديقي الصديق مش حب مشاكل.
ذهب الغضب عن عيون أمجد بثوان وابتسم للتهكم وقال:
-سوقِك ماشي حلاوه يا كلوديا.
أسكت حسام سخافات أمجد بحزم ثم قال بنفس الحزم:
- مالك لازم تلتزم بالحجاب، ثم انقض حسام بكلتا يداه على صدر مالك وأكمل سخريته. . وتلبس سونتيانه تداري الرمان.
انتهى التهكم ولم ينزل حسام يداه عن صدره بل وبدأ يتحسسه بحميمية، أما أمجد وبيل يكادا أن يخشا عليهما من الضحك وزاد الحد لما قال حسام:
-كلوديا، الليله مصلحة ولا مرووحه والاتفاق معاكِ ولا مع جوزَك.
أنزل أصابع حسام عن صدره وهذه المرة حقًا لم يستطع الرد بعدما تحطمت صورة زميل الكفاح المرير. أذن منهم للنوم فـأوقفه حسام وعاد للجدية يقول:
-عادي يا مالك إحنا في أمريكا، كلها أيام ونرجع وتسيبه والقصه تِخلص.
بل انتهت القصة من الآن. الآن والآن فقط فهم المغزى الحقيقي من النظرات الحانية التي لم توجه له من قبل رجل لأنه رآها بعيون النساء فقط والآن بعيون إميل. هو الملام بالطبع فإميل أذكى من أن يكون رجل وأرق من أن يكون امرأة وهذا المزيج لا يتواجد إلا بمخنث متفتح مثله. تستمع إليه الفتيات

بإصغان لما يشرح لهن طريقة صنع مقشر منزلي الصنع لكحت أجسادهن، يوصيهن بوضع العطر على الشريانين النابضة لتصدح كلما تأججن شبقا ليأسرن الرجال الذي ليس منهم، يكره المصارعة والملاكمة ويحب البالية خاصة بحيرة البط فنصحه مالك حينها بالتوجه للفيوم ليرى بطًا حقيقي واصطياده بندقيته ثم أكله مشوي أو محشوي بالأرز المتبل وحينئذ حدجه إميل بتعجب وأخبره أنه لم يكن يقل بطء وقصد بحيرة البجع ومالك من حسب أن البط والبجع كائن واحد ولكن تختلف المسميات من بلد لآخر. عاد لعنبر أوائل الملتحقين والغرفة بها ستة أسِرة وهو وزوجِه المصون أسِرتهما متجاورة لأنه حسبه صديقه وليس عشيقه، عشيقه لم يعود بعد ولن يعود على الأرجح ولكن إلى أين الملجأ؛له عودة.

خلد لنوم متقلقلًا على نقيض ما يستجوبه يومًا طويلًا مرهقًا وهو في أمس الحاجة إلى الراحة ليستكمل ما بدأه إنما وحيدًا هذه المرة. إنما أي راحة قد تأتي بعد ما قيل وأثبت. اصتقاك أعمدة السرير الحديدي أذاعت عودة إميل المتأخرة، يتدعى الانشغال بإعداد سريره للنوم بينما عيناه تجاهد لتبتعد عن عيون مالك، اعتدل للزميل الشاذ جلوسًا، ساقيه متدلاه أرضًا وترِف بعصبية للمواجهة القادمة.

-لماذا لم تخبرني بحقيقتك؟

أجابه إميل ببرود:

-وما حقيقتي برأيك؟

-شاذ.

-عرِّف شاذ إن كنت تعرف معناها الصحيح ثم ما الفارق في كوني معتدل أو شاذ، ما دخل ذلك بصداقتنا؟

-لم تعد بيننا صداقة ولا حتى زمالة، انتهيت منك.
حتى هذه النظرة التي بعيناه نسائية بل وأكثر مخنثة وكأنه ألقى عليه يمين الطلاق، لمعت عيناه بالدمع ثم قام عن سريره وخرج من العنبر ليتنحب بحُرية بمكان ما. أي لعنة تلاحقه ليرى بحياته العجائب بل المستحيلات فللمرة الأولى على الأطلاق يعلم أن هناك دولة بالعالم تسمح بانخراط الشواذ بجيش من الرجال لتنتقل الثقافة اللوطية للجميع ويفنى الرجال والعالم أجمع. . أين الوطن. . ذهب الوطن وتركه بما غرس وعليه الآن الخلود لنوم عميق حتى الألم، ألم بمنتصف جمجمته ثم شعر بأنه معلق من ذراعيه، مسحول على أرضية باردة حتى سقط جسده بالكامل على تلك الأرضية الباردة. ضرب وجهه بسطلٍ من الماء البارد أفاقه من الكابوس على ثلاث رجال راسبين واستطاعوا دخول التصنيف رغم ذلك، من حوله محدجين به بتحسب منتظرين ردة فعله ليتصدوا لها. جاءت جمعتهم المريبة بحمام النساء المهجور لأن القاعدة العسكرية هذه السنة بلا نساء متدربات. من يحسب نفسه قائدهم أقصرهم قامة تقدم منه وقال
- حان الوقت صديقي، أرنا كيف استطعت استقطاب إميل وجعله ساقطك؟
قال بينما يهم بالنهوض:
- ومن منكم المحظوظ لأريه مهارتي؟
لم يمهله القصير الوقت للنهوض وركله بحذائه العسكري الثقيل بوجهه فأعاده للأرضية الباردة مرة أخرى بينما الألم يعتصر وجهه ورقبته إثر ركلته. هذه المرة لم يستطع الضحك أو السخرية كما اعتاد فاللألم اتخذ طرقه المتخبطة حتى عصف بفكه السفلي. فقد كامل توازنه ولم يعد قادر على النهوض فعاد للاستلقاء على الأرض يتقلب ذات اليمين والشمال آملا بإعادة شحن طاقته التي

نضبت من إبراحه ضربًا. . انحنى القصير إليه وقال:
-كان التصنيف ليكون ثلاث مراحل فقط لولا وجودك أنت وباقي مجموعتك وهذا وضع عليك تصحيحه، أنا وزملائي لم نأتي هنا للموت بل للفوز، لذلك صديقي وجب عليك وعلى إميل الاختفاء.
اعتدل القصير ونظر لأحد صديقاه نظرة آمرة جعلت أحد الصديقين يخرج من جيبه محقن وبدأ يعده أما الثاني شرع بخلع سرواله بلا أسباب مفهومة وإن كان موضعهم الأخير دورة مياة. وفي أثناء إعداد الأول للمحقن شرح القصير الخطة للميت بأي حال ولا مجال لإنقاذه. الثاني سوف يضاجع مالك ثم تقطع عليهما الخلوة الحميمة من قبل إميل وحينها يفجع من خيانة عشيقه ويدب بينهما خلاف عشاق إنما حام بعض الشيء حيث تنتهي المشاجرة العنيفة بقتل العشيق الخائن بجرعة توسكايد سوف تسد الشرايين التي تضخ الدماء للقلب وتبطئ من نشاط عضلة القلب حتى الموت اختناقًا بعد أقل من خمسة عشر دقيقة والتوسكايد إن كان سهى عن كننه فهو أحد المواد المصنعة للأسلحة الحارقة التي يعمل إميل على أبحاثها، وسرقت الجرعة من عهدة إميل ولم يتبقى الآن غير أفضل جزء من العملية مضاجعة الطويل. وفي هذه اللحظة الفارقة استطاع مالك الضحك بشدة فقد تخلى فكه عن التبيس بعد ضربة حذاء عسكري قد تخلع فك مخلوق سوي القوى، ضحكاته أثارت الريبة بقلوب الثلاث بل الأربع لأنه تجاهل إشارة الرابع، إميل الذي يقف من الخلف في الظلام متربص لهم ولا يشعروا به للآن.
تقدم ممسك المحقن منه وحاول وغزه به ولكن مالك تملص منه بكل قواه المتبقية حتى جاء الآخرين لإبراحه ضربًا أولا ثم تثبيته لحقنه وريديًا. وأخيرًا تقدم إميل وانهال على يد من يحاول حقن مالك بماسورة حديدية فسقط

عن يده الحقن ومن ثم تنبه الآخرين وبدأت المعركة بين الأربع. ابتعد مالك عن العراك الطاحن ورغم الوهن الذي ألم به بعد تلك الطريحة الساخنة من التعنيف زحف على معدته حتى المحقن الذي سقط بالطرف الآخر في الحمام من أسفل المغاسل بعدما ركله أحد الثلاث أثناء المعركة لحاجة في نفسه يتمنى قضائها قبل موته الآن. يا له من فرنسي من يراه الآن لم يأتي بخلده أبدًا أنه مخنث، لكمة واحدة منه أطاحت بوجه أحد الثلاث وجعلته يطير بالهواء ليلتصق بالحائط من خلفه ثم سقط فاقد الوعي، تبقى اثنين رقبا زميلهما المغشى عليه بغضب عارم فأنزلا على أميل سيلًا من اللكمات أو ما حسب فما إن تقدما منه حتى أمسك بكلًا منهما من رقبته وضربهما ببعضهما البعض بخشونة كسرت فك الأول وهشمت أنف الثاني فلحقا بزميلهما بالغيابات.
ولمزيدًا من الخزي المذل فرنسي مخنث حمله على ظهره بعدما حاول النهوض وفشل فقد سقط صريعًا حتى بعدما ناوله إميل يمناه لمعانته على النهوض، عاد به إميل للعنبر ووضعه بسريره والعجيب لم ينزعج أحد مما حدث سواء ضباط أو جنود أو زملاء بواسل.
لم يستلقي مالك للراحة كما طلب منه إميل بل عرض عليه المحقن وقال:
- عليك أن تعيده لعهدتك الآن.
جلس إميل على طرف سريره وقال:
-لن أستطيع دخول المعمل قبل الصباح وبالصباح سوف يكتشف أمري وأرحّل، كنت سأعود لبلدي بأي حال ولن أكمل الدورة، لم أعد أتحمل نظرات الجميع العدائية.
ابتسم مالك بتهكم وقال:
- حقا فرنسي مخنث أنا من سيعيده ونصبح متعادلين الآن.

أجابه بحدة:
- لست مخنث أنا رجل مثلك.
- دعك من هذا الآن اجلب لي حسام وأمجد.
استلقى إميل على سريره وتجاهل ما طلبه مالك فصاح به الثاني بما تبقى من قوى:
-لا أريد تضحيات من أحد إميل، أنقذتني والآن حان دوري لأنقذك.
ظل إميل محملق بسقف العنبر وقال بهدوء:
-لست مدين لي بشيء إذ لم أنقذك من الموت لكنت أنا المشتبه الأول بقتلك بل وعلي حمايتك من الآن وصاعد حتى تنتهي الدورة ويعود كلًا منا لطريقه.
لم يقبل مالك بهذه الدراما الرخيصة وتحامل على نفسه وعلى الأعراض الغريبة التي انتابته من صداع لغثيان لتشوش بالرؤية وقام عن سريره بثقل ناءت الجِمال بحمله، استند على الزملاء الأموات بأسرتهم غير عابئين بما يحدث من حولهم، فالجميع يخشى الانخراط بمشكلات قد تخفض من رصيد الدرجات المحتسبة على السلوك القويم. خرج مالك من العنبر لطلب مساعدة صديقاه ولكن صديقه الأخير سمعه يقول:
-لن تستطع الوصول لعنبر أصدقائك قد يكون أصابك ارتجاج بالمخ وسوف تسقط بعد دقائق.
لم يبالي بما قاله، لن يكون مخنث أفضل منه وسوف ينقذه كما أنقذه وبعدها تنتهي كل علاقة. استند بيداه على الحائط الجانبي بعدما أمست الرؤية معدومة تقريبًا، لا يرى غير الضوء الأبيض القوى المنسدل من سقف الممر عبر لمبات النيون البيضاء، ساقيه خفت حمولتهما وأصبحت تحلق به للإضاءة التي تتكسر عن عيونه. أرتخت كامل عضلاته وبالنهاية ذهب لا يعلم إلى أين. عتمة

تحاوطه من كل اتجاه ثم إضاءة عالية وأصدقائه من حوله علي وجوههم قلقًا جلي من حالته المتردية. تلفت من حوله وجد نفسه بمشفى القاعدة وأصدقائه يحمدوا لله على سلامته. يسألوه عن ما أصابه وأدى لارتجاج عقله والإجابة لا يذكر شيء مما حدث فلن يجازف ويخبر صديقاه بالواقعة ليتنقما نيابة عنه فالانتقام له منفرد وتمنى أن يشمل الشاذ المجنون الذي كاد أن يتسبب بموته.
جائه صباحًا مبكرًا حتى قبل صعود الشمس للسماء أو حتى تبين شفق هارب من عتمة الليل ليبشر بيومًا جديد، جلس بجانبه وكأنه أم ترضع صغيرها وقال برقته عند الشذوذ:
-أنا حقًا أحببتك ولكن أخفيت بقلبي شعوري نحوك ولم أطلب منك أى شيء ينفرك مني وبرغم من ذلك تخليت عني.
ثم بكى وانتحب وطلب منه الغفران بينما يقص عليه فعلته؛ الراسبون أعدوا خطة متقنة لإسقاط الخمس الأوائل. بداية خدعوا إميل وأقنعوه بالانتقام من الحبيب الذي نبذه فور علمه بميوله الشاذة وتبعهم وسرق لهم بنفسه التوسكيد من المعمل، رآهم يضربوه على رأسه بنفس الماسورة الحديدية التي استعملها عليهم، رقبهم بينما يحملوا مالك من سريره لحمام النساء لقتله وهو جالس بجانبه بلا حراك، أوهموه بأن من سيتهم بمقتل مالك أصدقائه بعدما علموا عن شذوذه وكمصريين شرفاء يخشوا على سمعة بلدهم قتلوا الوغد.
وبرغم قسوة مالك على إميل قلبه المحب لم يتحمل وذهب لرؤيته حبيبه لآخر مرة بينما يغتصب ويقتل، وحينئذ سمع نوايا الراسبون الحقيقية من حول قتله بدوره وحينها، حينها فقط دافع عنه وأنقذه من الموت والآن لا يعلم أى مصير ينتظره من الراسبون أو المعمل الذي سوف يكتشف نقصٌ بالمادة التي بعهدته.
كم كان يتمنى بهذه اللحظة أن يقوم عن سريره وينهال على رأس المخنث

بنفس الماسورة التى أدت لرجة مخه واختلال توازنه الدائم ولكنه لا زال للآن لا يستطيع حتى النهوض بمفرده فقد حاول لينال شرف التجربة ولم يفلح، حرر ساقيه من الدثار القطني الأبيض، زحف على مؤخرته إلى نهاية السرير وموضع وقوف عشيقه المحدق به في حنان، وعندما هم للنهوض لزهق روحه بين يديه سقط على وجهه ومن أعاده لسريره بهدوء عشيقه ثم غادره في سلام.

لم تنتهي القصة بتلك النهاية فحسب فالراسبون كانوا مجهزون بخطة مدهشة. بعد إثبات الشذوذ على مالك واتهام إميل بالقتل سوف تسحب البعثة المصرية بالكامل بل والأفريقية أيضا نسبة لـبيل شريكهم بالمجموعة الدراسية ويتبقى بالتصنيف الراسبون وبعض الزملاء المهمشين وحينها يتغلب الثلاث على باقي الزملاء ويتقلدوا العلا وحيدون. . حقا عقل يهود. . لا يكفيهم تلصصهم على العالم بأكمله عن طريق عملائهم بكل المراكز القيادية في أمريكا وإعلامهم القوى الذي أصبح يغطي العالم والآن يريدون التلصص على باقي الدول متخفيين تحت العلم الأمريكي. صبر على البلاء حتى تعافى وعاد لدراسته ولما تماثل الشفاء عاد بقوة للاختبارات وكان هذا هو الرد الأمثل على الراسبون فلن يكون لهم ظل تحت شمس التميز خاصة بعدما تقلص عدد المجازفين وتصدر الخمس الصفوف الأولى وابتعد الراسبون تمامًا عن حلمهم. لم يبالي بمصير إميل بعد الآن ولكن رحمة الله واسعة حتى على أضل الناس ولا يضيع أجر مجتهد حتى لو شاذ، تخبط الراسبون من الخوف وهم من أعادوا جرعة التوسكايد للمعمل خوفًا من افتضاح إميل لهم رغم أن المخنث كان يعد نفسه للعودة لدياره ولكن الآن عاد للاختبارات وحافظ على تميزه وحبه المتصبب من عيناه لزميله مما جعل أمجد وحسام وبيل هذه النظرات مادة ساخرة لا تنضب. ضاقت نفسه أكثر من زميل الكفاح والعنبر والاختبارات فقد أصبح وجوده عبئ كبير على

نفسه يشتت تركيزه ولكن طالما كان المخنثون من أكثر الضالين حساسية فقد طلب إميل نقله لعنبر آخر وحينها عاد لمالك بعضٍ من تركيزه.
المرحله الأخيرة والأقسى بين كل المراحل، تقلص عدد المجازفين لخمسة عشر من بعد خمسين مجازف وهو ومجموته من أوائل المرشحين والراسبون بطريقهم لبلدهم وحان موعد القصاص. واتته الفكرة من احتفال أحد المدربين بعيد ميلاده. علقت الزينات والبلونات في مكتب المدربين واحتفل صاحب العيد برفقة الطلاب المميزين وكان مالك من بينهم، عندما أوشك الحفل على الانتهاء تبرع مالك بتنظيف مكتب المدربين لمساعدة المجندين ولمزيدًا من التعاون المثمر حمل القمامة لمقرها لتعدم. لم تعدم تمامًا فقد ترفق بها وأخرج منها البلونات الظريفات ذو الابتسامات الواسعة لتسخر معه على الراسبون عندما يتلقوا جزائهم العادل قبل عودتهم لديارهم. بالنهار وليس الليل ذهب لمصاطب الطائرات وعرض أيضا مساعدته لتهيئة الطائرات للإقلاع من حيث الكشف على معداتها وملأها بالوقود وملأ البالون أيضا بالخفاء. أصبح الآن المصري المتعاون الجدير بثقة وصداقة الجميع من حوله، فقد لاحظ المنجدين والضباط الكبار نشاطه وقلة أو عدم شكواه على الإطلاق من الظروف الحياتية القاسية بالقاعدة مثل باقي الزملاء.
باكر غد موعد خروج الراسبون من القاعدة ومن عالم الذكورة سويًا. . طائرتهم السادسة صباحًا والآن على الأرجح يحزموا أمتعتهم. . الثانية صباحًا قام عن سريره وسحب بدلته للطيران وخوذته من أسفل سريره وخرج من العنبر. . ارتدي بدلته كاملة. . أخرج من الخوذة ثلاث بالونات صغار مليئة بوقود الطائرات ثم أدخلهم في حشايا بدلته. . ارتدي الخوذة على رأسه وأحكم إغلاقها على كامل وجهه. . ارتدى القفازات وتوجه إلى عنبر الزملاء الأعزاء. . كل أعضاء

العنبر نائمون والراسبون بدورهم. . وقف أمام الأسِرة الثلاث للفرسان الثلاث وأخرج من بدلته ثلاث بالونات صغيرات باسمات وألقاهم تباعًا على خصورهم فانفجرن وتسيل على ملابس الراسبون الداخلية البيضاء الوقود البارد، لم يتبقى إلا ثلاث ثقاب أشعلهم مرة واحدة وقسم ثلاثتهم بعدل واحد مقابل واحد. .
الآن لن يستطيعوا مضاجعة نساء أو رجال ولا فائدة مرجوة من مراقبتهم يتلوا من الألم أو إخماد نيران لن تشعل بسروالهم مرة أخرى. . عاد مهرولًا لعنبره أو ليس تمامًا بالممر المؤدي لعنبره عيون خضراء لم تعد من أعضاء هذا المكان أمسك به قبل دخوله للعنبر وقال:
-اخلع بدلتك قبل دخولك للعنبر فهي أولى الدلائل.
كان سوف يغفل حقًا عن تلك المعلومة الخطرة، فالبدلة للطيران أو للتخفي لإفتعال جريمة حدثت منذ ثوان وسوف تكون من أوائل الأدلة التي سوف تجمع ضده لما يسأل عن خروج طالب من عنبر النوم بملابس الطيران ليلًا ولغير الطيران. خلع بدلته وألقاها أرضًا ولما انتهى لملمها وهم لدخول العنبر لإخفائها من جديد حتى الصباح من أسفل سريره ولكن استوقفه مجددًا إميل وقال:
-سوف أضعها بخزانتك الخارجية فمكانها هناك.
هم إميل لسحب البدلة والخوذة من يده إنما لم يفلتها مالك فأردف إميل مطمئنًا:
- لن أخذلك صديقي ونكون الآن متعادلين.
لحظات عدة أعادت له ثقته بزميل الكفاح لما لمح بوادر الصدق بعيناه وحينها ترك مالك البدلة والخوذة لمن كان صديقه. سمعا صافرة الإنذار لنشوب حريق فقال إميل على عجالة:
-علي أن أعيدها الآن وأنت عد للنوم العميق.

راقب إميل بينما يهرول من أمامه بأقصى سرعته ليخرج من الممر ومنه إلى منطقة الإعداد الأخيرة والتي تكمن بها الخزائن الخاصة بكل متدرب، ويوضع بها بدل الطيران والخوذات. . عاد لسريره وإستلقى عليه بانتظار الفجر الجديد متسائل عن ما يحمله بل إلى أين قد يحمله تهوره. . الحلم أصبح على بعد خطوةٍ وقد يبتعد لأميال إن اكتشف أمره. . ورغم القلق والخوف وكل المشاعر البغيضة المقترنة بالسهاد أتاه النوم أسرع من أى يوم وذهب بسبات عميق حتى نوبة الصحيان المتأخرة للثامنة صباحًا لأن التدريبات انتهت واليوم الاختبار النهائي وتختم فعاليات التصنيف وإعلان العشرون الفائز ثم العرض الذي انتظره ليكون من أفضل اثنى عشر.

بدأ اليوم طبيعيًا للغاية الأجواء هادئة والزملاء على أهبة الاستعداد لأخر الاختبارات أما المجندين يتهامسون فيما بينهم فاقترب من بعض الهامسون للتحية بعدما توطدت علاقته بهم بالآونة الأخيرة فنقلوا له سر التهامس -جريمة كراهية- حدثت بالأمس وراح ضحيتها ثلاث طيارين تحت الاختبار وهم الآن بالمشفى العسكري وسوف يتم نقلهم للعاصمة جونو لأسكا لاستكمال علاجهم بمشفى متخصص للحروق. الشكوك تحاصر كل الطيارين تحت الاختبار لأن الضحايا أدلوا بأوصاف الجاني الذي كان طويل القامة ويرتدي زى الطيارين المتدربين كاملًا ليخفي ملامحه ولون بشرته. حمد لله هناك الكثير من طوال القامة بخلافه وقد ينجو من جريمة كراهية رغم أنه لم يكرهم يومًا والجريمة كانت جريمة شغف؛ شغف الانتقام. ماذا إن لم ينقذه إميل من الاغتصاب ثم القتل ثم فضيحة تلحق عائلته بل ومصر كلها، ماذا عن أبيه وأمه قد تموت الثانية لخبر موته أو لشذوذه فكلاهما موت لكل أمٌ لذكر.

إنما كيف استطاع إميل التغلب على ثلاث رجال دفعة واحدة تلقوا نفس

تدريباته البدنية، وإن كان لإميل صفات الطفرات، ولكن المخنث محنك فطن فهو لم يتوقف عند صفاته الوراثية وعمل على تنميتها على نقيضه، فقد اكتفى بالتدريبات التي يتلقاها الجميع لمجرد التكاسل وصدأ العزيمة وحان وقت الشخذ والصقل لكل ما يملكه من صفات.

الاختبار الأخير والأكثر ضراوة، قُسم الطيارون لخصمين والفريق الفائز هو فقط من سوف تحتسب درجات أعضائه مجملة ويبدأ العمل بين المدربين لترتيبهم من الأفضل للأفضل على الأطلاق وللعجب فريقه ضم مجموعته الدراسية ليتعالي صياح السخط، فقد تردد أن النتيجة محسومة للفريق الذي به حلقة دراسية وبه أيضا الجاني الحقيقي لجريمة الكراهية فمن أشد عداء للساميين إلا أبناء عمومتهم؛ العرب. لم يلتفت المدربين لهذه الشائعات وتم الاختبار وصدقت الشائعة فاز فريقه وسوف يتم الفصل بينهم لترتيب التصنيف الذي لم يحوي عرب منذ سنوات وقبل الفصل مقابلة يجريها كل طيار ليعرض عليه التماس الولايات المتحدة ليكون من أخوية الاثنى عشر الأسطورية. كل من عرض عليه وافق بالطبع بلا مراوغات ما عدا حسام طلب برهة من الوقت للتفكير، لم تكن البرهة إلا مكالمة هاتفية للواء وجاء رأى اللواء بالرفض القاطع أما هو وأمجد وافقا بترحاب إثر ذلك طلب منهما السرية من الآن وغطائهما؛ أمجد سوف يترقى ليكون مدرب طيران ومالك سوف يعود لأبحاثه بعلوم الطاقة وتطوير الأسلحة.

جالسون جميعًا بقاعة الطعام للغداء والحسام يبدو عليه الحزن لما فقده كرهًا أو طوعًا ويقول:

-سوف أعود للوس أنجلوس بنهاية الاسبوع لتدريبي الأساسي، درجاتي لم تأهلني لأكون مثلكم.

سوف يعود حسام ليتلقى تدريب حصل على الأفضل منه لينهي بعثته بسلام بناءً على أوامر اللواء المتخوف على السند ويريد عودته اليوم قبل الغد. أجابه مالك مبتسم بتعاطف:

-سوف أنهي إجراءات تعاقدي أنا وأمجد ونعود للوس أنجلوس كذلك، لن أعمل بجليد مرة أخرى اشتقت للشمس.

قال بيل هازئًا:

- حقا مصريون طيبون لن يخرج أحدٌ منا من ألاسكا حتى يجدوا مفتعل جريمة الكراهية، ترى حلم من منا سوف ينتهي عند هذا الحد لما تلصق أمريكا الجريمة بأحدنا، فنحن الأفارقة الوارثون الوحيدون لميراث العنف رغم أنفنا

تمت